

موسوعة
عبدالله بن عباس



books.rafed.net

مُوسَوْعَةٌ
عِبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ
حَبْرُ الْأَمَّةِ وَرَجُلُ الْقُرْآنِ

الخلافة الأولى: تاريخ وسيرة

الجزء الثاني

تأليف
السيد محمد حسني السيد حسن المؤمني لرشان



نسخة مقرؤة على النسخة المطبوعة





books.rafed.net

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

به نستعين

الحمد لله رب العالمين وصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ الطَّاهِرِينَ ،
ورضي الله عن الصحابة المتهاجرين المرضيin ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم
الدين ، وللعن虧ة الدائمة على أعدائهم أجمعين .

وبعد فهذا هو الجزء الثاني من الحلقة الأولى من (موسوعة عبد الله بن عباس) حبر الأمة وترجمان القرآن ، وهو يتضمن فترة ربع قرن من تاريخه ، وهي فترة الشباب ، مليئة بالحيوية والنشاط ، وتبدأ من بعد وفاة النبي صَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى أَعْلَمِ النَّبِيِّنَ وَسَلَّمَ ، سنة ١١ من الهجرة وتنتهي بسنة ٣٥ من الهجرة وفيها من الأحداث الميرة التي عاشها ، وقادى مراحلها طيلة عهود الثلاثة الخالفين من بعد النبي صَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وما رأى وما جرى ، منه وله وعليه ، أيام تلك الحكومات ، وسنقرأ له موقف جريئة ، تنبئ عن قابليات تميّز بها ، فكان على صغر سنّه ، فاق أكابر الشيوخ من الصحابة ، فكانت له مكانة متميزة في مجتمع الصحابة .

وسنبدأ حديثنا عنه من فترة بين عهدين :



books.rafed.net

الفصل الأول:

فترة بين عهدين



books.rafed.net

فترة بين عهدين :

لقد طالت واستطالت مع قصر بعدها الزمان ، إلا أنها كانت بالغة التأثير في بصماتها على تاريخ الإسلام الكبير الخطير. فقد وقعت فيها حوادث جسام ، كان سخوصها من الصحابة العظام ، لذلك تغيرت الموازين عند المحدثين من كتاب محققين.

فهم بين عاملين قويين ، عامل القدسية لكل الصحابة ، وعامل الحقيقة التي عمدوا على تحاهلها وتنازعُهم على ذكرها ، فشطّت بهم السبل إلا القليل منهم. فيما لها من فترة لم تتجاوز اليوم والليلة ، بل الأصح أنها كانت بعض يوم. وإن حاول بعض الكتاب تحديدها بثماني وأربعين ساعة. ولكن ما زعمه لا يتفق . مهما حاول . مع واقع الحال. فهو تحديد غير دقيق.

قال عمر أبو النصر في كتابه فاطمة بنت محمد : «إن بين وفاة النبي ﷺ وبين بيعة أبي بكر بالخلافة ثمانية وأربعين ساعة»^(١). وهذا التحديد لا يتفق مع بيعة السقيفة لأنّها كانت يوم وفاة النبي ﷺ قبل أن تغرب شمسه كما لا تتفق مع بيعة أبي بكر في المسجد فإنّها كانت في اليوم الثاني وهي دون الثماني والأربعين ساعة. ولعل الأستاذ عبد الفتاح مقصود الكاتب المصري الشهير كان أصوب منه

(١) فاطمة بنت محمد / ١١٥ ط الأولى (الأهلية بيروت).

حين قال في كتابه السقية والخلافة في تحديدها يوم : «لم يكن بعد قد ولّ عمره أو بلغت شمسه المنكودة حافة الغروب»^(١).

ومهما يكن بعدها الزماني فتلهم هي الفترة التي عاشها حبر الأمة عبد الله ابن عباس وهو الحزين المصاب بفقد الرسول ﷺ ، وهو الكئيب الأسيف لما حدث في تلك الفترة.

فقد ابتدأت بإعلان نبأ وفاة الرسول ﷺ ، وإنتهت بإعلان بيعة أبي بكر خليفة بعد ملاحقة طويلة مع الأنصار في السقية ، وتنتهي البيعة ، وقد كانت فلتة . كما قال عمر بن الخطاب عنها . وفى الله المسلمين شرّها^(٢).

وقد ساهم الدكتور أحمد أمين المصري : (غلطة) ! ، فقال : «ولذلك قال عمر : إنّا غلطة وفى الله المسلمين شرّها» ، ثم قال أحمد أمين : «وكذلك كانت غلطة بيعة أبي بكر لعمر الخ ...»^(٣).

وقال عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه السقية والخلافة عن السقية وأحاديثها : «وكفاهما خطورة أن عاشت في الأذهان والأخيلة كما عاشت فوق ألسنة الأفواه وألسنة الأقلام نحو ألف ونصف ألف من الأعوام.

كفاهما خطورة ان جعلت المسلمين فرقتين متقابلتين ، تتحاوران وتحاججان وإن كفت أعيدهما اليوم من لدد العداء وعنف الخصام.

كفاهما خطورة أن غيرت اتجاه تاريخ الإسلام ، أو لونت صورته السياسية بغير ما كان ينبغي أو . بأرفق تعبير . بغير ما كان يظن أن تكون الصورة وتكون الألوان.

(١) السقية والخلافة / ١١٦ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا ٨ / ١٦٩ ط بولاق سنة ١٣١٢ هـ.

(٣) يوم الإسلام / ٥٣ .

وقال : السقيفة معروفة ... لا يخفى أمرها عن القى بنظرة عابرة عجلى على غرة الإسلام ...»^(١).

وقال أيضًا : «والسقيفة (الحدث) . في رأي المؤرخين كافة . هي أبرز المعالم على طريق التاريخ المبكر للإسلام ... وفي رأي جم غفير من المسلمين ومن أهل الفكر نقطة تحول خطيرة ومنعطف شديد للاتواء ، لا في التاريخ الإسلامي وحده ، بل في التاريخ الإنساني كله من لحظة أن حوت أولها عن مجراه وخرجت على خلاف المنظر أو المظنون بترا ث رسول الله من حوزة الأعزاء الكرام من آل بيته الأطهار ، إلى حوزة رفيق الغار ! ...»^(٢).

ولما كان تاريخ الحاكمين سجل الأحداث بأقلام مأجورة لهم . فقل أن تجد حدثاً سجلته الأقلام بأمانة تامة ، وإذا وجدت ذلك القليل فهو أيضاً فلتة ، وإنما فتشوا في الحقيقة وتلميع الصورة شأن جل رواة الأحداث . وأهم حدث تعرض إلى كثير من اللف والتشويش هو حادث السقيفة . وبتجدد الدمدمة والهمممة التي لا تفصح ببيان معرفة الجواب على تلك التساؤلات التي تفرض نفسها . وتجيش بها نفس القارئ :

- ١ . لماذا في السقيفة أجمعوا الأنصار يأترون ، والنبي الكريم في آخر يوم من حياته ؟ وكان الأحرى بهم الحضور عند بيته.
- ٢ . ثم لماذا بقوا في السقيفة بعد وفاته ؟ ألم يبلغهم بما ذلك وكان الأحرى بهم أن يحضروا تجهيزه .

(١) السقيفة والخلافة / ٣٠

(٢) نفس المصدر / ٣١

٣ . ثم لماذا جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى السقيفة سراعاً وابتداراً خوف الفتنة كما يقولون ؟ ألم يسعهم تأخير ذلك إلى ما بعد موارة الجثمان الظاهر ؟ وليس لنا أن نقول فيهم إلا ما قاله أحمد أمين حيث قال : «وكان هذا ضعف لياقة منهم ، إذ اختلفوا قبل أن يدفن الرسول ، ولكن كان عذرهم في ذلك العمل على ضم الشمل وجمع الكلمة»^(١) !؟ وليس لنا أن نقول إلا كما قال الأستاذ محمد ضياء الدين الرئيس في كتابه النظريات السياسية الإسلامية : «وتوجه مبادرتهم بالإسراع في عقد هذا الاجتماع في نفس اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ قبل انتهاء مراسيم الدفن ، توجّه إلى المؤمن ب فكرة قوية : هي أنهم كانوا لا بد قد فكّروا في هذا الأمر قبل الاجتماع ولو ببضعة أيام»^(٢) .

ولعل طموح سعد بن عبادة كبير الخزرج هو الذي جعله يسرع إلى تكوين جبهة ليظفروا بقرار تأييد قبل أن يظهر من يزاحمه . وهناك دلائل على أن هذه الفكرة قد جالت بخاطر آخرين إلى جانب الأنصار :

فيروي ابن هشام في سيرته ، عن عبد الله بن عباس : «أنّ علياً خرج من عند رسول الله ﷺ في وعده الذي توفي فيه ، فقال له الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً.

فأخذ العباس بيده ثم قال : يا علي ... إني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وعده هذا ، إني لأعرف وجوه عبد المطلب عند الموت ، فانطلق إلى

(١) يوم الإسلام / ٥٤

(٢) النظريات السياسية الإسلامية / ٢٦ و ٢٧ ط الثانية.

رسول الله ، فإن كان هذا الأمر فيما عرفناه ، وإن كان في غيرنا كلامناه فأوصى بنا الناس ، فقال له عليّ : إني والله لا أفعل ، والله لئن منعناه لا يؤتيناها أحد بعده ^(١). وذكره البخاري أيضاً بعض تغيير في اللفظ ^(٢).

وروى ابن سعد في طبقاته ، عن عبد الله بن عباس أنّه قال : «اشتد برسول الله وجعه فقال : (إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً) ، فأخذ أهل البيت واختصموا ، فلماً أكثروا اللغو والاختلاف أمرهم رسول الله ﷺ بالإنصراف» ^(٣). وذكر ذلك البخاري بعض تغيير في اللفظ ^(٤) ، والشهرستاني أيضاً ^(٥).

وأوضحت بعض الروايات أنّ هذا كان بناءً على طلب بعض الصحابة ، مما يشعر أئمّة تباحثوا في هذا الأمر ، ولسبب ما لم تتم كتابة الوثيقة ^(٦).

(١) سيرة ابن هشام ٤ / ٣٣٢ و ٣٣٣ ط المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

(٢) صحيح البخاري ٣ / ٦١ مطبعة التقدم العلمية ١٣٢٠ . وليس من الغريب أن لا ينقل الرئيس عن صحيح البخاري نص الحديث بلفظه ، ما دام جاهداً في التعظيم على رموز المعارضة ، والحديث قد مرّ بتمام صوره عند البخاري وعند غيره ، ورأينا تصريحاً وتلويحاً من هم الذين كان يخشى العباس أن يدفعهم عن الأمر ، وهو الذين قد عنهم الأستاذ الرئيس في أول كلامه بقوله : وهناك دلائل على أن هذه الفكرة قد جالت بخاطر آخرين إلى جانب الأنصار ، ولكن عامل القدسية للصحابة يمنعه عن أن يفصح بأسمائهم ، كما أن عامل الحقيقة التي يعلمها وبخيش بها نفسه ، يدفعه أن يقولها ، لهذا اختار طريقاً وسطاً فيما رأى . وإن لم يكن ذلك بالسبيل الأوسط الأقوم.

(٣) طبقات ابن سعد ٤ / ٥٨ ط لجنة نشر الثقافة بالقاهرة ١٣٥٨ .

(٤) صحيح البخاري ٣ / ٦٠ .

(٥) نهاية الاقدام في علم الكلام / ٤٠٤ ، والملل والتحل / ١٨ - ١٩ ط الأزهر الحديثة.

(٦) لقد تسامح الرئيس في تعبيره وأوضحت بعض الروايات الخ فليس بذلك ب الصحيح ولم يرد في رواية واحدة تصريح بذلك ، وإنما ذلك كان من توجيهات علماء التبرير لدفع غائلة السماحة عن كلمة عمر (إن النبي ليهجر) فطرحوا تصوّر الاستفهام الإنكاري وعليه بنوا أوهامهم.

ومهما يكن فهذا التفكير كلّه ما كان قد تجاوز الأيام القليلة قبيل وفاة الرسول ﷺ ولم يزد على أنه كان خواطر جالت ببعض الأذهان ، وكان التفكير في هذا طبيعياً لشعور المسلمين بقرب الساعة التي سيخلو فيها مكان القيادة ، ولم يصل الأمر إلى درجة الإتفاق ، أو وضع الخطط أو التآمر . كما أدعى الأب أو القدس لامانس ، وردد قوله بعض المستشرقين ارنولد . زاعماً أن اتفاقاً قد تم بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة على الاستشارة بهذا الأمر ، وتداوله فيما بينهم ، فإنه لا يقول هذا إلا رجل يريد أن يطعن في شخصيات الصحابة وأخلاقهم ، ويغمز في إيمانهم ، ورجل لا يفهم روح العصر ، ولا يدرك سمو هذه النقوس العالية التي بلغت مرتبة القديسين أو جاؤوها ، وإن هذا كلام ليس له أي دليل من عقل أو تاريخ ، بل إن حقائق التاريخ المجمع عليها ثبتت أنه ليس أكثر من بحتان ... أه.

عجب أمر هذا الأستاذ حين يزعم أنّ حقائق التاريخ ثبتت عكس ذلك ، وهذا الذي يقوله الأستاذ الرئيس يعبر عن رأي الكثير الكثير من المحدثين من يزعمون تلوّن الحقائق في كتاباتهم . ولو أنصفوا أنفسهم وجربوه على العواطف ، لأذعنوا للحقيقة.

فإن الأحداث المتتابعة منذ مرض النبي ﷺ إلى وفاته وما حدث بعدها من حوادث ، لتوحي للباحث بأنه من الواضح كانت هناك . وبلا شك . فكرة تحول في أذهان الصحابة من مهاجرين وأنصار حول موضوع ولادة الأمر بعد النبي ﷺ ، ولم تنشأ تلك الفكرة من فراغ ، بل كانت مستوفاة من موقف الرسول ﷺ السابقة سلباً وأيجاباً ، ولا بد لنا أن نقول ذلك بصراحة ، نعم لا نستبعد أن يكون بروز آثارها كانت بوضوح بعد الحدث المشؤوم في ذلك اليوم العبوس الكالح

وهو يوم الخميس ، وبينه وبين وفاة النبي ﷺ أربعة أيام. وهذه الأيام كانت كافية للأنصار للداوله والتفكير في التخطيط وبالتالي إلى التصميم على الفعل ، فما دام أمر الرسول ﷺ في آخر عمره لم يتشكل في حياته ، ولو أمشل لجسم كل نزاع يتحمل أن يحصل ، وكانوا على حد قول دعبد الخزاعي :

لو قلدوا الموصى إليه أمرورهم لَمْتَ بِمَا مَوْرُهُمْ

لكن عمر منع من امثاله ، فما الذي يمنع الأنصار أن يفكروا في أمرهم وقد علموا أن المهاجرين قد أصرروا في أيام مرض النبي ﷺ على أن يحوزوا سلطان محمد ، فأدركوا تلك الحقيقة فخافوا على مراكزهم إذا تولى الأمر من المهاجرين من لا يرعى فيهم إلا ولا ذمة ، ما دام لهم متسع من الوقت لتكوين جبهة قوية تصد عنهم أو تحفظ لهم حقوقهم ، ولم بعد حجتهم فهم أهل الدار ، **وهم الذين آتوا ونصروا ، وبذلك يكُونوا جبهة قوية في وجه المهاجرين الذين بدت من بعضهم فلتات توحى بما يبيتون من نوايا.**

فاختذوا قرارهم واجتمعوا في سقيفتهم لكساب التأييد والنظر في مستقبلهم. وليس يعني ذلك إضفاء الشرعية على فعلهم ، بل يدل على العكس مهما تعاظمت أقدارهم ، وتعالت درجاتهم ومهما ومهما ... إلا فائي عذر مقبول لهم بعدما عاهدوا الرسول ﷺ عليه من أمثال أوامره ، فأين الوفاء بعهده ؟ وأين ميثاق بيعة الشجرة والرضوان ؟ وأين عهود ليلة العقبة ؟ وأين وأين ؟

وأما المهاجرون ومنذ ذلك الحدث أيضاً فقد با انقسامهم إلى فريقين : فريق أهل البيت ومن شايعهم وعلى رأسه الإمام عليّ وعمّه العباس ، فهم حين يرون أن النبي ﷺ قد حيل بينه وبين ما أراد أن يكتبه لأمته لئلا يضلوا بعده فحال عمر دون ذلك وقال ما قال ممّا لا ينبغي له أن يقوله. فهم أيضاً كان لهم الحق في التفكير

بصائر الأمور بعد ما رأوا مكاشفة بقية من حضر في بيت النبي ﷺ في استبعادهم عن الساحة ، بل أحسّوا بالعمل الدائب على منع النبي ﷺ من كلّ ما من شأنه تحيّة الأجواء الصالحة لمصير الأمة ، فأنجذبوا هم أو بعضهم ما يملّيه الموقف في تلك الساعات الحرجية ، ومن ذلك ما قاله العباس لعليّ عليه السلام اتّي لأرى رسول الله ﷺ سوف يموت ... الخ. وستأتي في مواقف العباس في تلك الفترة شواهد تكشف عن مدى القلق الذي ساور نفوس الهاشميين . رجالاً ونساءً . فأصابهم بالإحباط ، فتوجّسوا الشر وما سوف يلتحقهم من الأذى بعد فقد النبي ﷺ .

لذلك قال العباس لعليّ عليه السلام : «أنتَ بعد ثلاث عبد العصا»^(١). وقالت أم الفضل وقد دخلت على النبي ﷺ في مرضه فبكّت ، فقال : (ما يكيرك ؟) قالت : خفنا عليك وما ندري ما نلقى بعدهك يا رسول الله. فقال : (أنتِ المستضفون بعدي)^(٢) . (إنكم م فهو مستضفون بعدي)^(٣) ..

ولم يغب كل ذلك عن سيد بن هاشم وولي الأمر من بينهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يقول : (إنّ ما عهد النبي ﷺ أنّ الأمة ستغدر بي)^(٤). وأمّا الفريق الثاني من المهاجرين وهو الذين كانوا يمثلون المعارضة بأظهر أشكالها ، وكان أبرز رموزها من المهاجرين أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ومعهم من الأنصار أسيد بن حضير وبشير بن سعد يشدان أمرهم ، فقد كانوا يعملون جاهدين على احتجاج الأمر دون بقية المسلمين سواء من أهل البيت أو الأنصار. فقاموا بما قاموا من أعمال كلها توحّي أنها لم تكن وليدة الساعة بل كانت عن سابق تفكير وخطيط ، وإن شئت قل إنّها كانت

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ / ٣٨ ، والمصنف لعبد الرزاق ٥ / ٤٣٥.

(٢) كما في رواية أحمد في مسنده ٦ / ٣٣٩.

(٣) كما في رواية ابن سعد في الطبقات ٨ / ٢٠٤.

(٤) مستدرك الحاكم ٣ / ١٤٠.

مؤامرة مدبرة أحكمت خيوطها منذ أمد ليس بالقريب ، وقد يستفرزك هذا التعبير ، ولكن لو تحرّدت عن الرواسب ورجعت إلى ما قبل ذلك التاريخ ، فلا تعلم . وأنت الباحث . الشواهد على ذلك.

فمثلاً في غزوة الطائف حين كانت مناجاة النبي ﷺ على عياله وأطال نجواه ، فورمت آناف ناس لذلك فقالوا ناقمين : لقد أطال نجواه لأبن عمه فقال ﷺ : (ما أنا أنتجه ، بل الله أنتجه). وحين تuib عن أولئك الناس الناقمين تجد أسم أبي بكر لاماً دون غيره !^(١)

وأيضاً في تلك الغزاة قام ﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (يا أيها الناس اتي فَرَطْ لكم وأوصيكم بعترتي خيراً ، وإن موعدكم الحوض ، والذي نفسي بيده ليقيمن الصلاة ولبيتين الركعة ، أو لأبعثن إليهم رجلاً متي أو كنفسي ، فليضرر أعناق مقاتلיהם وليسبيئن ذراريهم) ، قال عبد الرحمن بن عوف . وهو راوي الحديث . : فرأى الناس انه أبو بكر أو عمر فأخذ ييد عليّ فقال : (هو هذا)^(٢). وهنا أيضاً أبهم أسماء الناس الذين رأوا أن المعنى للرسول ﷺ هو أبو بكر أو عمر ، لكنه ﷺ أخذ ييد عليّ عياله فقال : (هو هذا).

(١) أخرج الترمذى في صحيحه ٢ / ٣٠٠ ، والخطيب البغدادى في تاريخه ٧ / ٤٠٢ ، وابن الأثير في أسد الغابة ٤ / ٢٧ ، وغيرهم ان النبي ﷺ أنتجه على فأطال مناجاته فقال الناس : لقد طال نجواه لأبن عمه ، فقال رسول الله ﷺ : (ما أنا أنتجه ولكن الله أنتجه). وإذا كان الناس مبهمين في هذا الحديث فماهم عرفوا كما في حديث جابر بن عبد الله ، وقد أخرجه الطبرانى في معجمه الكبير ٢ / ١٨٦ ط الثانية ، والسيوطى في جمجم الجامع كما في ترتيبه كنز العمال ١٥ / ١٢٢ ط الثانية حيدر آباد ، قال : لما كان يوم غزوة الطائف قام النبي ﷺ مع عليّ ملياً من النهار ، فقال له ابو بكر يا رسول الله لقد طالت مناجتك عليّاً منذ اليوم ؟! فقال رسول الله : (ما أنا أنتجه ولكن الله أنتجه).

(٢) المطالب العالية لأبن حجر ٤ / ٥٦ ، والصواعق المحرقة ٧٥ ط الأولى ، وجمع الروايد ٩ / ١٣٤ ، وكنز العمال ١٥ / ١٤٤ ط حيدر آباد الثانية ، والفصل المهمة لأبن الصباغ المالكي ١١ وغيرها.

فهذا يدل على أنّ ثمة دواعي للفكير فيمن سيكون خليفة النبي ﷺ ، حيث يقول الناس في طول المناجاة ما قالوا ، حيث رأوا ان ليس أبو بكر أو عمر هو المعنى بقول الرسول ﷺ : (رجالاً مني أو كنفسي) ، إذ أوضح ذلك بأنتم توضيح ، وفيه دلالة ليس على الترشيح بل بالنص الصريح فأخذ بيد علي عليهما السلام فقال : (هو هذا).

ثم تلاحت الأ أيام فتكشفت الحقائق ، وجاء موسم الحج عام تسعة من الهجرة فدعا النبي ﷺ أبا بكر وأرسله بتبلیغ آيات من سورة براءة ، ثم سرعان ما أتبعه بعلی عليهما السلام ليستعيد منه ما أمره بتبلیغه ويتولى عليهما السلام ذلك ، فرجع أبو بكر إلى النبي ﷺ وقال : هل نزل في شيء ؟ قال : (لا ولكنني أمرت أن أبلغها أنا ورجل من أهل بيتي ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي ، علي مني وأنا من علي) ^(١).

وجاءت السنة العاشرة وفيها حجة الوداع فخطب ﷺ في عرفات وفي منى وفي مكة وفي كلها يذكر الناس بالتمسك بالثقلين.

وأخيراً لا آخرأ كان يوم الغدير بعد رجوعه ﷺ من حجة الوداع ، فقد أمر بالإجتماع وصعد منبرًا من حدوح الإبل وأخذ بطبع ابن عمه . حتى ياض أبطيهما . فأقامه للناس إماماً وهادياً وعلماً وخليفة من بعده وقال : (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) ^(٢).

فكـلـ ما مـرـ وـيـأـيـ مـنـ المـوـاقـفـ الـّـيـ أـوـحـتـ إـلـىـ فـرـيقـ الـمـعـارـضـةـ بـأـنـهـ سـوـفـ لـنـ يـحـصـلـوـاـ عـلـىـ شـيـءـ مـاـ دـامـ النـبـيـ ﷺ مـسـتـمـرـاـ فـيـ التـأـكـيدـ عـلـىـ ذـلـكـ الـمـنـهـجـ الـّـذـيـ يـؤـحـيـ إـلـيـهـ بـهـ مـنـ السـمـاءـ وـهـوـ التـنـوـيـهـ بـاـبـنـ عـمـهـ خـلـيـفـةـ مـنـ بـعـدـهـ ﴿يـأـيـهـاـ الرـسـوـلـ بـلـغـ﴾

(١) مصادر حديث تبلیغ براءة فيما أحصاها بعض الباحثين بلغت ٨٥ مصدراً من كتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ ولم يسلم هذا الحديث من جنایات الرواية ، ويكفي مراجعة صحيح البخاري ٦٧١ / ١ ط دهلي الهند إذ يجد من روشه أبا هريرة ، ودسه أنفه في أمر التبلیغ ، وهو لم يكن حينئذ في الحجاز بل كان في البحرين !؟

(٢) يكفي مراجعة كتاب الغدير للمرحوم الحجۃ الأمینی.

وَالآن فقل وتأمروا . لذلک تحیّنوا الفرص وتربصوا ، فيبدأوا يصارحونه بالخلاف وجهاً لوجه ، وبدت مواقفهم تتكشف شيئاً فشيئاً.

وخذ على ذلك شاهداً قضية بعث أسامة ، حيث أمره ﷺ أن يخرج أميراً على جيش إلى مؤة وسمى أشخاصاً بأعيانهم للخروج في جيشه كان منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص واسيد بن حضير وبشر بن سعد والزبير بن العوام^(٢) . لكنهم لم يخرجوا ولم يستجيبوا لأمره ، وصعد المنبر يخطب في المسلمين قائلاً : (نقدوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة)^(٣) . فمهما كانت نوايا الذين كانوا يتملصون من الخروج بأعذار فلم يقبلها منهم ﷺ وسكت على مضض. لذلك أراد ﷺ أن يكبح جماح تلك

٦٧ / المائدة (١)

(٢) راجع طبقات ابن سعد ٢ ق / ٤١ ط ليدين ، ومهذب تاريخ ابن عساكر لابن بدران الدمشقي ٢ / ٣٩١ في ترجمة أُسَّامة ، وشرح النهج لابن أبي الحميد ١ / ٥٣ و ٢٠ و ٤٥٩ و ٤ / ١٧٣ ، ومقدمة الملل والنحل للشهرستاني ، وشرح المواقف في أول تذيل المواقف نقاًلاً عن الترمذى ، ونقل بعضهم ذلك عن البلاذري وغيره.

وقد علق الدكتور صبحي الصالح على اللعن في كتابه النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ط دار العلم للملايين ، فقال : وكان الرسول عليه السلام كان يستشف حجب الغيب ويدرك ما يكون من أمر المسلمين لو تعاونوا في مثل هذا الأمر الخطير ، فهو أمر ترتب عليه نتائج حاسمة في علاقات المسلمين بالدول الأجنبية ، لذلك لم يستنكر أن يستخدم عبارة (اللعن) ولكن هل استجاب القوم لاستجابة متماثلة ؟

لقد تختلف عن الغزوة قوم ورغم فيها آخرن . ثم حكى مقالة الفريقين نقلاً عن الشهري . وقال : ولقد يحيى إلى كثير من مؤرخي الفكر الإسلامي أن لا ضير فيما قاله الفئة المتخلفة ... ولكن مجرد إقدامهم على التخلف قد يعذّ دون شك ثغرة من الثغرات لا ندرى من أي مكان أتواها . ونحن أيضاً نقول له :

فإن كنت لا تتدري فتالك مصيبة وإن كنت تتدري فالنصر بآية

(٣) المصدر السابق.

٣) المصدر السابق.

 books.rafed.net

النزوالت بأن يكتب لهم كتاباً لئلا يضلوا من بعده ، فبدت البغضاء من أفواههم ، فكانت الرزية كل الرزية . كما يقول ابن عباس . وتتابعت الأحداث سرعاً بالمواقف النابية من المعارضة ، وكلها توحى بتأكيد التآمر . وإنما إذا يفسّر موقف عمر وعثمان . الشديد . من إنكارهما موت النبي ﷺ حتى منع أهله من تجهيزه ودفنه ، وتذرّعاً بما لا يقوله أي إنسان حتى المخوب .

قال الجاحظ في رسالته العثمانية : «وكان عثمان بن عفان وعمر بن الخطاب يردا هذه الآيات يعني : ﴿لِيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١) وتوعدا أصحاب النبي ﷺ من قال إنه مات . وثاروا في حجرة عائشة وعلى الباب لم يمت وكان أول من رأه مسجى فأنكر موته عثمان وقال : انه والله ما مات ولكن الله رفعه إليه كما رفع عيسى بن مريم ، والله لا نسمع أحداً يقول مات إلا قطعنا لسانه . واضطرب الناس وماجوا وقام عمر في الناس خطيباً فقال : لا أسمع أحداً يقول إن محمداً مات ...»^(٢) .

وتدافع عمر هو والعباس بالقول ، هو يقول : ما مات رسول الله ﷺ بل غاب كما غاب موسى عن قومه وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون انه مات ، فجعل لا يمر بأحد يقول انه مات إلا وينبسطه ويتوعده^(٣) .

وذكر الزمخشري في الفائق : «ان عمر مانعهم في دفن رسول الله ﷺ وقال : انه لم يمت ولكنه صعق كما صعق موسى ، فقال العباس : ان رسول الله ﷺ لم يمت حتى ترككم على طريق ناجحة وان يك ما تقول يابن الخطاب حقاً فإنه لن يعجز أن يحيث عنه ، فخل بیننا وبين صاحبنا فإنه يأسن كما يأسن الناس»^(٤) .

(١) التوبة / ٣٣ .

(٢) الرسالة العثمانية / ٧٩ . ٨٠ . تح عبد السلام محمد هارون .

(٣) شرح النهج لابن أبي الحميد ١ / ٦٠ .

(٤) الفائق ٤ / ٣٤ .

وفي السيرة النبوية لابن كثير : «أن العباس خرج على الناس فقال : يا أيها الناس هل عند أحد منكم عهد من رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم في وفاته فليحدثنا ؟ قالوا : لا قال : هل عندك يا عمر من علم ؟ قال : لا . فقال العباس : اشهدوا أيها الناس أن أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عهده إليه في وفاته والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموت»^(١).

وتبقى لهجة عمر الحمومة ويقى العباس يقول : إن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات وإنه لبشر وإنه يأسن كما يأسن البشر ، أي قوم فأدفنا صاحبكم فإنه أكرم على الله من أن يميته الميتين أي ميت أحدكم إماتة ويميته إماتتين وهو أكرم على الله من ذلك ، أي قوم فأدفنا صاحبكم ... إن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله ما مات حتى ترك السبيل هجاً واضحاً ، فأحلَّ الحلال ، وحرَّم الحرام ، ونكح وطلق وحارب وسلام ، ما كان راعي غنم يتبع بها أصحابهارؤوس الجبال يخطب عليها العصاة بخطبه ويصور حوضها بيده بأنصب ولا أدب من رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان فيكم أي قوم فأدفنا صاحبكم^(٢).

ولم يزل العباس يقول : «ترككم على المحجة البيضاء».

واشتدت الخصومة ، وحدثت البلبلة ولم تهدأ حتى جاء أبو بكر من السنح . وكان في منزله لم يحضر موت النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فلما جاء دخل على الجثمان الطاهر ، وكشف عنه ثم قال : «طبت حياً وميتاً» . ولسنا في مقام تفسير ذلك وانه جزء من مؤامرة أحكمت حبكأ . فخطب الناس ، وخطب عمر معتذراً بأن مقالته

(١) السيرة النبوية ٤ / ٤٨١ .

(٢) أنظر سنن الدارمي / ٤٢ ، طبقات ابن سعد ٢ / ٢٦٦ ، أنساب الأشراف ٢ / ٢٤٣ عن ابن عباس ، كنز العمال ٧ / ٢٤٤ .

الأولى كانت منه على غير هدى وصواب ، ثم أسرعوا ومعهم أبو عبيدة إلى السقيفة حين أخبرهم خبر . لم يسمه المؤرخون ولماذا ؟ . باجتماع الأنصار في السقيفة ، فجرى ما جرى من تراشق كاد أن يلفح الفتنة بين المسلمين ، فقائل الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، وقائل المهاجرين : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، ويحسم الموقف أبو بكر بقوله : «إني رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة». ثم قول عمر لأبي عبيدة : «أمدد يدك أبaiduك» ، ثم تبنّع أبي عبيدة من ذلك مع وجود أبي بكر ، ثم مبادرة عمر لمبادعة أبي بكر ، ثم بايده أبو عبيدة . هذا وأشباهه وكثرة شواهده في التاريخ مذكور ، لا يسع أحد أن ينكره .

وبعد هذا أليس من اللافت للنظر حقاً أن تلمع هذه الأسماء الثلاثة أبو بكر ، عمر ، أبو عبيدة من بين المهاجرين إلى جانب أسيد بن حضير وبشير بن سعد من دون بقية الأنصار ، في قائمة المعارضة ، وكأنهم هم رأس الأمر ، وعقله المدبر والمفگر ، وإن كانت هناك أسماء نفر آخرين كانوا يغضون لهم ، ولعل أبرزهم كانت أم المؤمنين عائشة التي ليس ينكر دورها في موضوع الصلاة ، كما لا ينكر دورها بعد ذلك في دعم ذلك الثالوث المقدس ، وإلى القارئ شاهداً على ذلك.

فقد ذكر ابن تيمية في منهاج السنة نقاًلاً عن صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة قال : «سمعت عائشة وسئلته من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو أستخلف ؟ قالت : أبو بكر ، فقيل لها ثم من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر ، قيل لها : ثم من بعد عمر ؟ قالت أبو عبيدة بن الجراح . ثم أنتهت إلى هذا ... أه»^(١).

فممّا تقدم وغيره ممّا لم أذكره أتخذ الأب أو القدس (لامانس) وتبعه بعض المستشرقين مثل (أرنولد) حجة إلى القول بأن هناك تاماًًاً بين الثلاثة على

(١) منهاج السنة ٣ / ١٣٥ ط الأولى.

الخلافة كما حكاه الرئيس في كتابه^(١) ، وليس كل التشري布 على أولئك الأجانب ، إنما كل اللوم والتشريب على من فتح لهم باب الخلاف في الخلافة حتى تصيّد الأغيار في الماء العكر حتى تحرأ المستشرق الهولندي (ولهاوزن) في كتابه تاريخ الدولة العربية فقال : «وكان أبو بكر وعمر يعلمان أنهما لم يتوليا الخلافة بفضل حق شرعي ، بل من طريق الاعتصاب ، وهما لم يستطيعا أن يسبغا على رياستهما التي كانت غير شرعية في أول الأمر ثواباً شرعياً إلا فيما بعد ...».

وقال : «فهمما لم يريدا سوى أن يكونا خلفتين لرئيس الحكومة التيوقراطية الشرعي الحقيقي الوحيد ، وهو النبي ﷺ وقد عبرا عن ذلك باللقب الذي اختاراه لأنفسهما وهو لقب الخليفة. وقد سمى أبو بكر نفسه خليفة رسول الله وبسمى عمر نفسه خليفة خليفة رسول الله ، حتى بدا في ذلك شيء من التكلف والتطويل في التسمية ، فصار لقب الخليفة مع إسقاط المضاف إليه لقباً قائماً بذاته ... أه»^(٢).

أقول : لسنا في مقام تحقيق اللقب الذي حصل عليه أبو بكر ، وكيف ثم له ، وهل كان خليفة أم خالفة؟ كما رواه جمّع من أن أعرابياً سأله أبو بكر فقال له : (أنت خليفة رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ؟

قال : لا ، قال : فما أنت ؟ قال : أنا الخالفة بعده^(٣).

(١) النظريات السياسية الإسلامية / ٢٧

(٢) تاريخ الدولة العربية (ترجمة عبد الهادي أبو ريدة) / ٣٤ ، وورد نحو ذلك في ترجمة يوسف العش لنفس الكتاب أيضاً / ٣٤ ، ومن الغريب . ول المؤسف . لم يعلّق أي من المترجمين على ذلك بشيء ، وكأنهما يشاركان ولهاوزن فيما ذهب إليه في بيان نفس الرأي .

(٣) كنز العمال ١٤ / ١٧٣ نقاً عن ابن عساكر ، والنهاية في اللغة لابن الأثير ٢ / ٦٩ الطناحي والزاوي ، والفتائق للزمخشري ١ / ٣٩١ تحر إبراهيم والبحاوي ، والجمارة لابن دريد ٢ / ٣٧ مع ط حيدرآباد (أفست) والدر المنير للسيوطى . وغير ذلك .

ولسنا في مقام تحقيق المعنى اللغوي للخالفة بعدما ذكر علماء اللغة أربعة معانٍ لها :

- أ. العمود من أعمدة البيت في مؤخره.
- ب . القاعدة في الدار من النساء ج خوالف.
- ج . الفاسد من الناس.
- د . الذي لا غناء عنده ولا خير فيه ، واهء للمبالغة^(١).

ومن البديهي فأنّ أبي بكر لم يكن بالمعنيين الأوليين قطعاً ، فهو مردّ بين المعنيين الآخرين لا محالة وهذا ما دفع باللغويين إلى الاعتذار عنه بآنه قال ذلك تواضعاً . ونحن سوء قبلنا ذلك عن رضي أو لم نقبله فهو بلا خلاف (أول ملك إسلامي بعد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) . كما يقول محمد فريد وجدي^(٢) في حديث عن حكومة أبي بكر التي قال فيها : (فجاءت حكومتهم فلذة في باحها ، غريبة في تركيبها ، وبيان غرابتها إنّها لا تسمى حكومة مطلقة ، لأن الحكومة المطلقة هي التي يرأسها رجل مستبد لا دستور له إلا رأيه وهوه ، والحكومة العربية كان لها دستور وهو القرآن ، فلا تسمى مطلقة ، ثم لا تسمى دستورية ، لأن الحكومة الدستورية هي التي يكون لها مجلس نواب أو مجلس نيابي واحد ، ولم تكن الحكومة العربية الإسلامية كذلك ثم لم تكن حكومة جمهورية لأنّها وإن كانت منتخبة رئيسها كما هو الحال في الأمم الجمهورية ، إلا أن ذلك الرئيس فيما ليس لرئاسته حد محدود تنتهي إليه كأربع أو ست سنوات).

(١) المعجم الوسيط ١ / ٢٥٠ ط مجمع اللغة العربية.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٢ / ٣٢٢ ط دار الفكر بيروت.

الخلاصة أن حكومة الصحابة كانت حكومة فريدة في بابها ، لا إستبدادية ولا دستورية ولا ملكية ولا جمهورية^(١).

وأعود الآن فأقول : لم يكن الكاتب الرئيس وحده الذي تنازعه العاملان ، عامل احترام الصحابة ، وعامل إظهار الحقيقة فربما غالب الثاني فأظهره ، كما صنعه كثير من الكتاب الحدّثين وأكّهم على ما بينهم من تفاوت في مراتب الشجاعة والجرأة على الصراحة لا تخليوكلما لهم من إشارة أو تلميح ، وربما جاء ذلك منهم بالقول الفصيح بأن ثمة تصميمًا مسبقًا وعن سبق إصرار وعمد لإبعادبني هاشم عن الأمر ، فهذا الدكتور طه حسين . عميد الأدب العربي وصاحب الفتنة الكبرى . يقول : «فكان بنو هاشم قد أبعدوا عن هذا الأمر عمداً ، أبعدتهم عنه قريش مخافة أن تظل لبني هاشم رعية ، وألا تكون الخلافة في حي آخر من أحياها»^(٢) ، ولم يكن ذلك بداعاً من قول الدكتور طه حسين فقد كان ذلك من قبل هو رأي المغيرة بن شعبة القائل لأبي بكر وعمر : «مالكم أتريدون أن تنتظروا وصول الجبلة من أهل هذا البيت ، وسّعواها في قريش تتسع»^(٣) ، ولسنا بصدّ تفصيل جميع ما جرى في السقيفة وكيف جرى ؟ ولماذا غالب المهاجرون على الأنصار ؟ وما هي حجتهم ؟ فكل ذلك يستدعي الخروج بنا إلى أبحاث طويلة تبعدنا عن صلب الموضوع ولكننا سوف لا نبعد عنها كثيراً ما دمنا بصدّ معرفة رأي ابن عباس رض في أحداث تلك الفترة بين العهدين ، والتي عايشها وعاش مراحلها أسوة بأهل بيته وموقفه يتبيّن بوضوح عندما نقرأ موقف أبيه

(١) نفس المصدر ٢ / ٣٢٣ . ٣٢٤ .

(٢) الفتنة الكبرى ١ / ١٥٢ ط دار المعارف بمصر.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ١٨ ط الأولى بمصر.

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان من الطبيعي أن يكون ابن عباس وهو في سنّه الفتى يومئذ تبعاً لأبيه الّذِي كان في سنّه شيخاً لبني هاشم ، وكان هو من رواة بعضها فلنقرأ مواقف العباس إذن ، فهي تعكس مواقف أبنه يومئذ ، وأكدها عليهما بعد ذلك ، ونطوي الحديث عن كيفية تولي أبي بكر للخلافة ، وحسينا ما قاله

سَبَحَانَ رَبِّيْ يَسِّنَعُ كَيْفَ شَاءَ
سَاسَ الْوَرَى مِنْ كَانَ يَرْعَى الشَّاءَ
يَقِنَّوْدَ بَعْدَ إِبْلَ ابْنَ عَامِرٍ
مَا دَبَّ فِي غَامِرَهَا وَالْعَامِرٍ^(١)

مواقف العباس في تلك الفترة :

مهما كانت فداحة الخطب الموجع الذي نزل بال المسلمين عامرة وبأهل البيت خاصة ، فلم يكن العباس بن عبد المطلب رض ، ليذهل غماً وحزناً عما كان يتوجسه خيفة من وقوع أمر كان يحسب له حسابه منذ أمد غير قريب ، لأنّه كان يقرأ في قسمات الوجوه ما تكتن القلوب ويسمع من فلتات الألسن ما تضمره النفوس الحاقدة الحاسدة . وقد مرت بنا شواهد على ذلك في ترجمته لذلك نرى كلّ موافقه في فترة مرض النبي صلوات الله عليه وسلام وبعد موته ، متباينة يشد بعضها بعضاً ، وتلتقي عند تحيّة الجو المناسب لتوطيد بيعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رض .

أولاً : ففي مرض النبي ﷺ وقد كان مع الحاضرين حين دعا النبي ﷺ بالدواء والكتف ومنع منه عمر وقال : «انه ليهجر» ، فوقع الخصم وترافق الكلام بأحد من حد الحسام ، وطرد النبي ﷺ الذين شاقوه ، فلما خرجوا قال العباس

(١) دول العرب وعظماء الإسلام / ٣٥

للنبي ﷺ : أتاك بالذى طلبت وان رغمت فيه معاطس ، فأبى وقال : (أبعد الذى قال قائلكم).

وفي مرض النبي أيضاً وقد عرف ما يحاك ضد الخلافة الشرعية من تخلف المخالفين عن جيش أسامة ، ومن اعتراض المعترضين على كتابة النبي ﷺ وكثرة الهمز واللمز حول وصية النبي ﷺ لغير عليّ ، فقد بادر بإحباط ذلك التامر ، فقال عليّ : هل تعلم أن رسول الله ﷺ أوصى لغيرك بشيء؟ فقال عليّ عليه السلام : (اللهم لا) ... فخرج على بغلة حتى أتى معسكر أسامة ، فلقى أبا بكر وعمر وغيرهما ، فقال : هل أوصاكم رسول الله ﷺ بشيء؟ قالوا : لا ، فرجع إلى عليّ فقال : إن رسول الله ﷺ مقبوض فأمدد يدك أبايعك فيقال عم رسول الله بابع ابن عم رسول الله ﷺ وبيأيعك أهل بيتك وإن مثل هذا الأمر لا يؤخر^(١) ، ولكن الإمام يأبى عليه ، ويكرر حواره مع الإمام وقد رأى ثُدُر الشر تترى ، حرصاً منه على اغتنام الفرصة قبل أن تقع الواقعة ، ويلتحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى فيقول للإمام : يا عليّ أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ واسأله عن الأمر هل هو فيما فطمنا قلوبنا؟ أم هو في غيرنا فيوصى بنا ، ويأبى الإمام ، ويصر العباس ويدخل على النبي ﷺ ويقول له ذلك فيجيئه : (إنكم المقهورون وأنتم المضطهدون) وفي رواية : (أنتم المستضعفون بعدي).

ثانياً : وفي يوم موت النبي ﷺ قال للإمام : «أمدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله ﷺ بابع ابن عم رسول الله ﷺ . ابن أخيه . فلا يختلف عليك

(١) أنظر النزاع والمخاصل للمقرizi / ٤٩ ط مصر سنة ١٩٣٧ م ، وقارن الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ / ٥٦ سنة ١٣٢٨ بصر.

أنسان». وفي رواية ابن سعد في الطبقات : «يا عليّ قم حتى أباعك ومن حضر ، فإنّ هذا الأمر إذا كان لم يرّد مثله ، والأمر في أيدينا.

فقال عليّ عليه السلام : (يا عم إِنَّ لِي بِرَسُولِ اللَّهِ أَعْظَمُ شَغْلًا عَنْ ذَلِكَ ؟) ثم ترّى ث و قال : (وَاحِدٌ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُنَا ؟)

فقال العباس : أظن والله سيكون. ثم سكت»^(١).

ثالثاً : وعاد العباس غارقاً في بحر هومه ، وقد أضطرب عليه وجه الحيلة في الخلاص من ذلك الخطر المحدق بالأمة. وبينما تتنازعه الهواجس والوساوس ، وتتقاذفه الأحزان والأحلام ، من فقد النبي ﷺ وأمر الخلافة وأمتناع عليّ عليه السلام عن المبادرة ، وتوجسه فتنة القوم الذين عرفهم بالتمالئ على اقتتال الخلافة دون أهلها. بينما هو في تلك الدوامة المقلقة المخزنة يصله سمعه صوت يتهدد ويتوعد.

يقول ابن كثير في سيرته وروى الحافظ البيهقي من طريق ابن هميزة ، حدثنا أبو الأسود عن عروة بن الزبير في ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه (والله) وسلم قال : وقام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال مات بالقتل والقطع ويقول : إن رسول الله صلى الله عليه (والله) وسلم في غشية لوقد قام قتل وقطع. وعمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم ابن أم مكتوم في مؤخر المسجد يقرأ : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(٢) الآية والناس في المسجد يبكرون ويموجون لا يسمعون.

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٤٩ / ٢ ط أفسنت ليدن.

(٢) آل عمران / ١٤٤.

فخرج عباس بن عبد المطلب على الناس فقال : يا أيها الناس هل عند أحد منكم من عهدٍ من رسول الله صلى الله عليه (وآلـهـ) وسلم في وفاته فليحدثنا ؟ قالوا : لا . قال : هل عندك يا عمر من علم ؟ قال : لا .

قال العباس : أشهدوا أيها الناس أن أحداً لا يشهد على رسول الله بعهد عهده إليه في وفاته . والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه (وآلـهـ) وسلم الموت^(١) .

وروى ذلك غير ابن كثير من المؤرخين . ومنهم من ذكر أن العباس كان يقول يومئذ : «ترككم على المحجة البيضاء» وقد مر ذلك .

ولم تحدأ ثائرة عمر إلا بعد أن أقبل أبو بكر من السُّنح حيث منزله هناك ودخل على النبي ﷺ وكشف عن وجهه وقال : «طبت حيَاً وميتاً» ، ثم خرج إلى المسجد وعرف الناس بموت النبي ﷺ وتلا الآية التي كان ابن أم مكتوم يتلوها في مؤخرة المسجد والناس يموجون فقرأ : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يُنْقِلْ بْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢) .

قال عمر : «أو أنت في كتاب الله ؟ ما شعرت أنها في كتاب الله». ثم قال عمر : «يا أيها الناس هذا أبو بكر وهو ذو شيبة المسلمين ، فباعوه . فباعوه»^(٣) .

هكذا روى ابن كثير في سيرته نقلاً عن الإمام أحمد ، وعقب على ذلك بقوله : وقد روى أبو داود والترمذى في الشِّمائِلَ من حديث مرحوم بن عبد العزيز العطار عن أبي عمران الجوني به ببعضه .

(١) السيرة النبوية ٤ / ٤٨١ .

(٢) آل عمران / ١٤٤ .

(٣) السيرة النبوية لأبن كثير ٤ / ٤٨٠ .

ومهما تكن ألفاظ الرواية متفاوتة فانها متفقة على أن عمر هو الذي أنكر موت النبي ﷺ ولم تهدا ثائرته إلا بعد ما جاء أبو بكر فقرأ الآية. لماذا لم تهدا ثائرته حين خرج إليه العباس وسأله خاصة عن عهد عنده بوفاة النبي ﷺ فأنكر أن يكون معه عهد ؟

ولماذا لم تهدا ثائرته حين كان ابن ام مكتوم يقرأ تلك الآية بعينها في المسجد ؟

وكيف لم يعلم أنها آية من كتاب الله وهو الذي قال حسبنا كتاب الله ؟ فان كان لا يعلم ما فيه كيف يدعو إلى الأكتفاء به وهو يجعل منه أكثر مما يعلم ؟
ويقى العباس يتوجس أمراً يحدث بعد ما ذهب الشیخان إلى السقیفة ، وقد حدث الذي حدث بما كان يتوجّس منه خيفة ، ويشاركه في ذلك الماجس عامّة المهاجرين وجّل الأنصار الذين كانوا لا يشكّون أن علياً هو صاحب الأمر بعد الرسول ﷺ حتى أن المنذر بن الأرقام قال في السقیفة ردّاً على كلام أبي عبيدة عبد الرحمن بن عوف : فقال ما ندفع فضل من ذكرت وإن فيهم رجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينزعه فيه أحد يعني عليّ بن أبي طالب^(١).

رابعاً : قال البراء بن عازب : «لم أزل لبني هاشم محبًا فلما قبض رسول الله ﷺ حفت أن تتمالأ قريش على أخراج هذا الأمر عنهم ، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ فكنت أتردد إلى بني هاشم وهو عند النبي ﷺ في الحجرة وأتفقد وجوه قريش فإني كذلك فقدت أبا بكر وعمر وإذا قائل يقول القوم في سقیفةبني ساعدة ، وإذا قائل آخر يقول : قد بويع أبو بكر فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل وعنه عمر وأبو عبيدة

(١) تاريخ البصرة ١٠٢ / ٢ ط الحيدرية ، وانظر الموقفيات / ٣٨٠ ، وتاريخ الطبراني ١٩٨ ، وابن أبي الحديد ٢ / ٨ وسمى القائل زيد بن أرقم.

وجماعة من أصحاب السقيةة وهم محتجزون بالأزر الصناعية لا يرون بأحد إلا خطوطه وقدّموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يباعه شاء ذلك أو أبي ، فانكرت عقلبي ، وخرجت أشتند حتى أنتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق فضررت عليهم الباب ضرباً عنيفاً ، وقلت قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة.

فقال العباس ترثت أيديكم إلى آخر الدهر ، أمّا اني قد أمرتكم فعصيتموني»^(١).

خامساً : قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : «لما اجتمع المهاجرون على بيعة أبي بكر قبل أبو سفيان وهو يقول : أما والله إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا اللدم ، يا عبد مناف فيما أبو بكر من أمركم ، أين المستضعفان ؟ أين الأذلان . يعني علياً والعباس . ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ؟

ثم قال لعلي : ابسط يدك أبائعك فوالله ان شئت لأملأها على أبي فضيل . يعني أبا بكر . خيلاً ورجلاً^(٢). وقد روى مثل هذا غير واحد من المؤرخين . ورووا أن العباس لما سمع ذلك من أبي سفيان قال لعلي : يا بن أخي هذا شيخ قريش قد أقبل فأمدد يدك أبائعك ويباعك معى ، فانا ان بايتك لم يختلف عليك أحد منبني عبد مناف ، واذا بايتك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قرشى ، واذا بايتك قريش لم يختلف عليك بعدها أحد من العرب .

فقال الإمام لعمه : (لا والله يا عم إني أحب أن أصرح بها ، فأكره ان أبائع من وراء رتاج . وان رسول الله ﷺ أوصاني أن لا أجرد سيفاً بعده حتى يأتيني الناس طوعاً . وأمرني بجمع القرآن ، والصمت حتى يجعل الله عزّلَكَ لي مخرجاً).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٧٣ - ٧٤.

(٢) نفس المصدر.

سادساً : روى سبط ابن الجوزي كلاماً للعباس في موقف آخر غير موافقه السابقة رواه عنه ولده عبد الله بن عباس قال : «لما دفن رسول الله ﷺ جاء العباس وأبو سفيان ابن حرب وجماعة من بني هاشم إلى عليّ عليه السلام فقالوا : مددك نبأيك وحرضوه فامتنع ، وقال له العباس : أنت والله بعد اليوم عبد العصا»^(١)^(٢).

سابعاً : روى أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة عن المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه ، وعمر بن شبة من كتابه باسناد رفعه إلى أبي سعيد الخدري قال : «سمعت البراء بن عازب . وذكر ما تقدم من حديثه إلى أن قال . : فمكثت أكابد ما في نفسي ، فلما كان بليل خرجت إلى المسجد ، فلما صرت فيه تذكرت إني كنت اسمع هممة رسول الله ﷺ بالقرآن ، فامتنعت من مكاني ، فخرجت إلى الفضاء . فضاء بني بياضة . وأجد نفراً يتاجون فلما دنوت منهم سكتوا فأناصرت عنهم ، فعرفوني وما أعرفهم فدعوني إليهم فأتيتهم ، فأجاد المقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وسلمان الفارسي ، وأبا ذر ، وحذيفة ، وعمار وأبا الهيثم بن التيهان . وإذا حذيفة يقول لهم والله ليكونن ماخبرتكم به والله ما كذبت ولا كذبت ، وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شوري بين المهاجرين ، ثم قال : إئتوا أبي بن كعب فقد علم كما علمت .

قال . البراء . فانطلقنا إلى أبي فضرينا عليه بابه ، حتى صار خلف الباب ، فقال : من أنتم ، فكلمه المقداد ، فقال : ما حاجتكم ؟ فقال له : افتح عليك بابك فإن الأمر أعظم من أن يجري من وراء حجاب .

(١) مثل يضرب لمن يستذلّ فيكون تابعاً (بتصرف عن المضاف والمنسوب للتعالى) ط دار نحبة مصر سنة ٣٨٤.

(٢) تذكرة خواص الأمة / ١٣٧ .

قال : ما أنا بفاتح بابي وقد عرفت ماجئتم له ، كأنكم أردتم النظر في هذا العقد ؟ فقلنا : نعم.

فقال : افيفكم حذيفة ؟ فقلنا : نعم ، قال : فالقول ما قال ، وبالله ما يفتح عني بابي حتى تجري على ما هي عليه جارية ، ولما يكون بعدها شرّ منها ، والى الله المشتكى»^(١).

وروى ابن أبي الحديد قال : «لما توفي رسول الله ﷺ واشتغل على علي عليه السلام بغسله ودفنه وبوضع أبو بكر خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين بعباس وعلى علي عليه السلام لإنجالة الرأي ، وتكلموا بكلام يقتضي الأستنهاض والتهييج فقال العباس عليه السلام :

قد سمعنا قولكم فلا لقلة نستعين بكم ، ولا لظنة نترك آراءكم لكن لالتماس الحق فاما هلونا نراجع الفكر ، فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصرّ بنا وبهم الحق صرير الجدجد^(٢) نبسط إلى المجد أكفاً لا نقبضها او نبلغ المدى ، وان تكون الأخرى فلا لقلة في العدد ، ولا لوهن في الأيد^(٣) والله لو لا أن الإسلام قيد الفتاك لتدكككت جنادل صخر^(٤) يسمع اصطكاكها من محل العلي .

قال : فحلّ على حبوبه وقال : الصبر حلم ، والتقوى دين ، والحجّة محمد ، والطريق الصراط . أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة ، وعرّجوا عن طريق المسافة ، وضعوا عن تيجان المفاخرة . أفلح من نهض بمناج أو استلم فأراح ، هذا

(١) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٧٤ و ١٣٢ .

(٢) بضم الجيمين : دويبة على خلقة الدبا وتسمى : صرار الليل .

(٣) الأيد : القوة .

(٤) الجنادل جمع جندلة وهي الصخرة العظيمة .

ماء آجن^(١) ، ولقمة يغصّ بها أكلها ، ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه ، فان أقل يقولوا حرص على الملك ، وان أسكنت يقولوا جزع من الموت ، هيئات بعد التي والتي والله لابن أبي طالب آنسٌ بالموت من الطفل بشدي أمه ، بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطررتم اضطراب الأرشية^(٢) في الطوى^(٣) البعيدة»^(٤) .

ثامناً : وذكر الجوهري في كتابه السقيفة باسناده المتقدم إلى البراء بن عازب ، وابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة^(٥) واللفظ للأول قال . بعد ذكره تشاور رجال من المهاجرين والأنصار في أن يعيدوا الأمر شورى بين المسلمين المهاجرين . : وبلغ ذلك أبو بكر وعمر فأرسلوا إلى أبي عبيدة والي المغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرأي .

فقال المغيرة : الرأي أن تلقوا العباس ف يجعلوا له ولولده في هذا الأمر نصيحاً لينقطعوا بذلك ناحية عليّ بن أبي طالب ويكون لكم الحجة عند الناس على عليّ وبني هاشم إذا مال العباس معكم .

فأنطلق أبو بكر وعمر وابو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس . وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ﷺ . فحمد الله أبو بكر واثني عليه وقال : إن الله ابتعث لكم محمداً ﷺ نبياً وللمؤمنين وليناً ، فمن الله عليهم بكونه بين ظهارائهم ، حتى اختار له ما عنده ، فخلل على الناس أمرورهم ليختاروا لأنفسهم

(١) الآجن : الفاسد المتغير .

(٢) الأرشية جمع رشاء وهو الجبل .

(٣) الطوى جمع طوية وهي البئر البعيدة القعر .

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٧٣ ، وراجع نزهة الناظر للحلواني ١٨ .

(٥) الإمامة والسياسة ١ / ١٥ ط سنة ١٣٢٨ بمصر .

متفقين غير مختلفين ، فاختاروني عليهم واليأً ، ولأمرورهم راعياً ، فتوليت ذلك ، وما أخاف بعون الله وتسديده وهنأً ولا حيرة ولا جبناً ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

وما انفك يلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين ، يتخذكم لجأ ، فتكونوا حصن المنيع ، وخطبه البديع فأما دخلت فيما دخل فيه الناس ، أو صرفتموهم عمما مالوا اليه .

وقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ولن بعدك من عقبك ، إذ كنت عم رسول الله ﷺ ، وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ ومكان أهلك ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم . وعلى رسلكم بني هاشم فإن رسول الله ﷺ منا ومنكم .

فاعترض كلامه عمر وخرج إلى مذهبة في الخشونة والوعيد واتيان الأمر من أصعب جهاته فقال أي والله وأخرى إنما نأتكم حاجة اليكم ، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم ، فيتفاقام الخطب بكم وبهم فأنظروا لأنفسكم ولعامتهم . ثم سكت .

فتكلم العباس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : إن الله ابعث محمداً نبياً كما وصفت ووليأً للمؤمنين ، فمن الله به على أمته حتى اختار له ما عنده ، فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبن للحق لا مائلين عنه بزيغ الهوى ، فان كنت برسول الله طلبت فحقنا اخذت ، وان كنت بالمؤمنين فنحن منهم ، ما تقدمنا في أمركم فرطاً ، ولا حلنا وسطاً ، ولا نزحنا شحطاً ، فإن يكن هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين ، فما وجب إذ كنا كارهين ، وما أبعد قوله : إنهم طعنوا من قولك إنهم مالوا إليك .

وَأَمّا مَا بَذَلْتُ فَإِنْ يَكُنْ حَقُّكَ أَعْطَيْتُنَاهُ فَأَمْسَكْتُهُ عَلَيْكَ، وَإِنْ يَكُنْ حَقُّ
الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُحْكِمَ فِيهِ، وَإِنْ يَكُنْ حَقُّنَا لَمْ نُرْضِ لَكَ بِعْضَهُ دُونَ بَعْضٍ.
وَمَا أَقُولُ هَذَا أَرُومُ صِرْفَكَ عَمَّا دَخَلْتَ فِيهِ، وَلَكِنْ لِلْحَجَةِ نَصِيبُهَا مِنَ الْبَيَانِ.
وَأَمّا قَوْلُكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَا وَمِنْكُمْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَجَرَةِ نَحْنُ
أَغْصَانُهَا وَأَنْتُمْ جِيرَانُهَا.

وأَمَّا قولك يا عمر انك تخاف الناس علينا ، فهذا الذي قدّمتمه أول ذلك
وبالله المستعان ... أهـ . فخرجوا يتعثرون بأذيال الخيبة والفشل ، ورأوا أن يرسّلوا
إليه المغيرة بن شعبه ثانية يعتذر لهم ، فأتاه فشار العباس متميّزاً غيظاً وقال له : لا
عذر الله من عذرك ، أعزب عنا لعنة الله عليك ولوه أبيات من الشعر قالها حين بويع
أبو بكر ويُمدح ابن أخيه الإمام وقد أعرّب فيها عن بلية حجته ومدى تأثيره
وعميق حزنه ، ولاشك أنّ ابن عباس سمعها من أبيه ووعاها ، ولست استبعد أنّه
من رواها ، وهي :

ماكنت أحسب أن الأمر منصرف
أليس أول من صلى لقبلكم
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن
مَن فيه ما في جميع الناس كلهم
ماذا الذي ردكم عنه فنعرفه
ولما كانت هذه هي مواقف العباس من أحداث تلك الفترة ، فكلها برأي
وبسم من ابنه عبد الله الذي حدث هو عن بعضها ، وعلى أساسها يمكننا تقييم

(١) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٧٤ . ولقد تقدم ذكر الاختلاف في نسبت هذه الآيات في المصادر فراجع (أدب العباس).

مواقفه في تلك الفترة ، وان ظهرت آثارها بوضوح أيام عمر حين كان يواجهه . على ما فيه من غلظة وعنجهية خلق . بكل صراحة وصرامة ، وستأتي صفحات احتجاجاته عليه في أمر الخلافة . وسنقرأ فيها نحو قوله : وأنت وصاحبك . يعني أبي بكر . اللدان انتزعتما الأمر منا دون الناس .

ونحو قوله : في حوار جرى بينهما قال فيه عمر : ما أرى صاحبك إلا مظلوماً . يعني علياً . فقال له ابن عباس : أردد إليه ظلامته .

ونحو قوله : حين قال عمر إنّه استصغره قومه فقال ابن عباس : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمره أن يأخذ براءة من أصحابك .

ونحو قوله : هلا استحدثتم سنة يوم الخندق اذا خرج عمرو بن عبد ود وقد كعم عنه الأبطال وتأخرت عنه الأشياخ ويوم بدر اذا كان يقط الأقران قطا ؟

ونحو قوله : هلا سبقتموه بالإسلام ؟

ويكفي أن يقرأ الباحث حواره مع عمر حين احتج عمر بالاختيار والإجماع على بيعة أبي بكر . فكان جواب ابن عباس له : وأما قولك أن قريشاً اختارت فأصابت وفاقت . فإن الله يقول : ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيرَةُ﴾^(١) وقد علمت أن الله اختار من خلقه لذلك من اختاره ، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها واختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها ، لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ولو فاقت وأصابت .

إلى غير ذلك مما ظهرت آثاره وسرت أخباره بعد تلك الفترة . وسنواتي في صفحات احتجاجاته بمزيد من الشواهد على أن آراؤه في احداث تلك الفترة كانت متطابقة تماماً مع آراء أبيه مع قوة الحجة ووضوح البيان وصدق البرهان ،

(١) القصص . ٦٨

على أنّ من نافلة القول الخوض في تحديد رأي الحبر في موضوع الخلافة ، أليس هو الذي كان يروي وصايا النبي ﷺ له أو لجماعة خاصة أو للMuslimين عامة ، في حق الخليفة الشرعي وقد مرت بنا شواهد على ذلك في عهد النبي الكريم ﷺ ، فراجع.

وممّا فاتنا ذكره في محله حديثه الذي رواه عنه التابعي الجليل سليم بن قيس الملالي وأثبته في كتابه السقيفة واليك نصه : قال سليم قلت لعبد الله بن العباس . وجابر بن عبد الله الانصاري إلى جنبه . شهدت النبي ﷺ عند موته ؟ قال : نعم ، لما ثقل رسول الله ﷺ جمع كلّ محتمل منبني عبد المطلب وامرأة وصي قد عقل ، فجمعهم جميعاً فلم يدخل معهم غيرهم إلا الزبير . فانما دخل مكان صافية . وعمر بن أبي سلمة^(١) وأسامة بن زيد ثم قال : إنّما هؤلاء الثلاثة من أهل البيت ، أسامة مولانا ومنا وقد كان رسول الله ﷺ استعمله على جيش عقد له . وفي ذلك الجيش أبو بكر وعمر ، فقال كلّ واحد منهم : لا ينتهي أمره ، فإنّه . النبي ﷺ . يستعمل علينا هذا الصبي .

فاستأذن أسامة رسول الله ليودّعه ويسلم عليه ، فوافق ذلك اجتماع بني هاشم فدخل معهم ، واستأذن أبو بكر وعمر أسامة ليسلم على النبي ﷺ فأذن لهم.

فلمّا دخل أسامة معنا وكان من أوسط بني هاشم وكان شديد الحبّ له . فقال رسول الله ﷺ لنسائه قمن عني فأخليني وأهل بيتي ، فقمن كلّهن إلا عائشة وحصة ، فنظر إليها رسول الله ﷺ وقال : أخلياني وأهل بيتي . فقامت عائشة آخذة بيد حصة وهي تذمر غضباً وتقول : قد أخليتك وإياهم فدخلتا بيتكاً من خشب . فقال رسول الله ﷺ يا أخي أفعدي ، فأقعده على طبلة وأسنده إلى نحره . فحمد الله

(١) وهذا المكان أمه أم سلمة زوج الرسول الكريم ﷺ وأحدى أمهات المؤمنين .

وأئنّى عليه ثم قال : يا بني عبد المطلب اتقوا الله واعبدوه واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا ولا تختلفوا ، إن الإسلام بُني على خمس : على الولاية ، والصلة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، والحج.

فأمّا الولاية : فللله ولرسوله وللمؤمنين الذين يؤتون الركبة وهو راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون.

قال ابن عباس : فجاء سلمان والمقداد وأبو ذر ، فأذن لهم رسول الله ﷺ مع بني عبد المطلب فقال سلمان : يا رسول الله للمؤمنين عامة أو خاصة لبعضهم ؟ . يعني الولاية ..

قال : بل خاصة لبعضهم الذين قرّنهم الله بنفسه ورسوله في غير آية من القرآن.

قال : من هم ؟

قال : أولاً هم وأفضّلهم وخيرهم هذا أخي عليّ بن أبي طالب . ووضع يده على رأس عليّ . ثم ابني هذا من بعده . ووضع يده على رأس الحسن بن عليّ . ابن أبي طالب . ثم ابني هذا من بعده . ووضع يده على رأس الحسين . والأوصياء تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد ، حبل الله المتين ، وعروته الوثقى ، هم حجة الله على خلقه ، وشهادته في أرضه ، من اطاعهم فقد أطاع الله ، ومن عصاهم فقد عصى الله وعصاين ، هم مع الكتاب ، والكتاب معهم لا يفارقهم ولا يفارقونه حتى يردوا على الحوض^(١).

(١) وصايا النبي ﷺ كثيرة وردت بالفاظ متفاوتة ومناسبات شتى ، وأحاديثها مروية عند الفريقين ، وحسبك منها حديث الثقلين الذي قرن فيه بين الكتاب والعترة كما في المتن وحديث الثقلين من الأحاديث المتوترة ، اخرجه من أئمة الصحاح والسنن : مسلم والترمذني وابن ماجه والنسيائي والحاكم ورزيق العبداني والحميداني وابن أبي شيبة وأبي

وعلى ضوء ذلك كان ابن عباس يصف علياً بأنه سيد الأوصياء^(١) كما في
كلامه مع معاوية بعد موت الامام الحسن عليهما السلام كما سيأتي.

وعلى ضوء ذلك أيضاً كان يقول : «ولقد عاتب الله أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في غير موضع وما ذكر علياً إلا بخير»^(٢) ، وفي هذا
كتاب أبلغ من التصريح بأن علياً هو لا غير الأحق بالأمر دون غيره من تولي
وسعي فيها سعياً والقرآن المجيد يقول لإبراهيم عليهما السلام : ﴿فَالْإِنْسَانُ لَمَّا
أَمَّا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمُونَ﴾^(٣).

يعنى وابن حبان وأحمد وابن سعد والذهبي والمعانى والطبراني وابن المغازى
والحمويين وأخطب خوارزم والمحب الطبرى والسيوطى والمهودى وابن حجر وغيرهم
وغيرهم وقد جمعت مصادره في بعض ما كتب فنافت على المائة . وقد كتب فيه غير
واحد من الاعلام كتاباً خاصاً وأوفى من استوفى الحجة الكبير صاحب كتاب العقبات
فقد خصه بمجلد كبير من مؤلفه القيم .

(١) مروج الذهب ٣ / ٨ ط مصر ترجمة محمد محي الدين عبد الحميد .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى / ١٧١ .

(٣) البقرة / ١٢٤ .

الفصل الثاني:

حبر الأمة في عهد أبي بكر



books.rafed.net

حرير الأمة في عهد أبي بكر :

لاشك أنّ ابن عباس وهو الذي عاش أحداث الفترة بين العهدين . عهد الرسالة وقد غربت شمسه بالأمس عن أفق المسلمين فأخذهم حلك الظلام في عهد أبي بكر الذي كثر فيه الخدام . قد وعى جميع الملابسات التي أحاطت بمسألة الخلافة . بدءاً من حديث الرزية ومقوله : «حسينا كتاب الله» فكانت الصدمة التي لم ينسها طيلة حياته ، وكان يعبر عنها بالرزية كلّ الرزية ، ويذكر حتى ييل دمعه الحصباء وقد مر بنا تفصيل ذلك . وهذا هو اليوم في عهد أبي بكر يسمع البيان الخليفي يمنع الحديث عن رسول الله ﷺ ، وطرح مقوله مشابهة لما مرّ وهي قولوا : «بیننا ویینکم کتاب الله» ولئن تمّ هذا فيعني الحصار التام على السنة النبوية في إطار ما يراه الحكم . فلا بدّ من مواجهة تلك المعضلة ، وهذا ما قام به حرير الأمة بكل جرأة فلنقرأ البيان الخليفي أولاً ثم نقرأ ما قام به هذا الحرير . وبالتالي استبعاد الحديث الذي عند أهل البيت .

روى الذهبي في تذكرة الحفاظ فقال : «ومن مراسيل ابن أبي ملکيّة أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبیّهم فقال : إنّکم تحدّثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدهم أشدّ اختلافاً ، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم قولوا بیننا ویینکم کتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه ... أه»^(١) .

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٣٠٢

ثم قال الذهبي : فهذا المرسل يدلّك انّ مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحرّي ، لا سدّ بباب الرواية .
 ونقول له ولغيره من علماء التبرير : النص المنقول لا يحتمل التأويل (فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله) هذا ما قاله أبو بكر للMuslimين بعد وفاة نبيّهم !
 فلنقرأ ما قام به ابن عباس لردّ عادية الحصار :

فقد أخرج ابن سعد في طبقاته وفي ترجمة ابن عباس^(١) خبراً بسند قال عنه السلمي : «إسناده صحيح» والخبر عن ابن عباس قال : «لما قبض رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قلت لرجل من الأنصار هل ممّ فلنسأّل أصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم إنّهم اليوم كثير ، فقال : واعجباً لك يا بن عباس أترى الناس يفتقرن إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من فيهم ؟
 قال فترك الرجل ذاك ، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم عن الحديث ، فإنّ كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتي بابه وهو قائل^(٢) فأتوسّد ردائى على بابه تسفي الريح علىّ من التراب ، فيخرج فيراني فيقول يا بن عم رسول الله ما جاء بك إلا أرسلت إلى فاتيك .
 فأقول : لا أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث .

فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رأني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني ،
 فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني»^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد ١ / ١٣٧ تتح محمد حامد السلمي الطبعة الخامسة .

(٢) في المعرفة والتاريخ للفسوسي ١ / ٥٤١ : كان ابن عباس يقول لأخ له من الأنصار اذهب بنا إلى أصحابه ... وسائل يعني نائم القيلولة .

(٣) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ / ١٢١ ط ليدن .

وهذا الخبر قبل التعليق عليه نبّه القارئ إلى أنّه رواه كلّ من أَحْمَدُ بْنُ حَبْلَ^(١) ، وَالْفَسْوِيُّ^(٢) ، وَالْحَاكَمُ^(٣) وَصَحَّحَهُ عَلَى شَرْطِ الشِّيخِيْنَ ، وَأَقْرَهَ الْذَّهَبِيَّ فِي التَّلْخِيْصِ ، وَرَوَاهُ الْهَيْشَمِيُّ^(٤) وَقَالَ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ ، وَالْطَّبَرَانِيُّ^(٥) ، وَالْدَّارَمِيُّ^(٦) ، وَالْذَّهَبِيُّ^(٧) . وَغَيْرُهُمْ وَغَيْرُهُمْ . فَهَذَا الْخَبْرُ عَنْهُ مَرْوِيٌّ لَا شَكَ فِيهِ .

وَالآن إِلَى قِرَاءَةِ مَتَّائِيَّةٍ فِي جَمِلَاتِهِ لِنَعْرِفَ مَغْزِيَ ذَلِكَ مِنْهُ :

- ١ - تصرّيحةً بأنّ بدأ نشاطه في طلب الحديث كانت بعدما قبض رسول الله ﷺ وهذا يعني أنّه نشط متزامناً مع منع البيان الخليفي من التحدّيث ، فهل يعني ذلك منه عملية تحدي وخوف ضياع الحديث لو كتم الأفواه خوفاً . فنشط لجمع ما يمكنه جمعه ؟ ولم لا يكون ذلك كذلك .
- ٢ - محاورته الرجل الأنصاري ليشاركه في طلب الحديث وسماعه من أصحاب رسول الله ﷺ ولا بد أن يكون ذلك الرجل من أسنانه من صغار الصحابة^(٨) فدعاه لما يحييه فأبى عليه ساخراً ، فلماذا دعاه ؟ ألم يردّ الطلب فحسب ؟ أم أنه أراده شريكاً في السمع ليكون معه شاهداً على ذلك في المستقبل المجهول وغير المنظور لو دعت الحاجة إلى الإشتّهاد به ؟

(١) فضائل الصحابة / رقم ١٩٢٥.

(٢) المعرفة والتاريخ ١ / ٥٤٢.

(٣) مستدرك الحاكم ٣ / ٥٣٨.

(٤) مجمع الزوائد ٩ / ٢٧٧.

(٥) المعجم الكبير ١٠ / ٢٤٤ ط الثانية بالموصل.

(٦) سنن الدارمي ١ / ١٤١.

(٧) سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٤٦.

(٨) جاء في المعرفة للفساوي ١ / ٥٤١ : كان ابن عباس يقول لأخْ لَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ : اذهب بنا إلى أصحاب رسول الله ﷺ ...

٣ . إصراره على المضي في عزمه الذي لم يبطئه تواني الرجل الأنصاري ولا سخريته ، فأقبل وحده يستقرئه من أصحاب رسول الله ﷺ من يبلغه عنه الحديث فيأتي بابه ، ويتوسد رداءه حتى يخرج إليه ، فهل كانت تلك العملية مجرد طلب حديث عند ذلك الصحابي ، ومجرد أدب من ابن عباس فلم يزعجه ويخوجه بل يتوسد رداءه وتسمى عليه الريح بالتراب ؟ إنها لسذاجة في التفسير ، واستغفال في التفكير ، فهو وإن نم فعله عن أدب جم وتواضع للعلم ، ولكنه لا يخلو من وسيلة إعلامية نقديّة للبيان الخليفي المانع من التحدّث ، فمن يراه على باب الصحابي بتلك الصفة يثير تساؤله ماذا يصنع هنا ؟ ويكون الجواب : لاشك إنه جاء يطلب الحديث عند صاحب الدار ، كيف هذا وال الخليفة قد جمع الناس ومنعهم من التحدّث ! إذن فابن عباس وهو في سنّة الفتية ، وأمعيته الغيّة قام بدور مناهض للسلطة من دون أن يثير حوله الشكوك المريّة : وهذا منه عمل يستحق الإمعان فيه.

وليس من المرجو للباحث في تاريخ تلك الحقبة أن يجد الشيء الكثير مما يخص عبد الله بن عباس حبر الأمة خصوصاً وهو بعد في سنّ الشباب الفتية وثمة من أهل بيته من هم أكبر سنّاً وأكثر فضلاً وشأنًا مثل الإمام أمير المؤمنين علیه السلام ومثل أبيه العباس بن عبد المطلب الشخصية الثانية بعد الإمام المنظور إليه في أسرته . وهم جميعاً من المعارضة التي نقمت تولية أبي بكر ولم تبايعه إلا بعد موت السيدة فاطمة علیها السلام .

وإذا عرّفنا التاريخ أن ثمة نفثات لبعض بنى هاشم أعلنا فيها سخطهم كما مر عن الإمام علي علیه السلام وعن العباس فليس يعني ذلك أن نجد الكثير لابن عباس وهو في سنّة مما يظهر شخصيته ، وثبتت لنا استقلاله وذاتيته في ذلك ويكفي أنا

عرفنا كما سبق أنّه كان من أبناء العباس الذين لم يبايعوا إلّا بعد أن بايع أبوهم العباس ، وأبوهم العباس لم يبايع إلّا بعد أن بايع الإمام علي عليهما السلام ، والإمام لم يبايع إلّا بعد موت الصديقة فاطمة عليهما السلام ، وبعد أن انصرفت وجوه الناس عنه^(١).

إذن ليس من عجب إذا لم نجد لابن عباس كثيراً ممّا يخصه حول تلك الحوادث سوى ما هو معلوم وثبت لسائر أبناء الهاشمين من إتباعهم لآبائهم في آرائهم حول الخليفة والخلافة والتي كانت تحظى بتوجيهه أو مباركة من الإمام علي عليهما السلام ، وما نجده لغيره من أولئك الأبناء في بعض المواقف ما يظهر ذاتيّتهم الشخصية المستقلة ، كما يروى عن موقف لأخيه الفضل بن العباس حين خرج إلى المسجد بعد بيعة السقيفة وقال : «يا عشر قريش إنّه ما حقت لكم الخلافة بالتمويله ، ونحن أهلها دونكم ، وصاحبنا أولى بها منكم». فهو لم يكن ليتكلم لو لم يأذن له الإمام أمير المؤمنين علي عليهما السلام ، وكذلك جميعبني هاشم لم يكونوا يتتكلمون إلّا بأمره ، ويستكتون عند نهيه.

وإليك ما يؤكّد ذلك :

فقد روى الزبير بن بكار عن ابن إسحاق أنّ أبا بكر لما بويع افتخرت تيم ابن مرة ، قال : وكان عامّة المهاجرين وجّل الأنصار لا يشكّون أنّ علياً هو صاحب

(١) روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة . حديث مطالبة فاطمة الزهراء عليهما السلام لأبي بكر بميراثها من رسول الله ﷺ ، إلى أن قالت عائشة : فأبي أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً ، فوحّدت فاطمة على أبي بكر في ذلك ، فهجرته ولم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر ، فلما توفيت دفنت زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بمحابي أبو بكر وصلى عليهما وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت أستنكر عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومباعته ... وروى ذلك ابن الدبيع الشيباني في تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٢ / ٥٥ عن الشيخين وفيه فقال رجل للزهري فلم يبايعه عليّ ستة أشهر ؟ فقال : والله ولا أحد منبني هاشم.

الأمر بعد رسول الله ﷺ ، فقال الفضل بن العباس : يامعشر قريش وخصوصاً يا بني تميم إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة ونحن أهلها دونكم ، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكان تكراهية الناس أعظم من كراحتهم لغيرنا ، حسداً منهم لنا وحقداً علينا ، وإنما نعلم أنّ عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه.

وقال بعض ولد أبي هلب بن عبد المطلب شعراً :

ما كنت احسب أنّ الأمر منصرف
أليس أول من صلّى لقبتكم
وأقرب الناس عهداً بالنجيّ ومن
من فيه ما فيه لا يمترون به
ماذا الذي ردّهم عنه فتعلمه
عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
وأعلم الناس بالقرآن والسنن
جبريل عون له في الغسل والكفن
وليس في القوم ما فيه من الحسن
ها ان ذا غبن من أعظم العَبَّان

وروى الزبير أيضاً حديث الفتنة التي ألقحها عمرو بن العاص بين المهاجرين والأنصار حين نال من الأنصار في المسجد وأفحش القول، ثم رأى الفضل بن العباس فندم على ما قال للخ Olympia التي بين ولد عبد المطلب وبين الأنصار، وأن الأنصار كانت تعظم علياً وتحتفظ بإسمه حينئذٍ، فقال الفضل: يا عمرو انه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك، وليس لنا أن نحييك وأبو الحسن شاهد بالمدينة، إلا أن يأمرنا فنفعنا^(٢).

(١) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٨ - ٩.

(٢) نفس المصدر / ١٤ ، والموفيقات / ٥٩٥ - ٥٩٨.

وروى الزبير أيضاً قال : وقال عليٌ للفضل يا فضل انصار بلسانك ويدك ، فإِنَّمَا منك وإنْكَ منهم ، ثم ذكر أشعاراً في مدحهم قالها الفضل ، أعجزت حسان بن ثابت أن يتحرى قوافيه فقال وقد طلبو منه أن يمدحبني هاشم رداً للإحسان : كيف أصنع بجوابه إن لم أتحرر قوافيه فضحي فرويداً حتى أقفوا أثراً في القوافي^(١).

وعلى ضوء هذا النمط من الالتزام ، وعدم جواز الكلام ، إلا بموافقة من الإمام. يمكننا تفسير ما نجده عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من حضور منظور ، ومقام له فيه مقال ، ورأي تستتبعه فعال.

وهذا كما يدل على أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كانت مواقف مشهودة وان كانت محدودة فهو يدل على قوة شخصية ذلك الغلام ، في ثبات جنانه وقوته إيمانه ، مما ميزه على الكثير من هم أكبر منه سنًا من سائر الصحابة ، ويكشف عن جرأة في إسماع كلمة الحق مع ما أوتي من فهم وعلم.

وهلّم فأقرأ ما رواه كل من ابن دريد^(٢) ، والمقربي الكبير^(٣) ، والفتوني العاملمي^(٤) ، وابن شاذان^(٥) ، والديلمي^(٦) ، والبياضي^(٧) ، والمجلسـي^(٨) ، وابن بابويه^(٩) ، والعاصمي^(١٠).

(١) نفس المصدر.

(٢) المجننى / ٣٥ ط حيدر آباد.

(٣) نفح الطيب / ٧ / ٢١٢ ط مصر نقلأً عن محاضرات المقربي الكبير.

(٤) ضياء العالمين للفتوبي (نسخة مصورة) بمكتبة.

(٥) الفضائل / ١٢٢ ط حجرية.

(٦) إرشاد القلوب / ٢ / ١١٨ ط النجف.

(٧) الصراط المستقيم ٢ / ١٤ مط الحيدري بایران.

(٨) بحار الأنوار ٨ / ١٩١ ط الكمباني حجرية.

(٩) التوحيد / ٣٨٥ ط الحجرية سنة ١٣٢١ بسنده عن الإمام الحسين عليه السلام.

(١٠) زين الفتى للعاصمي بمكتبة المرحوم الشيخ الأميني قدس سره.

واللَّفْظُ لِلأوَّلِ بِرَوَايَةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : «أَقْبَلَ يَهُودِيٌّ بَعْدَ وَفَاتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : أَيْنَ وَصَّيَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَأَشَارَ الْقَوْمَ إِلَى أَبِيهِ بَكْرٍ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ أَشْيَاءِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصَّيَ نَبِيًّا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : سَلْ عَمَا بَدَلَكَ .

قال اليهودي : اخبرني عما ليس لله ، وعما ليس عند الله ، وعما لا يعلمه الله.

فقال أبو بكر : هذه مسائل الزنادقة يا يهودي ، وهم أبو بكر وال المسلمين بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باليهودي.

فقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما أنصفتم الرجل.

فقال أبو بكر : أما سمعت ما تكلّم به ؟

فقال ابن عباس : إن كان عندكم جوابه وإلا فاذهبو به إلى عليٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجيبه ، فما قيل له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينأى طالب : اللَّهُمَّ اهد قليه ، وثبت لسانه.

قال : فقام أبو يكـر ومن حضره حتى أتوا عليهـ بن أبي طالب فاستأذنوا عليهـ.

فقال أبو بكر : يا أبا الحسن إن هذا اليهودي سأله مسائل الزنادقة . فقال علي : ما تقول يا يهودي ؟ قال أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي ، فقال له : قال ، فرد اليهودي المسائل .

فقال عليٰ عليه السلام : أَمَا مَا لَا يعلمه الله ، فذلك قولكم يا معاشر اليهود : إِنَّ الْعَزِيزَ
ابن الله ، والله لا يعلم أَنَّ لَه ولدًا . وأَمَا قولك : اخبرني بما ليس عند الله ، فليس عنده
ظلم للعباد . وأَمَا قولك : اخبرني بما ليس لله فليس له شريك .

فقال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، وأنك وصي رسول الله ﷺ . فقال أبو بكر وال المسلمين لعلي عليه السلام : يا مفرج الكرب». فَلِلَّهِ الْحُكْمُ وَالْمُسْتَبْدَلُ

وما يدل على نحو ما سبق أيضاً ما أخرجه الشيخ ابن بابويه الصدوق في كتابه الخصال^(١)، والدليلي في الإرشاد^(٢) واللفظ لهما معاً وباسناد الأول عن ابن عباس قال : «قدم يهوديان أخوان من رؤساء اليهود بالمدينة فقالا : يا قوم إنّ نبينا حُذّثنا عنه انه يظهر نبي بتهمة يسّفه احلام اليهود ، ويطعن في دينهم ، ونحن نخاف أن يزيلنا عما كان عليه آباؤنا ، فأيكم هذا النبي؟ فإن يكن الذي بشر به داود آمنا به وأتبعناه ، وإن لم يكن وكان يورد الكلام على ائتلافه ويقول الشعر ، ويقهرنا بلسانه ، جاهدناه بأنفسنا وأموالنا ، فأيكم هذا النبي؟

قال المهاجرون والأنصار : إنّ نبينا ﷺ قد قبض.

فقالا : الحمد لله ، فأيكم وصيه؟ فما بعث عَبْرَانَ نبياً إلى قوم إلا ولهم وصيّ يؤدي عنه من بعده ، ويحكي عنه ما أمره ربّه.

فأقاموا المهاجرون والأنصار إلى أبي بكر فقالوا : هو وصيه.

فقالا لأبي بكر : إننا نلقي عليك من المسائل ما يلقى على الأوصياء ، ونسألك عمّا تسأل الأوصياء عنه.

قال لهم أبو بكر : ألقيا ما شئتما أخبركم بما بجوابه إن شاء الله.

قال أحدهما : ما أنا وأنت عند الله عَزَّوجَلَّ؟

وما نفس في نفس ليس بينهما رحم ولا قرابة؟

وما قبر سار بصاحبه؟

ومن أين تطلع الشمس وفي أين تغرب؟

وأين طلعت الشمس ثم لم تطلع فيه بعد ذلك؟

(١) الخصال / ٥٦٠ باب الواحد إلى المائة ط الحيدريّة.

(٢) إرشاد القلوب ٢ / ١١٩ ط الحيدريّة ط الأولى.

وأين تكون الجنة ؟
وأين تكون النار ؟
وربك يحمل أو يُحمل ؟
وأين يكون وجه ربك ؟
وما اثنان شاهدان ؟
وما اثنان غائبان ؟
وما اثنان متباغضان ؟

وما الواحد ؟ وما الاثنين ؟ وما الثلاثة ؟ وما الأربع ؟ وما الخمسة ؟ وما الستة ؟
وما السبعة ؟ وما الثمانية ؟ وما التسعة ؟ وما العشرة ؟ وما الأحد عشر ؟ وما الاثنا عشر ؟ وما العشرون ؟ وما الثلاثون ؟ وما الأربعون ؟ وما الخمسون ؟ وما الستون ؟
وما الستون ؟ وما السبعون ؟ وما الشمانون ؟ وما التسعون ؟ وما المائة ؟

قال ابن عباس : فبقى أبو بكر لا يرد جواباً ، فتخوفنا أن يرتد القوم عن الإسلام ، فأتيت منزل عليّ ابن أبي طالب عليهما السلام ، فقلت له : يا عليّ أن رؤساء اليهود قد قدموا المدينة وألقوا على أبي بكر مسائل فبقى أبو بكر لا يرد جواباً. فتبسم عليّ عليهما السلام ضاحكاً ، ثم قال : هو اليوم الذي وعدني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي أمامي وأخطأ مشيته من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى قعد في الموضع الذي كان يقعد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم التفت إلى اليهوديين فقال : يا يهوديان أدنوها مني وألقيا عليّ ما أقيتماه على الشيخ .

فقالا : ومن أنت ؟ فقال لهم : أنا عليّ ابن أبي طالب بن عبد المطلب أخو النبي وزوج ابنته فاطمة وأبو الحسن والحسين ، ووصيه في حالاته كلها ، وصاحب كل منقبة وعز ، وموضع سر النبي صلى الله عليه وسلم .

فقال له أحد اليهوديين : ما أنا وأنت عند الله ؟

قال : أنا مؤمن منذ عرفت نفسي ، وأنت كافر منذ عرفت نفسك ، فما أدرى ما يحدث الله فيك يا يهودي بعد ذلك.

فقال اليهودي : فما نفس في نفس ليس بينهما رحم ولا قرابة ؟

قال : ذاك يونس عليه السلام في بطن الحوت.

قال : فما قبر سار بصاحبه ؟

قال : يonus حين طاف به الحوت في سبعة أجر.

قال له : فالشمس من أين تطلع ؟

قال : من بين قرني الشيطان.

قال : فأين تغرب ؟

قال : في عين حمة ، وقال لي حبيبي رسول الله ﷺ (لا تصل في إقاها ولا في إدارها حتى تصير مقدار رمح أو رحيم).

قال : فأين طلعت الشمس لم تطلع في ذلك الموضع ؟

قال : في البحر حين فلقه الله تعالى لبني اسرائيل لقوم موسى عليه السلام .

قال : فربك يحمل ؟ أو يُحمل ؟

قال : إن رب عَزِيز يحمل كل شيء بقدرته ولا يحمله شيء.

قال : فكيف قوله عَزِيز وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً^(١) ؟

قال : يا يهودي ألم تعلم أن الله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، فكل شيء على الثرى ، والثرى على القدرة ، والقدرة تحمل كل

شيء.

(١) الحافة / ١٧ .

قال : فأين تكون الجنة ؟ وأين تكون النار ؟

قال : أمّا الجنة ففي السماء وأمّا النار ففي الأرض.

قال : فأين يكون وجه ربك ؟

فقال عليّ بن أبي طالب عليهما السلام : يا بن عباس إتني بدار وحطب ، فأتيته بدار وحطب فأضرمهما ثم قال : يا يهودي أين يكون وجه هذه النار ؟
قال : لا أقف لها على وجه.

قال : فان ربّي عزّوجل عن هذا المثل ، وله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فشم وجه الله .

فقال له : ما اثنان شاهدان ؟

قال : السماوات والأرض لا يغيبان ساعة.

قال : فما اثنان غائبان ؟

قال : الموت والحياة لا يوقف عليهما.

قال : فما اثنان متباغضان ؟

قال : الليل والنهر.

قال : فما الواحد ؟

قال : الله عزّوجل .

قال : فما الاثنين ؟

قال : آدم وحواء.

قال : فما الثلاثة ؟

قال : كذبت النصارى على الله عَزَّجَلَ ف قالوا : ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾^(١) عيسى ابن مريم ابن الله ، والله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

قال : مما الأربعة ؟

قال : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم.

قال : مما الخامسة ؟

قال : خمس صلوات مفترضات.

قال : مما الستة ؟

قال : خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش.

قال : مما السابعة ؟

قال : سبعة أبواب النار متطابقات.

قال : مما الشمانية ؟

قال : ثمانية أبواب الجنة.

قال : مما التسعة ؟

قال : تسعه رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

قال : مما العشرة ؟

قال : عشرة أيام العشر.

قال : مما الأحد عشر ؟

قال : قول يوسف لأبيه ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين﴾^(٢).

(١) المائدة / ٧٣ .

(٢) يوسف / ٤ .

قال : فما الاثنا عشر ؟

قال : شهور السنة.

قال : فما العشرون ؟

قال : بيع يوسف بعشرين درهماً.

قال : فما الثلاثون ؟

قال : ثلاثون يوماً شهر رمضان ، وصيامه فرض واجب على كل مؤمن إلا من كان مريضاً أو على سفر.

قال : فما الأربعون ؟

قال : كان ميقات موسى عليه السلام ثلاثون ليلة فأتمها الله عزوجل بعشر ، فتم ميقات ربه أربعين ليلة.

قال : فما الخمسون ؟

قال : دعا نوح قومه لبث ألف سنة إلا خمسين عاماً.

قال : فما الستون ؟

قال : قول الله عزوجل في كفارة الظهار (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً إذا لم يقدر على صيام شهرين متتابعين).

قال : فما السبعون ؟

قال : اختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقات ربه عزوجل .

قال : فما الثمانين ؟

قال : قرية بالجزيرة يقال لها ثمانون ، منها قعد نوح عليه السلام في السفينة واستوت على الجودي ، وأغرق الله القوم.

قال : فما التسعون ؟

قال : الفلك المشحون اخذ نوح عليهما تسعين بيتاً للبهائم.

قال : فما المائة ؟

قال : كان أجل داود عليهما سنتين سنة فوهب له آدم عليهما أربعين عاماً سنة من عمره ، فلما حضرت آدم عليهما الوفاة جحد ، فجحد ذريته.

فقال له : يا شاب صف لي محمداً كأني أنظر إليه ، حتى أؤمن به الساعة.

فبكى أمير المؤمنين عليهما ثم قال : يا يهودي هيّجت أحرازاني ، كان حبيبي رسول الله ﷺ صلت الجبين ، مقرنون الحاجبين ، أدعج العينين ، سهل الخدين ، أقنى الأنف ، دقيق المسربة ، كث اللحية ، براق الثنايا ، كان عنقه ابريق فضة ، كان له شعيرات من لبته إلى سرتته ملفوفة كأنها قضيب كافور ، لم يكن في بدنـه شعيرات غيرها ، لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير النزر ، كان إذا مشى مع الناس غمرهم بنوره وكان إذا مشى كأنه يتقلع من صخر أو ينحدر من صبب ، كان مدور الكعبين ، لطيف القدمين ، دقيق الخصر ، عمامته السحاب ، وسيفه ذوالفقار ، وبغلته دلدل ، وحماره اليعفور ، وناقهـه العضباء ، وفرسهـه لزار ، وقضيه المشوق. وكان عليهما أشفق الناس على الناس ، وأرأف الناس بالناس ، كان بين كتفيه خاتم النبوة ، مكتوب على الخاتم سطران : أَمَا أَوْلُ سُطْرٍ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَمَا ثَانِي

فمحمد رسول الله. هذه صفتـه يا يهودي.

فقال اليهوديان : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنك وصي محمد حقاً فأسلمـما وحسنـما إسلامـهما ولزماـ أمير المؤمنين عليهما فكانـما معـه حتىـ كانـ منـ أمرـ الجـملـ ماـ كانـ فـخـرجـاـ معـهـ إلىـ البـصـرةـ ، فـقـتـلـ أحـدـهـماـ فيـ وـقـعـةـ الجـملـ وبـقـيـ الآـخـرـ حتـىـ خـرـجـ معـهـ إلىـ صـفـينـ فـقـتـلـ بـصـفـينـ ... أـهـ».

فظهر لنا بوضوح أن حبر الأمة عبد الله بن عباس كان في فترة حكم أبي بكر من يحضر المسجد مع علية الصحابة ، ويرى ما يحدث ، ويسمع ما يقال ، وربما شارك عند الحاجة على صغر سنه في قولٍ كما في الشاهد الأول ، أو عمل كما في الشاهد الثاني . ومن خلال ذلك نعرف معنى قوله لابن الزير بعد ما يقرب من نصف قرن : « والله مانطقت عند والقط من الولاة أحسن عندي ولا أصغر حظاً منك ، قد والله نطقت غلاماً عند رسول الله ﷺ ، وعند أبي بكر وهو يتعجب لتوقيق الله إياي ... »^(١).

إذن فمن يتكلّم عند أبي بكر فيعجبه ويتعجب منه كيف كان نطقه وهو غلام؟ وعلى ضوء هذا نستطيع أن نحدد أولى نشاطاته السياسية بتلك الفترة. وهذا يدل على ما تتمتع به من حصافة الرأي وتمام الوعي وتكامل الشخصية. ولا يفوتنا أن نشير إلى ما يدل على نحو استقلال مكانته بشكل وبآخر. وذلك نحو ما ورد في وصية الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام عند وفاتها. فقد أوصت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعدة وصايا ومنها ما يتعلق بمن يشهد جنازتها ومن لا يشهد. وكان من بين الذين سمعتهم بأن يحضروا هو الحبر عبد الله بن عباس كما روى ذلك الطبراني الإمامي^(٢) ، وورد نحو ذلك في ناسخ التوارييخ^(٣).

(١) أخبار الدولة العباسية / ١١٦ ، وأنساب الأشراف / ٣ / ١٩٩ . ٢٠٠ ط القاهرة وسائل الحوار في صفحة احتجاجاته.

(٢) دلائل الإمامة / ١٤ ط النجف . ١٢٤

(٣) ناسخ التواریخ ٤ / ١٩٢ فی أحوال الزهراء علیہ السلام .

أَمَا عن رأيه الشخصي في أبي بكر وولايته ، فهو وإن لم يفصح عنه في حينه ، إلا أنه أوضح عنه بعد ذلك حسب الظروف المؤاتية لذلك. وقد سبق أن قلنا انه أيام ولاية أبي بكر كان هو وسائر بنى هاشم تبعاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

ولولا أستباق ذكر الأحداث التي عايشها حبر الأمة عبد الله بن عباس رض بعد عهد أبي بكر وأوضح فيها عن رأيه الشخصي في أبي بكر وولايته ، لذكرت الشواهد على ذلك ، ولكن لنا أن نشير إلى بعضها :

١ - من ذلك ما جرى بينه وبين عبد الله بن صفوان بن أمية ، وكان ذلك في أيام عمر ، فقد سأله ابن صفوان وقال له : كيف ترون ولاية هذا الأخلاقي ؟ فقال ابن عباس : ولاية صاحبه المطبي خيراً من ولايته.

وقد أشار كلّ منهما إلى حادث مهم من الأحداث قبل الإسلام ، كان فيه تحالف بين بعض بطون قريش ضد بعضها الآخر.

وذلك أنّ الرياسة كانت في بني عبد مناف ، والمحاجبة كانت في بني عبد الدار ، فأراد بنو عبد مناف أن يأخذوا ما لبني عبد الدار ، فتحالف بنو عبد الدار ببني سهم لمنعهم ، فعمدت أم حكيم بنت عبد المطلب إلى جفنة فملأوها خلوقاً. وهو الطيب. ووضعتها في الحجر ، وقالت : من تطيب بهذا فهو منا ، فتطيّبت به بنو عبد مناف وأسد وزهرة وتيم ، فسمّوا المطيين ، فالمطبي أبو بكر لأنّه من تيم.

ونحر بنو سهم جزوراً وقالوا : من أدخل يده في دمه فهو منا ، فأدخلت أيديها بنو سهم وبنو عبد الدار وجمع وعدى ومحزوم ، وتحالفوا ، فسمّوا الأحلاف ولعنة الدم فالأخلاقي هو عمر لأنّه من عدى^(١).

(١) راجع بشأن ذلك كتب السيرة لابن هشام وابن كثير والخلبي وزيني دحلان ، ولاحظ الفائق للزخشري ١ / ١٤٥ ط حيدر آباد ، وحمل أنساب الأشراف للبلاذري ١ / ٦٣ تحرر سهيل زكار

فهذا شاهد له دلالته في تفضيل ولاية أبي بكر على ولاية عمر ، بالرغم مما كان لابن عباس عند عمر من مكانة مرموقة أغضبت بعض شيوخ المهاجرين حتى قالوا لعمر في ذلك وعاتبواه ، فقال لهم : ذاك فتى الكهول ، له لسان سئول وقلب عقوله . وسألته الحديث تمامه في محله .

وَمَا ذُكْرَنَا مِنْ شَاهِدٍ عَلَى رأْيِهِ فِي تَفْضِيلِ وَلَاهِيَةِ أَبِي بَكْرٍ عَلَى وَلَاهِيَةِ عُمَرٍ ،
لَا يَعْنِي بِالضُّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ

٢ . رأيه الشخصي في أبي بكر نفسه كذلك . فقد ورد في حديث جري بينه وبين عائشة بنت أبي بكر بعد أكثر من ربع قرن ، وكان حديثاً موجعاً للطرفين ، حيث نفت عائشة بما كشف عن دخيلة نفسها أزاء بنى هاشم وبعضها حتى للبلد الذي هم فيه . وكانت تلك نفحة موجعة لقلب ابن عباس فرداً عليها قائلاً : فوالله ماذا بلأنا عندك ، ولا بصنعتنا إليك .

إِنَّا جَعَلْنَاكَ لِلْمُؤْمِنِينَ أُمَّاً وَأَنْتَ بُنْتُ أُمَّ رُومَانَ ، وَجَعَلْنَا أَبَاكَ صَدِيقًا وَهُوَ ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ ، فَأَوْجَعَهَا ذَلِكَ فَبَكَتْ حَتَّى سَمِعَ نَشِيجَهَا^(١).

٣. وله كلام وصف فيه أبا بكر بقوله : كان كالطائر الحذر ، له في كل وجهه حياء ، كان يخاف اكابر عباده (٢)

وإنّ ما يروى عنه من كلام وصف فيه أبا بكر وعمر وعثمان والإمام وأباء العباس . فأحسن: الوصف والثناء عليهم فهو علّ ذمة الرّواة^(١).

(١) ستائي المحاورة مفصلة بعد ذكر حرب الجمل مع ذكر مصادرها.

(٢) محاضرات الراغب / ١٧٨ ط مصر الأولى.

وهذه الشواهد لا تعني أيضاً بالضرورة أنه يرى صحة خلافة الشيختين ، بل أنه كان يجهز برأيه خصوصاً في أيام عمر وأيام معاوية وستأتي مجاجاته وفيها شيء الكثير ما يدل على ذلك.

وبخسبي أن أشير إلى فقرة من كلام له طويل جرى بينه وبين معاوية جاء فيه :
 ٤ . «أَمَا تِيمُ وَعْدِي فَقَدْ سَلَبُونَا سُلْطَانَنَا نَبِيَّنَا ﷺ ، عَدُوَّا عَلَيْنَا فَظَلَمُونَا ، وَشَفَوْا صَدُورَ أَعْدَاءِ النَّبِيِّنَا»^(٢).

وستأتي احتجاجاته وفيها الشواهد الكثيرة الكثيرة.

استخلاف أبي بكر لعمر :

ذكر الطبرى^(٣) بسانده عن محمد بن إبراهيم بن الحارث قال : «دعا أبو بكر عثمان خالياً فقال : اكتب :
 بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين.
 أمّا بعد .

ثم أغمى عليه ، فذهب عنه ، فكتب عثمان : أمّا بعد فاني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً منه. ثم أفاق أبو بكر ، فقال : اقرأ علىي ، فقرأ عليه. فكير أبو بكر وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن أفلتت نفسى في غشىي ! قال : نعم ، قال جراوك الله خيراً عن الإسلام وأهله ، وأقرها أبو بكر عليه السلام من هذا الموضع .

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣ / ٦٠ تخرّج محمد محيي الدين عبد الحميد وأخبار الدولة العباسية / ٦٩ . ٧٢ بتحقيق الدكتورين الدوري والمطلي .

(٢) أنظر أخبار الدولة العباسية / ٤٩ تخرّج الدوري والمطلي .

(٣) تاريخ الطبرى ٣ / ٤٢٩ تخرّج محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار المعارف ط الثالثة .

ويدخل عليه جماعة من الصحابة فيهم عثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وآخرون. فيقول له ابن عوف أصبت بارئاً ، فقال أبو بكر : أتراء ؟ قال : نعم ، قال أبو بكر : أما اني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم عشر المهاجرين أشد عليّ من وجعي ، وليت أمركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم أنفه من ذلك ، يريد أن يكون الأمر له دونه ثم أنهى كلامه وأنتم أول ضال بالناس غداً فتصدorum عن الطريق يميناً وشمالاً ، يا هادي الطريق جرت إنما هو الفجر أو البحر^(١) قال ذلك معرضاً من نقم عهده إلى عمر ، وكان منهم طلحة إذ قال له تستخلف علينا عمر فظاً غليظاً ، ولو قد ولينا كان أفظ وأغلظ ، فما تقول لربك إذ لقيته^(٢).

أمّا عمر فقد كان هو يجلس الناس بجريدة وفى لفظ وبهذه عسيب نخل وهو يقول : أيها الناس أسمعوا وأطعوا لقول خليفة رسول الله ﷺ ، إنه يقول لكم إني لم آلكم نصحاً.

قال قيس . راوي الحديث . ومعه مولى لأبي بكر يقال له شديد معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر»^(٣).

ومّا يشير التساؤل حول موقف عمر عند موت أبي بكر وإجباره الناس على السمع والطاعة وضربهم بالجريدة . وبعسيب النخل على قبول ما جاء في

(١) في بعض الروايات (أو البحر) بالمهملة (الفائق للزمخشري ١ / ٤٥) ، والبحر : الأمر العظيم ، المعنى ان أنتظرت حتى يضيء لك الفجر أبصرت الطريق ، وان خطبت الظلماء أفضت بك إلى المكروه.

(٢) كنز العمال ٣ / ١٤٦ ، وراجع كتاب الخراج لأبي يوسف وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبرى ٣ / ٤٣٣ ط دار المعارف والعقد الفريد والزمخشري في الفائق وغيرهما من المصادر تحدد نحو ذلك نصاً أو مضموناً.

(٣) تاريخ الطبرى ٣ / ٤٢٩ ، ومناقب عمر لأبن الجوزي / ٥٥ ط بيروت.

وصية أبي بكر من استخلافه ، ولم يرمي بالهجر كما رمى به رسول الله ﷺ عند موته ، على أنّ أبا بكر غشي عليه ولم يأمر بكتابه أسم عمر ، وإنما كتبه عثمان ، ولما أفاق أبو بكر وقرأ عليه عثمان أمضى ما كتبه ، وقد روى عمر له ذلك الجميل فرده حين أحكم له أمره بالشوري .

ثم ما بال رسول الله ﷺ لا تسمع وصيته عند موته ؟ وتسمع وصية أبي بكر ؟
وما بال أبي بكر الذي أغمي عليه فذهب عنه ، لا يوصف بالهجر وما يشينه ؟

تناقضات في المواقف ، ليس لها جواب عند المؤالف فضلاً عن المخالف .

ثم ما بال البيعة التي لا تتم إلا بسوق الناس بالجريدة يقال عنها اتّمت بالإختيار ففي يوم السقيفة كان عمر ومن معه يسوقون الناس بعسيب التخل ، واليوم يسوقهم بجريدة وبعسيب التخل مع ذلك يقال للأجيال إنّها اتّمت بالإختيار ، ومهما يكن فقد مات أبو بكر ، وتولى الأمر بعده عمر بالصورة التي رواها المؤرخون . واستفتح خلافته خطبة قال فيها : إني قائل كلمات فأمنّوا عليهم ، فكان أول منطق نطق به حين أستخلف قال : إنّما مثل العرب مثل جمل أنيف أتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقود ، وأمّا أنا فورب الكعبة لأحملنّهم على الطريق^(١) وهنا موطن الغرابة والعجب . وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب علیه السلام . فيما عجباً بينما هو يستقىلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها ، فصيّرها في حوزة خشناه يغلظ كلمها ، ويخشّن مسّها ، ويكثر العثار فيها ، والإعتذار منها ، فصاحبها كراكب

(١) نفس المصدر ٣٣٣ / ٣ .

الصعبة ، إن أشنق لها حَرْم ، وإن أسلس لها تفَحّم ، فمني الناس لعمر الله بخبط وشطاس ، وتلون واعتراض^(١).

وخير ما نختتم به كلامنا ما صح عن النبي ﷺ من قوله : (من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى الله منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)^(٢) ، وقوله ﷺ الآخر : (من استعمل عاملاً على المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين)^(٣).

(١) نهج البلاغة بشرح محمد عبده ١ / ٢٥٠٢٦ ط دار الاستقامة.

(٢) كنز العمال ٣ / ١٩٢ .

(٣) نفس المصدر ٣ / ٢٠٣ .

الفصل الثالث:

حبر الأمة في عهد عمر



books.rafed.net

ثلاث مسائل بين يدي البحث :

قبل الدخول في الحديث عن حياة حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في عهد عمر بن الخطاب ، لا بد لنا من مقدمة نستوحى منها بعض المؤشرات على قوة نشاط الحبر في ذلك العهد. ونتعرف من خلالها أسباب ذلك التمازج العملي . إن صح التعبير . مع شدة التناحر الفكري بين الشخصين ، خصوصاً في أمر الخلافة التي هي بداية الخلاف في الأمة ، والتي كان ابن عباس يقول فيها بالنص ، وكان عمر يقول فيها بالاختيار. فهما على طرفي نقیض في تلك النقطة المهمة ، ومن ذلك نعرف مدى التباعد بين الرؤى في العقيدة عند الرجلين مع شدة التقارب بين الشخصين في الحضر والسفر بينما يرى عمر ما رأه أبو بكر ، ورأيهما رأي المخالفين التابعين لهما والقائلين بالإختيار .
يرى ابن عباس ما يراه أهل البيت جميعاً من قبل ومن بعد وهم القائلون بالنص .

وما دام الحال كذلك فلماذا فضل ابن عباس إمرة المطيّبي . وهو أبو بكر على إمرة الأخلافي . وهو عمر . كما مر آنفًا ففرق بينهما مع أهمها في الموى والرؤى سواء ؟

ثم ما هي العوامل التي أدت إلى التنازع وتبادل الثقة بين ابن عباس وبين عمر حتى صارت صدقة ، وكل منهما لا يزال على رأيه وعند موقفه في مسألة الخلافة ؟ إلا أن اختلاف الرأي لا يفسد في الود قضية ؟ كما يقول أحمد شوقي .

وأخيراً كيف رضي بنو هاشم وعلى رأسهم سيدهم أمير المؤمنين عليهما السلام أن يكون ابن عباس لصيقاً بعمر في ورده وصدره ، ورفقاً له في حاضره وسفره ؟ هذه ثلاث مسائل يجب أن نبحثها ، ونعرف الجواب عليها ، قبل الحديث عن حياة ابن عباس في عهد عمر.

المسألة الأولى :

في تفضيل ابن عباس ولایة أبي بكر على ولایة عمر ، وهما معاً متفقان رأياً في الخلافة ، وخلافة الثاني إنما هي فرع خلافة الأول. ورأى ابن عباس على خلافهما في مسألة الخلافة ، لماذا اذن ذلك التفضيل لولایة الأول على ولایة الثاني ، مع أنه حصلت له الحضرة عند الثاني أكثر مما كانت له عند الأول ؟

ولمعرفة الجواب لا بد لنا من المام بمقارنة عادة بين فترتي العهدين ، ومعايشة ابن عباس فيهما لكل واحد من الشيختين. فنقول : لقد مرت بنا معرفة حياته في عهد أبي بكر ، فهو لم يكن فيها إلا واحداً من سائر بنى هاشم . وهو وشيعتهم كانوا جبهة المعارضة . وكان يومئذ منضواً تحت لواء أبيه العباس كسائر أخوته وأهل بيته ، وهم جميعاً إنما يضمهم كنف الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام ، فهم جميعاً له تبع فعن رأيه يصدرون ، وبأمره يعملون.

أما في عهد عمر فقد كانت حياته أكثر افتتاحاً وأوسع انساناً ، وكان أكثر التصاقاً بعمر منه بأبي بكر وله عند عمر حضور وجود ، مشهود ومعدود ، بل وعليه محسود ، من قبل بعض شيوخ المهاجرين ، كما ستأتي الإشارة إلى ذلك في محلها.

فقد احتل مكانة في نفس عمر لم يحصل عليها ولا ابنه عبد الله بن عمر ، فقد كان هو الوحيد من بين أقرانه سناً الذي يحضر مجلس شورى عمر (الخاص) ، وهو المفضل رأياً في مجلس شوراه (العام) ، وهو صاحبه في الحضرة ، وهو رفيقه في السفر ، وكان عمر يعتد برأيه ويرأده بقوله.

وكذلك كان ابن عباس مطمناً . باعتداد . إلى رسوخ مكانته عند عمر ، فكان يجرأ على مخاصمته ، ويقوى على مجادلته ، ويوسعه من الحجة ما يضيق معها صدره ، ومع ذلك يحتمل منه عمر ما لم يحتمل من غيره ؟ !

فمن كان بهذه الثابة والمنزلة لماذا يفضل ولاية أبي بكر على ولاية عمر ، وهو لم يحصل في ولاية أبي بكر على مثل ذلك ؟ ويكون جوابه لابن صفوان :

لإمرة المطبيين كانت أفضل من إمرة الأحلاف^(١) لماذا ذلك ؟

قد يقول قائل : إنَّ ابن عباس إنما فضل ولاية أبي بكر ، لأنَّما كانا معاً من المطبيين ، وذلك حسب الأعراف القبلية السائدة يومئذ ، وهي نزعة كانت قبل الإسلام على أساس التحالف ، ثم بقيت آثارها تظهر بين حينٍ وآخر حين تشتد الخصومات ، وتعالى الأصوات في المنازعات . وقد بقيت آثارها حتى بعد ذلك العهد ، ويجدر الباحث أثراً لها في خصومة وقعت وللهأشمين حضور في مجلس معاوية وذلك ما جرى بين أُسامة بن زيد وعمرو بن عثمان في حائط من حيطان المدينة وادعاه كلّ منهما ، فتلاحيَا وتفاخرا ، حتى أنشطروا الحاضرون فقام مروان وسعيد بن العاص وجلسا إلى جنب عمرو بن عثمان وقام الحسن بن عليٍّ وبعد الله بن جعفر وجلسا إلى جنب أُسامة ، وحسّم النزاع معاوية وحكم بالحائط لأُسامة خشية من بني هاشم أن يتفاقم الخطب^(٢) .

(١) جمل أنساب الأشراف للبلادرى ١ / ١٦٣ تتحـ د سهيل زكارود . رياض زركلي ط بيروت .

(٢) أمالى المفيد كما في بحار الأنوار ٤٤ / ١٠٧ ط الحديثة .

وفي نظري أنَّ هذا التصور ليس كافياً وحده أن يكون سبب التفضيل بشيء ولا لأنَّ ابن عباس كان أسمى من أن ينصح مثل تلك الأعراف ، بل لأجل ما رأى من قلة المفارقات والتناقضات في الأحكام في إمرة المطيبي ، لقصر مدتها وتفاقمها أضعاف مضاعفة في إمرة الأخلافي لطول المدة ، مضافاً إلى ما بين طبيعة كلِّ من الرجلين من تفاوت في اللين عند الأول والشدة عند الثاني. وما أكثر شواهد ذلك ، وبحسب القارئ أن يعرف أنَّ لعمر كانت درة يخفق بها الرؤوس حتى صارت مضرب المثل بأنها أهيب في صدور الناس من سيف الحجاج^(١) بينما لم يكن لأبي بكر درة ولا ذرة ، فسالمته نفوس كثيرة ، بينما كان عمر يأخذ الناس بالشدة والعنف ، وقليل ما هم الذين كانوا يجرأون فيقولون له ابتداءً ما ينبغي وما لا ينبغي.

فهذا الجانب فيما أحسبه هو الذي جعل ابن عباس يفضل إمرة أبي بكر على إمرة عمر ، لأنَّه كان يعاني من عمر شدته مع افتقاره العلمي خصوصاً في الأحكام ، فكان يغير ويبدل بما جرى على لسانه ، حتى حفظ عنه راوٍ واحد وهو عبيدة السلماني مائة قضية في الجد كلُّها ينقض بعضها بعضاً^(٢) وهذا ليس افتئات أو افتراء منه على عمر. فان عمر نفسه كان يقول : «إِنَّ قَضَيْتُ فِي الْجَدِ قَضَايَا مُخْلِفَةً كُلُّهَا لَا أَلُو فِيهِ عَنِ الْحَقِّ، وَلَئِنْ عَشْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى الصِّيفِ لِأَقْضِينَ فِيهَا قَضِيَّةً تَقْضِي بِهِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ عَلَى ذِيلِهَا» ! وسيأتي مزيد بيان عن تناقضات عمر في الأحكام وموقف ابن عباس منها.

(١) كلمة قاها الشعبي كما في ثمار القلوب للتعالي / ٨٥ ، ونقلها الدميري في حياة الحيوان في ترجمة عمر.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٦ / ٢٤٥ ط حيدر اباد ، ومصنف عبد الرزاق ١٠ / ٢٦٢ .

وهذا الجانب هو الذي أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في الشقشيقية : «فُمْنِي النَّاسُ لِعُمُرِ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشَمَاسٍ وَتَلَوْنَ وَاعْتَرَاضٍ ، فَصَرِيتُ عَلَى طُولِ الْمَدَةِ وَشَدَّةِ الْمَحْنَةِ»^(١).

وقد ذكر ابن عبد البر ، وابن حجر ، وابن عبد ربه ، وغيرهم : «أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ الْجَارُودُ الْعَبْدِيُّ ، فَإِذَا بِامْرَأَةَ بَرْزَةً ضَخْمَةَ الْجَثَّةِ . عَلَى الطَّرِيقِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا عُمَرُ ، فَرَدَتْ عَلَيْهِ . وَقَالَتْ : هَيَّاهَا يَا عُمَرَ ، عَهْدَتْكَ تَسْمَى عُمَيرًا فِي سُوقِ عَكَاظِ ثُرَّعِ الصَّبَيَانِ بِعَصَاكَ ، فَلَمْ تَذَهَّبِ الأَيَّامُ حَتَّى سَمِيتَ عُمَرَ ، ثُمَّ لَمْ تَذَهَّبِ الأَيَّامُ حَتَّى سَمِيتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَقَ اللَّهُ فِي الرُّعْيَةِ ، وَاعْلَمَ أَنَّهُ مِنْ خَافِ الْوَعِيدِ قَرْبَ عَلِيهِ الْبَعِيدِ ، وَمِنْ خَافِ الْمَوْتِ خَشِيَ الْفَوْتِ ...»^(٢).

فهذا شاهد آخر على شدة المحنـة في أيام عمر وهذا الجانب الذي يستدعـي انتـباـه امرـأـة من المسلمين كـيف لا يستـدعـي انتـباـه حـبرـ الأمـةـ وهو يـقـاسـي معانـاةـ صـحبـةـ الرـجـلـ معـ شـعـورـهـ بالـمـسـؤـولـيـةـ.

لـذـلـكـ كانـتـ اـمـرـأـةـ المـطـيـبيـ . وـهـوـ أـبـوـ بـكـرـ . أـفـضـلـ مـنـ اـمـرـأـةـ الـأـحـلـافـيـ . وـهـوـ عـمـرـ . لـقـلـةـ المـفارـقـاتـ فيـ الـأـوـلـىـ وـكـثـرـتـهاـ فيـ الـثـانـيـةـ.

المـسـأـلةـ الثـانـيـةـ :

في مـعـرـفـةـ الدـوـاعـيـ الـّـيـ توـفـرـتـ لـدـىـ اـبـنـ عـبـاسـ وـلـدـىـ عـمـرـ حـتـىـ بـدـاـ بـيـنـهـمـاـ التـالـفـ ظـاهـراـ فيـ بـعـضـ الـجـالـاتـ ، مـعـ بـيـنـهـمـاـ مـنـ تـفاـوتـ فيـ السـنـ فـانـ سـنـ عـمـرـ يـوـمـ تـوـلـيـ الـحـكـمـ يـزـيدـ عـلـىـ الـأـرـبعـينـ بـسـنـينـ ، وـسـنـ اـبـنـ عـبـاسـ لـمـ يـلـغـ الـعـشـرـينـ

(١) نـجـحـ الـبـلـاغـةـ (الـخـطـبـةـ الشـقـشـيقـيـةـ).

(٢) أـنـظـرـ الـاستـيعـابـ ١ـ /ـ ٢٩١ـ ،ـ وـالـإـصـابـةـ ٤ـ /ـ ٢٩٠ـ ،ـ وـالـعـقـدـ الفـرـيدـ ١ـ /ـ ٣٢٢ـ .

بسنين ومن البدهي اختلاف الإدراك لدى الشاب والكهل ، مضافاً إلى اختلاف النشأة والتربية ، ولا ننسى الشعور بالتفاضل بين البيتين ، فهذا من بني هاشم صفة الخلائق وذاك من بني عدي ، والأهم من هذا كلّه هو الخلاف في مسألة الخلافة ، وما هي الأسباب التي جعلت عمر يثق بابن عباس فيختصه دون غيره ، فيتخاذل منه المستشار المؤمن ومفرعه عند المحن ، فيقول له إذا أعضله أمر : غص يا غواص. مع علمه بأن ابن عباس هو من الماشيدين وأبن شيخهم ، ولا يزال يراهم العنصر المعارض لإمرته وإمرة صاحبه من قبل ، وهو الذي كان قد أستبعدهم عن الساحة فأبعد الخلافة عنهم بكل جهد مستطاع ، وبتعبير أصح حتى أبعدهم عن الخلافة ، فكيف الحال هذه يطمئن إلى واحد منهم مثل ابن عباس وهو في فقهه وعلمه وحصافة رأيه ، فيقرّبه ويثق به ؟

ثم ما هي العوامل التي فرضت نفسها على ابن عباس أن يكون مع عمر بالمنزلة التي بلغها ، وهو من بني هاشم الذين كانوا جميعاً وبلا استثناء يرون في عمر وصاحبه من قبل ظالمين لهم وغاصبين لحقهم ، وقد كشف لعمر مراراً عن دخلة نفسه وحقيقة رأيه ، وقد مرت الإشارة إلى ذلك ، وسيأتي مزيد من احتجاجاته عليه التي يقي فيها عمر مخصوصاً لا يدرى ما يأخذ وما يذر ؟

والجواب على كل تلك التساؤلات يبدو واضحاً من عرف الرجلين أيام تعايشهما : فقد كانت هناك مصالح متبادلة بينهما . وتبادل المصلحة يجمع بين المتضادين رأياً وعقيدة في سبيل تحقيق مصلحة ما تعود على كلّ منهما بالنفع ، فيتفقان على العمل للبلوغ المهدى المنشود ، مع أن لكل وجهة هو مولىها . وهكذا كان ابن عباس وعمر . فابن عباس رأى في عمر الخليفة الذي بيده مقاليد الأمور ، فمن الخير له ولمصلحة الأمة أن يكون معه بالموضع الذي يمكنه من قوله الحق

وأداء ما يجب عليه مما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم وإن عانى ما عانى.

كما أنّ عمر رأى في ابن عباس من القابلات والمؤهلات ما تحمله على أن يقرّبه ويصطفيه صاحباً ناصحاً يسده عند الحاجة ، وما أكثر الحاجات يومئذ فقد اتسعت رقعة البلاد الإسلامية ، وكثرت الوفادة على مركز الخلافة ، ثم بحثة المسلمين في معايشهم ، كل ذلك فيه دواع ليكون مع عمر من يساعده في سد العوز الذي كان عنده من الجانب العلمي ، فان قدرته العلمية كانت محدودة. فهو بقدر ما أُتي من حول وطول ، وقوّة في السياسة ، وحكمة وحزم في الإدارة ، إلّا أنّه كان ضعيفاً أمام المعضلات الفقهية فلا يجد لها حلاً دون الاستعانة بالصحاباة ، وليس في ذلك تجنّ علىه ، وقد مرّ بنا قوله : «كُلُّ النَّاسِ أَعْلَمُ مِنْ عُمْرٍ»^(١) ، وقوله : «كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمْرٍ»^(٢) ، وقوله : «كُلُّ أَحَدٍ أَفْقَهُ مِنِّي» قال ذلك ثلاثاً^(٣) ، ومرّ قريباً بعض آرائه في مسألة ميراث الجد الذي قضى فيها . مراراً . أقضية ينقض بعضها بعضاً^(٤) حتى قال السيوطي في الأشباه والنظائر : «وعلتْه أَنَّه لِيُسْتَهْدَى بِأَقْوَى مِنَ الْأَوَّلِ ، فَإِنَّهُ يُؤْدِي إِلَى أَنَّهُ لَا يُسْتَقْرِئُ حَكْمُهُ ، وَفِي ذَلِكَ مُشَكَّةٌ شَدِيدَةٌ ، فَإِنَّهُ إِذَا نَقَضَ هَذَا الْحَكْمَ نَقَضَ ذَلِكَ النَّقْضَ وَهَلَمْ جَرَأً»^(٥) .

(١) تفسير الكشاف ٢ / ٤٤٥ .

(٢) شرح النهج ١ / ٦١ .

(٣) الرياض النصرة ٢ / ٥٧ .

(٤) قال عبيدة السلماني : لقد حفظت من عمر بن الخطاب فيها . مسألة الجد . مائة قضية مختلفة . راجع المصنف لعبد الرزاق ٢٦٢ / ١٠ فقال ابن سيرين متوججاً : عن عمر ؟ قال عن عمر أخرجه الدارمي في سننه ٣٨٩ ، والبيهقي في سننه ٢٤٢ / ٦ .

(٥) الأشباه والنظائر ١٠١ .

وتبقى حاجة عمر إلى ابن عباس لكتفاته العلمية وقابليته على تسدideه حتى اعترف هو له بذلك ، وأخذ ذلك الجاحظ فقال في رسالة نفي التشبيه : « ولو لم يعرف . عمر . ذلك . نفي التشبيه . إلّا بعد الله بن العباس وحده كان ذلك كافياً ، ويرهاناً شافياً ، فإن الأعجوبة فيه أربت على كلّ عجب ، وقطعـت كلّ سبب ، وقد رأيتم حاجة عمر إليه ، واستشارته إياه ، وتقويمه لعثمان وتغييره عليه . ولو لم يكن للفضيلة من بين أقرانه مستحـقاً ، وبـها مخصوصاً ما خصـه الرسول ﷺ بالدعوة المستجابة ، ولـما خصـه بـعلم الكتاب والسنة ، وهـما أرفعـ العلم وأشرفـ الفكر . ويـذلك على تقديمـه للـغاية ، واـيشـارـه لـالـتعلـم والإـستـبانـة قولـه حين قـيلـ لهـ فيـ حدـاثـته وـقبلـ الـبلغـ فيـ سـنـهـ : ماـ الـذـي آتـاكـ هـذـا الـعـلـمـ وـهـذـا الـبـيـانـ وـالـفـهـمـ ؟ـ قالـ : قـلبـ عـقـولـ وـلـسانـ سـؤـولـ»^(١).

لـذلك لا عـجـبـ أنـ اـخـذـلـهـ بـجـالـسـ شـورـىـ مـنـ الصـحـابـةـ مـنـ أـهـلـ بـدرـ يـسـأـلـهـ عـنـدـمـاـ تـضـيقـ بـهـ السـبـلـ ، وـتـتوـالـىـ عـلـيـهـ الـعـضـلـ .ـ وـلـاـكـانـ أـوـلـكـ الصـحـابـةـ لـمـ يـكـونـواـ كـلـهـمـ كـمـاـ يـنـبـغـيـ ،ـ كـانـ عـلـيـهـ أـنـ يـخـتـارـ مـنـهـمـ مـنـ يـشـقـ بـعـلـمـهـ وـفـهـمـهـ فـيـخـتـصـهـ لـيـكـونـ عـنـدـهـ وـمـعـهـ فـيـ غـالـبـ أـوـقـاتـهـ حـضـرـاـ وـسـفـرـاـ .ـ فـكـانـ ذـلـكـ هـوـ اـبـنـ عـبـاسـ فـلـمـ يـرـ مـانـعـاـ مـنـ تـقـرـيـهـ ،ـ عـلـىـ مـاـ بـيـنـهـمـاـ مـنـ إـخـتـلـافـ فـيـ الرـأـيـ فـيـ مـسـأـلـةـ الـخـلـافـةـ .ـ وـتـفـاوـتـ فـيـ الـأـخـلـاقـ مـنـ الـفـاظـةـ إـلـىـ الـوـادـعـةـ.

ولـعلـ هـنـاكـ جـانـبـاـ آـخـرـ كـانـ لـهـ حـسـابـهـ فـيـ نـفـسـ عـمـرـ فـهـوـ يـرـىـ فـيـ تـقـرـيـهـ لـابـنـ عـبـاسـ إـجـرـاءـ فـيـهـ تـطـيـبـ لـقـلـوبـ الـهـاشـمـيـنـ وـنـخـوـ تـخـفـيـفـ لـمـاـ فـيـ نـفـوسـهـمـ مـنـ مـعـانـةـ فـوـتـ الـخـلـافـةـ ،ـ وـعـلـىـ كـلـ تـقـدـيرـ فـهـوـ إـجـرـاءـ فـيـهـ حـنـكـةـ سـيـاسـيـةـ لـاـ تـخلـوـ مـنـ أـثـرـ فـاعـلـ .ـ

(١) رسائل الجاحظ ١ / ٣٠٠ تـحـ عبدـ السـلامـ محمدـ هـارـونـ.

ولعل ابن عباس نفسه أيضاً كان كذلك إذ لم يكن عازفاً كل العزوف عن ذلك التقريب ، بل لعله كان راغباً في تقوية أواصر تلك العلاقة مع عمر ، يستحوذ على شعوره بتبادل المودة ليتسنى له أن يقول لذلك الخليفة القوي المهاب والفظ الغليظ ما يسعه أن قوله أحياناً في أمر الخلافة وغيرها ، فهو ينفّس عن نفسه وبنفس الوقت يُشعر عمر بأنه لا يزال عند رأيه فيه وأنه غاصب لحق بنى هاشم ، ولا ننسى جوابه لعمر حين قال له : ما أرى صاحبك إلا مظلوماً : قال ابن عباس : فاردد إليه ظلامته. إلى غير ذلك من احتجاجات سوف يأتي ذكرها إن شاء الله.

إذن فشمة تبادل مصالح عامة ومصالح خاصة هي التي قربت بين الرجلين ، فحصل تناغم وليس بتفاهم ، وكان كلّ منهما مغبوطاً على صحة الآخر ، وإن لم يكن ابن عباس مغبظاً بعمر كما كان عمر مغبظاً به. لكنها المصالح المتبادلة تجمع بين المتضادين ، كما يقولون.

المسألة الثالثة :

في معرفة موقف بنى هاشم وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليهما السلام من تقريب عمر لابن عباس ، وقبول الثاني بذلك التقريب. وحضوره عنده ر بما يعني حضوراً لهم. ولو على أضعف الوجوه. وبالتالي سيكون رصيداً لعمر يستفيد منه في ولايته ، وإن لم يضفي عليه الشرعية الكاملة ، فهل رضي بنو هاشم بذلك؟ والجواب لا يخفى على من له إلمام بتاريخ الهاشميين في عهد أبي بكر ، فهم جميعاً لم يبايعوه إلا بعد أن ضرع الإمام لمبايعته وذلك بعد موت فاطمة الزهراء عليها السلام ، وحدد ذلك غير واحد أنه بعد ستة أشهر.

ومن عرف سيرهم في فترة حكم أبي بكر عرف أئمّهم لم يكونوا في آرائهم يعدون رأي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فهم على شاكلته وطوع أمره ونحیه في تعاملهم مع أبي بكر ، فإذا نطقوا بأمره ينطبقون ، وإذا سكتوا فبنهيه يسكتون ، ولم يكن لأيّ منهم نحو إستقلال تام يخالف به الإمام عليه السلام . وقد مرت بنا شواهد على ذلك ، فليستذكرها القارئ ويقرأ ما قاله الإمام للفضل بن العباس ولبعض ولد عتبة بن أبي هب ، من أمر ونحی .

إذن هل من المعقول أو المقبول أن يكون ابن عباس بداعاً من أهله في تعامله مع الخالفين !

أليس هو واحداً من تلك الدوحة الهاشمية ، إن لم يكن مميزاً على كثير من أهل بيته سيرة ومنهاجاً ، وقوة وحجاجاً . فلماذا لا يكون تعامله مع عمر عن رضا الإمام عليه السلام ؟ خصوصاً وإنّه لم يرد في شيء من التاريخ ما ينبيء عن سخط أو عدم رضا عن ذلك التصرف والتعامل .

ولماذا لا يكون ذلك فوق الرضا بل عن إذن الإمام عليه السلام وبأمره ؟ فابن عباس لديه قابليات ومواهب حصلت ببركة دعاء النبي ﷺ له بالحكمة والتأنق والفقه والفهم ، وقد مر ذلك فيما سبق .

وأيضاً فهو من أولاد الإمام عليه السلام عنایة خاصة حيث كان يخصه في مسجد الرسول ﷺ بمحاضراته في التفسير والفقه^(١) وهو من يعتمد عليه ، وفيه صلاحية لأن يكون مع عمر ليسدده فيما يحتاج إلى التسديد ، ولا يعني في حضوره عنده التأييد .

(١) مختصر تاريخ العرب ط التمدن الإسلامي للسيد أمير علي .

وكم قرأنا من شواهد في تسديد الإمام عليه السلام لعمر حين يكون في المسجد وتحدث حادثة لم يعرف عمر حكمها فيرجع إلى الإمام إذ يحضره فيستفتيه ، ويكتفي شهراً ما قاله عمر : «لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب»^(١) و «لولا عليّ هلك عمر»^(٢) وغير ذلك ، أمّا حين لا يكون عليّ حاضراً ، فلا بدّ له من بديل عنه ليعتمد عليه لسد ذلك الفراغ عند الخليفة ، فمن هو إن لم يكن عبد الله بن عباس في علمه ولمعيته ، وفهمه ولو ذعيته ، ليسد تلك الفجوة ، على ما بين بني هاشم وبينه من الجفوة.

ولأنّ مصلحة الإسلام فوق كلّ شيء في معايير أهل البيت وحسيناً ما مرّ من قول الإمام عليه السلام : سلام الدين أحب إلينا.

وستأتي شواهد تدل على أنّ الإمام عليه السلام أمر ابن عباس مرة بالقيام مع عمر ومصاحبه حين مرّ بما يفرده وأنّه بلغه محاججة له معه فسرّه ذلك. ويؤكّد ما أراه من أنّ ابن عباس كان عند رضا أهل البيت في مصاحبه لعمر. وصيحة أبيه العباس له فقد قال له : أنت أعلم مني ولكنني أشدّ تجربة للأمور منك وأنّ هذا الرجل يعني عمر . قد قرّبك وقدّمك ، فلا تفش له سراً. ولا تغتب عنده مسلماً ، ولا تحدثه بشيء حتى يسألك عنه.

لقد مررت هذه الوصية في أواخر ترجمة العباس مع ذكر مصادرها ، فراجع.

(١) ذخائر العقبي / ٨٠ ، والرياض النضرة / ٢ / ١٩٧ ، والأذكياء لابن الجوزي / ١٨ ، ومناقب الخوارزمي / ٦٠ ط حجرية ، وتدكرة سبط ابن الجوزي / ٨٧ .

(٢) الأربعين للفخر الرازي / ٤٦٦ ، ومناقب الخوارزمي / ٤٨ ط حجرية ، والرياض النضرة / ٢ / ١٩٢ ، وذخائر العقبي / ٨٠ كلامها للمحب الطيري.

الخبر مع عمر :

بعد ما قدمناه من المسائل الثلاث بين يدي البحث عن تاريخ حبر الأمة في عهد عمر. فعليينا أن نستعرض الجوانب ذات الدلالة على مكانته عند عمر ، في الحضر وفي السفر.

أمّا في معاишته له في الحضر . وهي أكثر مدة خلافة عمر . فقد كان ملازماً له كثيراً حتى أتخذه أحد مستشاريه في مجلس الشورى . كما سيأتي . وحتى قال بعضهم عنه : «وكان الغالب على عمر»^(١) ، وقال بعضهم : «وكان على شرطته»^(٢) وهو قول ليس له نصيب من الصحة ، ويذكره ما رواه محمد بن حبيب الهاشمي : «إنّ أول من اتخذ صاحب شرطة هو عثمان بن عفان»^(٣).

ولعل السبب في ذلك الوهم هو ما يجده الباحث في تاريخهما متصاحبين من اتصال وثيق وحضور فاعل لابن عباس على الصعيدين العلمي والعملي ، بحيث كان غيابه يؤثر على المؤسسة الحاكمة .
والآن إلى قراءة بعض النصوص الدالة على ذلك :

نصوص ذات دلالة :

١ . عن ابن عمر قال : إنّ عمر دعا ابن عباس فقربه ، وكان يقول : إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسح على رأسك وتفل في فيك وقال : (اللهُمَّ فقهه في الدين وعلّمه التأويل)^(٤) .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٧ ط الحيدريه.

(٢) نفس المصدر ٢ / ١٣٧ .

(٣) الخبر ٣٧٣ ط حيدرآباد.

(٤) الإصابة ٢ / ٣٢٢ ط مصطفى محمد بمصر.

- ٢ . عن عمر إِنَّه قال لِهِ : «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَصْبَحَ فَتِيَانًا وَجْهًا ، وَأَحْسَنُهُمْ عُقْلًا ، وَأَفْقَهُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَ»^(١) .
- ٣ . عن سعد بن أبي وقاص : «وَلَقَدْ رَأَيْتَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَابَ يَدْعُوهُ . لَابْنِ عَبَّاسٍ . لِلْمَعْضَلَاتِ ثُمَّ يَقُولُ : عَنْدَكَ قَدْ جَاءَتْكَ مَعْضَلَةٌ ، ثُمَّ لَا يَجُوزُ قَوْلُهُ ، وَانْحِلَّ لِلْأَهْلِ بَدْرٌ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»^(٢) .
- ٤ . عن أبي الزناد : «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَابَ دَخَلَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَعُودُهُ وَقَدْ حُمِّ فَقَالَ لِهِ عُمَرٌ : أَخْلُّ بَنَا مَرْضَكَ فَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَ»^(٣) .
- ٥ . إِنَّ عُمَرَ قَالَ لِهِ : «قَدْ طَرَأْتَ عَلَيْنَا عُضْلٌ أَقْضِيَةُ أَنْتَ لَهَا وَلَأْمَلَهَا ، فَإِذَا قَالَ فِيهَا رَضِيَ قَوْلُهُ»^(٤) .
- ٦ . عن ابن عباس قال : «دَعَانِي عُمَرٌ فَإِذَا حَصَرَ بَيْنَ يَدِيهِ الْذَّهَبَ مُنْثُرًا كَثِيرًا فَأَمْرَنِي بِقُسْمِهِ»^(٥) . وَقَالَ : «هَلْمٌ فَاقْسِمْ هَذَا بَيْنَ قَوْمِكَ ...»^(٦) .
- ٧ . عن ابن عباس قال : «دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَابِ يَوْمًا فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسَأَلَةٍ كَتَبَ إِلَيْهِ بَهَا يَعْلَى بْنَ أَمِيَّةَ مِنَ الْيَمِّينِ ، وَأَجْبَتْهُ فِيهَا ، فَقَالَ عُمَرٌ : أَشْهُدُ أَنَّكَ تَنْطَقُ عَنْ بَيْتِ نَبِيٍّ»^(٧) .

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي ١ / ٥٣٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ / ١٢٢ ط ليدن.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ / ١٢٣ ، وكتنز العمال ٧ / ٥٣ ط الأولى حيدر آباد.

(٤) أنساب الأشراف (ترجمة ابن عباس) ، اعلام الموقعين ١ / ١٤ ط المنيرية ، وزاد أحمد في فضائل الصحابة / ١٩١٣ : (وَمَا كَانَ يَدْعُونَ لِذَلِكَ أَحَدًا سَوَاهِ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْعُضْلَ).

(٥) الفائق للزمخشري ١ / ١٢١ ط حيدر آباد. والحق هو دقائق التبن لأن الريح تحشوه حشوًّا.

(٦) طبقات ابن سعد ٢ ق ١ / ٢١٨.

(٧) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ / ١٢٢ ط ليدن.

٨ . عن يعقوب بن يزيد قال : «كان عمر بن الخطاب يستشير عبد الله بن عباس في الأمر إذا أهله ويقول : غص غواص»^(١).

٩ . أخرج أحمد بن حنبل في فضائله بسنده : «كان عمر يوماً جالساً وعنده العباس فسئل عمر عن مسألة فقال فيها ، ققام إليه ابن عباس فسأله فقال : يا أمير المؤمنين ليس الأمر هكذا ، فأقبل عمر على العباس فقال : يا أبا الفضل بارك الله لك في عبد الله ، إني قد أمرته على نفسي ، فإذا أخطأ فليأخذ عليّ»^(٢).

١٠ . وعزى عبد الله بن عباس عمر بن الخطاب في بُني لـه صغير فقال : «عوْضك منه ما عَوْضَه اللَّهُ مِنْكَ»^(٣) . وقد أخذ ابن عباس التعزية من كلمة الإمام علي لـه بمولدـه صغير قد مات فقال عليه السلام : (لصيـة في غيرك لك أجرها أحب إلىـك من مصـية فيك لـغـيرك ثوابـها ، فـكان لك الأـجر لاـبك ، وـحسن لك العـزـاء لاـعنـك ، وـعـوـضـك اللـهـ عـنـهـ مـثـلـ الـذـيـ عـوـضـهـ مـنـكـ)ـ^(٤)ـ.

الخبر في مجلس شورى عمر :

١. أخرج الفسوبي بسنده عن ابن عباس قال : «دعاني عمر وكان يدعوني مع أشياخ أصحاب محمد حتى كان بعضهم يجد من ذلك في نفسه ، وقد كان أمرني أن لا أتكلم حتى يتكلموا .

قال : فدعاني وهم عنده فقال : إنكم قد علمتم ما قال رسول الله ﷺ في ليلة القدر اطلبوها في العشر الأواخر وتراً . ففي أيِّ العشر ترونها ؟

(١) نفس المصدر (الطبقة الخامسة / ترجمة ابن عباس) ١ / ١٤١ ته السلمي.

(٢) فضائل الصحابة ٢ / ٩٨٢ برقم ١٩٤٢ ط مؤسسة الرسالة ١٤٠٣ بيروت تحرر وصي الله محمد عباس.

(٤) تحف العقول / ٢٠٩ ط الإسلامية.

قال : فلم يتركوا شيئاً في وتر العشرة إلا ذكروه . فقال لي : مالك لا تتكلم يا بن عباس ؟ قال : قلت إن شئت تكلمت . قال : ما دعوتك إلا لتتكلّم»^(١) .

وفي لفظ عند ابن سعد : «فقال عمر لابن عباس ألا تتكلّم ؟ قال الله أعلم قال قد نعلم إن الله أعلم ، إما نسألك عن علمك فقال ابن عباس : الله وتر يحب الوتر ، خلق من خلقه سبع سمات فاستوى عليهن ، وخلق الأرض سبعاً وخلق عدة الأيام سبعاً ، وجعل طوافاً بالبيت سبعاً ورمي الجمار سبعاً ، وبين الصفا والمروة سبعاً ، وخلق الإنسان من سبع ، وجعل رزقه من سبع .

قال فقال عمر : فكيف خلق الإنسان من سبع ؟ وجعل رزقه من سبع فقد فهمت من هذا أمراً ما فهمته .

قال ابن عباس : إن الله يقول : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ...﴾ حتى بلغ إلى قوله : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢) ثم قرأ : ﴿أَنَا صَبَّنَاهُ الْمَاءَ صَبَّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّاً * فَأَنْبَثْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَنَّبَاهُ وَقْضَبَاهُ * وَرَيْثُونَا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةَ وَأَبَابَا﴾^(٣) .

فأمّا السبعة فلبني آدم ، وأمّا الأبّ فما أنبتت الأرض للأنعام ، وأمّا ليلة القدر فأراها . إن شاء الله . إلا ليلة ثلث وعشرين يمضي وسبعين ييقين»^(٤) .

(١) المعرفة والتاريخ ١ / ٥٢٠ . ٥١٩ .

(٢) المؤمنون / ١٤ . ١٢ .

(٣) عبس / ٣١ . ٢٦ .

(٤) طبقات ابن سعد ١ / ١٤٠ ط تحرير السعدي وإسناده حسن ، وأورده السيوطي في الدر المنشور نقلاً عن ابن سعد وعبد بن حميد ، وأورد الحاكم في المستدرك جزءاً منه في ٣ / ٣٩ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصححه الذهبي في التلخيص أيضاً .

فقال عمر : «أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه. ثم قال : إني نحيتك أن تتكلم فذا دعوتك معهم فتكلّم»^(١). ولئن كتّاب عباس من أدبه عن الذين وجدوا في أنفسهم من حضوره بكلمة (بعضهم) ، فإن ابن حجر حكى عن عبد الرزاق في حديثه : أن الساخطين هم جماعة المهاجرين لفظه : قال المهاجرون لعمر ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس ؟ فقال : ذاكم فتي الكهول له لسان سؤول وقلب عقول^(٢). أمّا البخاري فقد روى في صحيحه بسنده قال : «كان عمر رض يدلي ابن عباس فقال عبد الرحمن بن عوف : إن لنا أبناء مثله ؟ فقال : انه من حيث تعلم ...»^(٣). ومهما يكن الساخط واحداً أو أكثر فليس بعزيز لو تسخط ، إنما العجب أن يكون عبد الرحمن بن عوف ساخطاً وبيدي سخطه ، وهو الذي بعد لم يزل يقرأ القرآن عند ابن عباس.

أم يرو لنا البخاري في صحيحه حديث الفلة في باب رجم الحبل . وفيه :

«أن ابن عباس كان يقرئ جماعة من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف»^(٤) وذلك في آخر حجة حجّها عمر من ستّي ولايته .

٢. أخرج ابن سعد^(٥) والفسوي واللفظ له عن ابن عباس قال : «كان عمر يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم فقال بعضهم : أتأذن لهذا الفتى ومن أبنائنا من هو

(١) قارن الفقيه والمتفق عليه للخطيب ٢ / ١٣٢ ، ومستدرک الحاکم ٣ / ٥٣٩ ، وسنن البیهقی ٤ / ٣١٣ ، وتفسیر ابن کثیر ٤ / ٥٣٣ ، وتفسیر الدر المتشور للسيوطی ٦ / ٣٧٤ ، وفتح الباری لابن حجر ٤ / ٢١١ .

(٢) الإصابة ٢ / ٣٢٥ ط مصطفی محمد.

(٣) صحيح البخاري ٤ / ٢٠٤ ط بولاق باب علامات النبوة في الإسلام.

(٤) نفس المصدر ٨ / ١٦٨ ط بولاق.

(٥) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢ / ١٢٠ .

مثلك؟ فقال : فيه من قد علمتم ، فأذن لهم يوماً وأذن لي معهم ، فسألهم عن هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(١) فقالوا : أمر الله عزوجل نبيه ﷺ إذا فتح الله عزوجل عليه أن يستغفره وأن يتوب عليه.

قال لي : ما تقول يا بن عباس؟ قلت ليس كذلك ، ولكن أخبر نبيه ﷺ بحضور أجله فقال : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . فَتَحَكَّمَتِ الْأَرْضُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ . أي عند ذلك علامة موتك . فسبّح بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾^(٢).

قال لهم : كيف تلوموني عليه بعد ما ترون»^(٣).

٣. أخرج الحاكم والطبراني عن ابن أبي مليكا وعطاء : «إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلا هذه الآية : ﴿أَيُّوذُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ قَعْنَاهَا الْأَهْمَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ إلى هنا ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاخْتَرَقَتْ﴾^(٤) ، فسأله القوم وقال : فيما ترون أنزلت ﴿أَيُّوذُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فغضب عمر وقال : قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس : في نفسي شيء منها يا أمير المؤمنين. قال : يا بن أخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلًا لعمل»^(٥) ، وفي رواية الطبراني عن عطاء : «هذا مثل ضربه الله عزوجل فقال : أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير

(١) النصر / ١ . ٣ . ١ .

(٢) النصر / ١ . ٥ . ٥ .

(٣) المعرفة والتاريخ / ١ / ٥١٥ .

(٤) البقرة / ٢٦٦ .

(٥) مستدرك الحاكم / ٣ / ٥٤٢ .

وأهل السعادة حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فني عمره
وأقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كلّه فحرقه. أحوج ما
كان إليه»^(١).

وهذا الحضور البارز هو الدافع لحسد المهاجرين ، أو بعض أشياخ أصحاب
محمد ﷺ ، أو خصوص عبد الرحمن بن عوف ، وهو اللافت لنظر الخطيبة الشاعر
وقد مرّ على مجلس عمر فنظر إلى ابن عباس وقد قرع القوم بكلامه غالباً عليهم ،
فسأل عنه وقال : من هذا الذي برع الناس بعلمه ، وعلاهم في قوله ونزل عن القوم
بسنة ؟ قالوا : هذا ابن عباس فقال أبياتاً منها :

لَهُدِي لَهُ وَجَدَتِ الْعَيْ كَالصَّمْ
إِنِّي وَجَدْتُ بِيَانَ الْمَرْءِ نَافِلَةً
وَالْمَرْءُ يَلِي وَيَقِنُ الْكَلْمَ سَائِرَةً
وَقَدْ يَلَمُ الْفَتَى يَوْمًاً لَمْ يَلَمْ^(٢)
وَبَقِيَ حَضُورُ ابْنِ عَبَّاسٍ بَيْنَ شَيْوخِ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَاثِلًاً وَمُؤْثِرًا عِنْدَ
عَمَرٍ فَقَدْ كَانَ عِنْدَ الْخِلَافِ يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِ وَيَعْتَدُ بِهِ عَلَى حَدَائِهِ سَنَّةٌ عَلَى حَدَّ
قَوْلِ يَحْيَى بْنِ أَبِي بَكْرِ الْعَامِرِي^(٣) لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ التَّقْرِيبُ وَالتَّقْرِيرُ ، وَذَلِكَ
الْإِخْتِصَاصُ مِنْ ظَهُورِ مَوَاقِفِ مَنْ تَضَادَ بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ ابْنُ عَبَّاسٍ مَوَائِمًا
لِعَمَرٍ فِي مَزَاجِهِ ، وَلَا مَوَافِقًا لَهُ عَلَى جَمِيعِ تَصْرِفَاتِهِ ، بَلْ كَانَتْ تَحْدِثُ بَيْنَهُمَا
مُحَاورَاتٍ إِحْتِجاجِيَّةٍ رِعَا وَصَلَتْ إِلَى حَدَّ الْمَشَادَّةِ الْعَنِيفَةِ ، لَكِنَّهَا لَمْ تَصُلْ إِلَى
حَدَّ الْقُطْعِيَّةِ التَّامَّةِ ، وَالآنَ إِلَى شَوَاهِدِ تَلْكَ.

(١) تفسير الطبرى / ٣ / ٤٧ ط الميمنية.

(٢) عيون الأخبار لأبن قبيطة / ١ / ٢٢٩ ط دار الكتب ، والأصابة / ٢ / ٣٢٥ ط مصطفى محمد ،
والاستيعاب بهامش الإصابة / ٢ / ٣٤٦ ، وأنباء نجباء الأبناء لأبن ظفر المكي ط مصر. ومن
الغريب أن هذين البيتين لم يذكرها في ديوان الخطيبة بتحقيق نعمان أمين طه
(ماجستير في الأدب العربي - جامعة القاهرة) ط مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٧٨ هـ.

(٣) الرياض المستطابة / ٥٢ ط الشاهجاني بمحفظ المندى سنة ١٣٠٣ هـ.

شواهد الصرامة من الطرفين :

بالرغم من ذلك التقارب الحضوري فلم يمنع من ظهور خلافات ذات دلالة عميقة تعتمل في صدر كلّ منهما ، تكاد تطغى على ما يقال في سبب ذلك إلى التفاوت بينهما سنّاً ومكانة ، والإختلاف بين المزاجين شدّة ووداعة ، ولنقرأ بعض الشواهد :

١ . أخرج الفسوسي بسنده عن ابن عباس قال : [قدم على عمر بن الخطاب رجل فجعل عمر يسأله عن الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين قرأ منهن القرآن كذا كذا . فقال ابن عباس : والله ما أحب أن يسألك يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة قال : فربني عمر ثم قال : وفي لفظ الحاكم : « قال : كنت قاعداً عند عمر بن الخطاب إذ جاءه كتاب أن أهل الكوفة قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا فكبر (ره) فقلت أختلفوا . فقال : أف وما يدريك قال : غضب فأتيت منزلي قال فأرسل إليَّ بعد ذلك فاعتلت ». فيينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال : أجب أمير المؤمنين . وفي لفظ الحاكم : « عزمت عليك إلا جئت » ..]

قال : فخرجت فإذا هو قائم قريباً ينتظري ، فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال : ما كرهت مّا قال الرجل ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين إن كنت أساءت فأستغفر الله عَزِيزَ وأتوب إليه « لا أعود إلى شيء بعدها » ، فقال : عزمت عليك إلا أعدت علىَّ الذي قلت . قلتُ قلتَ كتب إليَّ آنه قد قرأ القرآن كذا وكذا فقلت اختلفوا . قال : ومن أي شيء عرفت ؟

قلت : قرأت ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ حتى انتهيت إلى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾^(١) فإذا فعلوا ذلك لم يصبر صاحب القرآن. ثم قرأت ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَتَقِ اللهُ أَحَدَنَّهُ الْعِزَّةُ بِالِإِيمَنِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلِئِنْسَ الْمَهَادِ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْغَاهُ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٢) قال : صدقـتـ والـذـيـ نـفـسيـ بيـدهـ.

فقلت : يا أمير المؤمنين إلـهمـ متـىـ ماـ يـسـارـعـواـ هـذـهـ المـسـارـعـةـ تـحـنـقـواـ ،ـ وـمـتـىـ تـحـنـقـواـ اـخـتـلـفـواـ ،ـ وـمـتـىـ اـخـتـلـفـواـ يـفـشـلـواـ.ـ قـالـ :ـ اللـهـ أـبـوكـ وـالـلـهـ لـقـدـ كـنـتـ أـكـاتـهـاـ النـاسـ حـتـىـ جـئـتـ بـهـاـ»^(٣).

٢ . أـخـرـجـ الحـاكـمـ بـسـنـدـهـ عـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـبـيدـ بـنـ عـمـيرـ قـالـ :ـ «ـبـيـنـماـ اـبـنـ عـبـاسـ مـعـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـهـوـ آخـذـ بـيـدـهـ ،ـ فـقـالـ عـمـرـ :ـ أـرـىـ الـقـرـآنـ قـدـ ظـهـرـ فـيـ النـاسـ ،ـ فـقـلـتـ مـاـ أـحـبـ ذـاكـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ.ـ

قـالـ :ـ فـاجـتـذـبـ يـدـهـ مـنـ يـدـيـ وـقـالـ :ـ لـمـ ؟ـ قـلـتـ :ـ لـأـنـهـمـ مـتـىـ يـقـرـئـوـاـ ،ـ وـمـتـىـ مـاـ يـتـقـرـرـواـ اـخـتـلـفـواـ وـمـتـىـ مـاـ يـخـتـلـفـواـ يـضـرـبـ بـعـضـهـمـ رـفـابـ بـعـضـ.ـ قـالـ :ـ فـجـلـسـ عـنـيـ وـتـرـكـيـ ،ـ فـظـلـلـتـ عـنـهـ بـيـوـمـ لـاـ يـعـلـمـهـ إـلـاـ اللـهـ ثـمـ أـتـاـيـ رـسـوـلـهـ الـظـهـرـ فـقـالـ :ـ أـجـبـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ فـأـتـيـهـ فـقـالـ :ـ كـيـفـ قـلـتـ ؟ـ فـأـعـدـتـ مـقـالـتـيـ قـالـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ إـنـ كـنـتـ لـأـكـتمـهـاـ النـاسـ»^(٤).

(١) البقرة / ٢٠٤ .

(٢) البقرة / ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٣) المعرفة والتاريخ ١ / ٥١٦ - ٥١٧ ، ط الإرشاد بغداد سنة ١٣٩٤ هـ ، وما بين القوسين من المستدرک على الصحيحين للحاکم ٣ / ٥٤٠ ، وقارن الإصابة في ترجمة ابن عباس وتلخيص الذهبي بمامش المستدرک.

(٤) مستدرک الحاکم ٣ / ٥٤١ وتلخيص الذهبي بمامش المستدرک.

٣ . روى الشاطبي في المواقفات عن إبراهيم التيمي قال : «خلا عمر ذات يوم فجعل يحذث نفسه كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة ؟ فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه ، وعلمنا فيم أنزل ، وإنّه سيكون بعدها أقوام يقرؤن القرآن ولا يدركون فيم نزل ، فيكون لهم فيه رأي ، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا ، فإذا اختلفوا إقتتلوا.

قال : فزجره عمر وانتهى ، فانصرف ابن عباس ، ونظر عمر فيما قال فعرفه ، فأرسل إليه فقال : أعد على ما قلت ، فأعاده عليه ، فعرف عمر قوله وأعجبه . وما قاله صحيح في الاعتبار»^(١).

هذه ثلاثة شواهد دللت على شدة في حلق عمر وتسرع في الغضب دون التروي فيما قاله ابن عباس بدلالة إسراعه في استدعائه بعد مغاضبة وطلب إعادة ما قاله ثم سرعان ما صدّقه.

وفي مقابل ذلك نسوق مثلها شواهد على مواقف لابن عباس متصلباً فيها حتى ليتمكن أن تعدد تلك مشادة نعجم كيف قبلها عمر وأغضى عنها ، ولم تصل إلى حد القطعية بينهما.

٤ . روى عبد الرزاق في المصنف أن ابن عباس قال : «إني لصاحب المرأة التي أتي بها عمر وضعت لستة أشهر فأنكر الناس ذلك ، فقلت لعمر : لم تظلم^(٢) ؟ فقال : كيف ؟ قال : قلت له اقرأ ﴿وَحَمْلَةٌ وَفَصَالَةٌ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٣) وقال : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(٤) كم الحول ؟ قال : سنة ،

(١) المواقفات ٣ / ٣٤٨ ط الرحمانية بمصر.

(٢) في الدر المنثور ٦ / ٤٠ (لا تظلم).

(٣) الأحقاف / ١٥ .

(٤) البقرة / ٢٣٣ .

قال : قلت كم السنة ؟ قال : اثني عشر شهراً. قال : قلت : فأربعة وعشرون شهراً حولان كاملاً ، ويؤخر من الحمل ما شاء الله ويقدم. فاستراح عمر إلى قوله»^(١).

٢ . أرسل عمر إلى ابن عباس فقال : «يا بن عباس إن عامل حمص هلك وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت أن تكون منهم (فدعوتكم لاستعمالك عليهما) وفي نفسي منك شيء (أخافه) لم أره منك وأعياني ذلك (أنا أخشاه عليك) بمارأيك في العمل ؟

قال : لن أعمل حتى تخبرني بالذى في نفسك ؟ قال : وما تريد إلى ذلك ؟

قال : أريده فإن كان شيء أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت ، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أني لست من أهله فقبلت عملك هنالك ، فإني قل ما رأيت أو ظنت شيئاً إلا عاينته.

فقال : يا بن عباس (إني أطمح حالك أراك لا تخديني قريب الجد) وإني أخشى أن يأتي علي الذي هو آت وأنت في عملك فتقول : هلم إلينا ولا هلم إلينكم دون غيركم ، إني رأيت رسول الله ﷺ استعمل الناس وترككم.

قال : والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك ؟

قال : والله ما أدرى أضنكم عن العمل فأهل ذلك أنتم ؟ أم خشي أن تباعوا بمنزلتكم منه فيقع العقاب (عليكم) ولا بد من عتاب ، فقد قرعت لك (وفرغت لي وفرغت لك) بمارأيك ؟

قال ابن عباس : قلت أرأي أن لا أعمل لك ؟ قال : ولم ؟ قال : قلت إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرق ذى في عينك.

(١) المصنف ٧ / ٣٥٢ برقم ١٣٤٤٩.

قال : فأشر عليَّ ، قلت : إِنِّي أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك.

(قال : فكن أنت ذلك الرجل ، قال : لا تنتفع بي مع سوء ظني بك وسوء ظنك بي) ^(١).

وليتذر القارئ هذا التصريح الذي ختم به ابن عباس تلك المحاورة من تبادل سوء الظن بينه وبين عمر ، وسكت عمر على ذلك اقرار لما قاله ابن عباس.

٣ . أخرج الفسوی ^(٢) بسنده عن ابن عباس قال : «كان عمر بن الخطاب إذا صلى صلاة جلس للناس ، فمن كان له حاجة كلامه ، وإن لم تكن لأحد حاجة قام ودخل ، فصلى صلوات لا يجلس للناس فيهنّ.

قال ابن عباس : فحضرت الباب فقلت : يا يرفاً . غلام عمر وحاجبه . أتى أمير المؤمنين شكاها ؟ فقال : ما بأمير المؤمنين من شكاها . قال : فجلست فجاء عثمان ابن عفان فجلس ، فخرج يرفاً فقال : قم يا بن عفان قم يا بن عباس ، قال : فدخلنا على عمر فإذا بين يديه صُبْرٌ من مال على كل صُبْرٍ منها كفرة ^(٣) فقال عمر : إِنِّي نظرت في أهل المدينة فوجدتكم من أكثر أهلها عشيرة فخذنا هذا المال فاقسماه فيما كان من فضل فرداً . قال : فأمّا عثمان فحثا ، وأمّا أنا فجئت على ركبتي وقلت : وإن كان نقصاناً رددت علينا ؟

(١) راجع عن هذه المحاورة مروج الذهب للمسعودي ٤٢٧ / ١ ط البهية سنة ١٣٤٦ ، وكتاب الخراج لأبي يوسف ط السلفية ، وكتاب البديع لابن المعتز / ٥٤ ط أوربا ، وأدب الدنيا والدين للماوردي / ١٨٧ وغيرها .

(٢) المعرفة والتاريخ ١ / ٥٢٢ . ٥٢١ .

(٣) الكفرة : لم أقف على معناها ولعل الكلمة مصحفة خطأ عن (الكرنة) وهي أصول الكرب ، وكانوا يكتبون عليها وجاء في مناقب عمر / ١٦٦ (على كل صبرة منها كيف) وفي المماش عن اللسان : الكيف الساتر . ولكن ابن سعد روى القصة في الطبقات ٣ ق ١ / ٢٠٧ (على كل صبرة كتف) وهو الأصح .

فقال عمر : شنثنة أعرفها من أخرزم ، أما كان هذا عند الله ، ومحمد وأصحابه يأكلون القدس ؟ فقلتُ بلى والله لقد كان هذا عند الله عزّلَه و محمد حبي ، ولو عليه فتح صنع فيه غير الذي تصنع. قال : فغضب عمر وقال : إذاً صنع ماذا ؟ قال : قلت إدأً أكل وأطعمنا. قال : فنسج عمر حتى اختلفت أضلاعه ثم قال : وددت أني خرجت منها كفافاً لا عليٍ ولا لي»^(١).

هذه ثلاثة شواهد فيها دلالة على جرأة ابن عباس في قوله الحق وإن أغضبت عمر ، فلم يمتنع في الأول من أن يقول له : (لم تظلم أو لا تظلم) ، وهي كلمة لا شك بها كانت كبيرة على عمر ، ولو استدلال ابن عباس على صحة رأيه لما غفر له عمر تلك الجرأة.

كما أنه في الشاهد الثاني طالت المحاورة ، وتبدى بعض ما يجد كلّ منهما على صاحبه ، وحسينا ما جاء في ختامها من تبادل سوء الظن بينهما كلّ بصاحبه.

أما الشاهد الثالث فقد أدرك فيه عمر ما يعني ابن عباس. فالله حتى نشج باكيًا ووَذَلَّوْهُ أَنْهُ خَرَجَ مِنَ الْخِلَافَةِ كَفَافًا لَا عَلَيْهِ وَلَا لَهُ ، وَأَنَّ لَهُ بِذَلِكَ ، وَهُنَّا لَابَدَ لَنَا مِنْ تَعْقِيبٍ عَلَى الْمُثَلِ الَّذِي أَسْتَشَهَدَ بِهِ عَمَرٌ ، فَإِنْ ذَكَرَهُ لَهُ يَدْلِلُ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ كَوَافِرٍ غَيِظَ عَلَى العَبَاسِ تَنَازَعَهُ نَفْسُهُ لِإِظْهَارِ تَلْكَ الْكَوَافِرِ ، مَتَى حَدَثَتْ ؟

تعقيب بلا تثريب :

قال أبو عبيد البكري في فصل المقال عند شرحه المثل (شنثنة أعرفها من أخرزم) : «وهذا المثل يروى أن عمر بن الخطاب قاله في ابن عباس رضي الله عنهما يشبهه في رأيه بأبيه ... أه»^(٢).

(١) قارن مناقب عمر لابن الجوزي / ١٦٦ ط بيروت تجد حذف ما بعد كلمة عمر (فردًا) إلى قوله شنثنة أعرفها من أخرزم.

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال / ٢١٩ ط دار الأمانة بيروت.

وقال سفيان . أحد الرواة . : «يعني حجراً من جبل».

وقال الميداني : «وفي الحديث أنّ عمر قال لابن عباس رضي الله عنه حين شاوره فأعجبه إشارته شنشنة أعرفها من أخزم ، وذلك أنّه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس رضي الله عنه فشبّهه برأيه في جودة الرأي»^(١).

وإذا لاحظنا أصل المثل نجد أن قائله كان له ابن عاق اسمه أخزم فمات وخلف أبناءه فعفّوا جدهم وزملوه بدمه فقال :

إنَّ بَنِي زَمْلَكَ وَنِي بَالْمَدِ شَنْشَنَةَ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمَ^(٢)

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين فقال : «ومن الخطباء الذين لا يضاهون ولا يجاهرون عبد الله بن عباس ... ونظر إليه . عمر . يتكلم فقال : شنشنة أعرفها من أخزم .

والشعر لأبي أخزم الطائي وهو جد أبي حاتم طيء أو جدّ جدّه ، وكان له ابن يقال له أخزم ، فمات وترك بنين فتوثبوا يوماً على جدّهم أبي أخزم فأدموه فقال :

إنَّ بَنِي زَمْلَكَ وَنِي بَالْمَدِ شَنْشَنَةَ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمَ
أَيْ أَكْمَمْ أَشْبَهُوا أَبَاهُمْ فِي طَبِيعَتِهِ وَخَلْقَهِ ، وَأَحْسَبَهُ كَانَ بِهِ عَاقًاً ، هَكَذَا ذَكَرَ
ابن الكندي ، والشنشنة مثل الطبيعة والسمينة فأراد لهذه إني أعرف فيك مشابهة من
أبيك في رأيه وعقله ، ويقال : انه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس»^(٣).

إذا لاحظنا ذلك عرفنا إنّه يقال في قرب الشبه في الفعل ذماً وتبماً ، وفي المقام كذلك فقد قال ابن عباس لعمر قوله يعني به ما هو من رأي أبيه وأهل بيته

(١) مجمع الأمثال ١ / ٣٣٠ ط مصر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) البيان والتبيين ١ / ٣٣١ . ٣٣٠ تٰهارون.

بالنسبة للمال وحقهم فيه : لذلك تمثّل عمر بالمثل متبرّماً وهو مصيبة في ذلك ، وليس كما يقول الميداني بانّه قاله حيث شاوره فأعجبه اشارته ، فليست ثمة مشاورة ، وإنما كانت من ابن عباس مبادرة ومن عمر مناورة ، طفح بها كيله فتمثل بالمثل .

وقد روى الزمخشري هذا الخبر وفيه : «قال عمر : نشنّة من أخشن يعني حجر من جبل ... ثم قال الزمخشري : هكذا جاء في الحديث مع التفسير ، وكأن الحجر سُمي نشنّة من نشنّة ونصنهه إذا حركه .

والأخشن الجبل الغليظ كالأخشب ...

وفيه معنيان : أحدهما أن يشبهه بأبيه العباس في شهامته ورميه بالجوابات المصيبة ، ولم يكن لقريش مثل رأي العباس .

والثاني أن يريد أن كلمته هذه منه حجر من جبل ، يعني أن مثلها يجيء من مثله ، وأنه كالجبل في الرأي والعلم وهذه قطعة منه»^(١) .

والآن إلى معرفة المواقف التي أغاظ فيها العباس عمر فاضطغناها عليه :

١ . موقف في حياة الرسول ﷺ حيث جاء عمر ساعياً يطلب صدقة العباس فطرده وأغلوظ له لأنّه كان قد دفعها ، فأتى عمر عليّاً وذكر ذلك له ليذكره للنبي ﷺ فأتااه عليّ فأخبره فقال ﷺ لعمر : تربت يداك ، أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه ، إن العباس أسلفنا زكاة العام الأول^(٢) .

٢ . موقف بعد موته حيث أراد عمر توسيعة المسجد النبوى الشريف ، واشترى ما حوله من الدور إلا دار العباس فكلمه عمر أن يبيعه حاله بما

(١) الفائق في غريب الحديث ٢ / ٢٧٩ ط حيدر آباد ، و ٣ / ٤٢٩ ط دار الفكر .

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوبي ١ / ٥٠٠ ، وطبقات ابن سعد ٤ ق ١ / ١٧ .

شاء من مال المسلمين ، فأبى فقال له عمر اختر مني إحدى ثلات : إما أن تبيعنيها بما شئت من مال المسلمين ... وإما أن أخطط لك حيث شئت من المدينة وأبنيها لك ... وإنما أن تصدق بها على المسلمين ...

فقال العباس : لا ولا واحدة منها ، فقال عمر : اجعل بيتي وبيتك من شئت .
فقال أبي بن كعب فانطلقوا إلى أبي وحذّهما بحديث داود وبناء بيت المقدس وفي خطته دار إسرائيلي أبي أن يبيعهما فأراد داود أن يأخذها بالقوة فأوحى الله إليه ... وليس من شأني الغصب ...

فأخذ عمر بجماع ثياب أبي وقال جئتك بشيء فجئت بما هو أشد لتحرجن
مما قلت ، فجاء يقوده حتى أدخله المسجد فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول
الله ﷺ فيهم أبو ذر فأستند لهم أبي بالله من سمع رسول الله ﷺ يذكر حديث بناء
بيت المقدس ، فقال أبو ذر : أنا سمعته من رسول الله ﷺ وقال آخر : أنا سمعته ،
فأرسل عمر أبيا ، فقال له أبي أتهمني على حدث رسول الله ﷺ ؟ ! فقال عمر : يا
أبا المنذر لا والله ما أهتمتك عليه ، ولكن كرهت أن يكون الحديث عن رسول
الله ظاهراً (؟) وقال للعباس : اذهب فلا أعرض لك في دارك .

فقال العباس : إنما إذا فعلت هذا فإني تصدق به على المسلمين أوسع بهما
عليهم في مسجدهم إنما وأنت تخاصمني فلا^(١) .

٣ . موقف ثالث : ليس دون ما سبق في غلظة العباس مع عمر وإغاظته
حتى ضاق به ذرعاً فقال عبد الله : خذ يديك . وهذا ما رواه ابن سعد في طبقاته
عن أبي جعفر محمد بن علي . يعني الإمام الباقي عليه السلام . قال : «أن العباس جاء

(١) طبقات ابن سعد ٤ ق ١ / ١٣ باقتضاب ، وجاء في تاريخ العقوبي ٢ / ١٢٦ ط الغري بالنجد :
إن ذلك كان في توسيعة المسجد الحرام بمكة ولا مانع من التعدد ، فراجع .

إلى عمر فقال له : إنّ النبي أقطعني البحرين ، قال : من يعلم ذلك ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، فجاء به فشهاد له ، قال : فلم يُمض له عمر ذلك كأنه لم يقبل شهادته. فأغلظ له العباس. فقال عمر : يا عبد الله خذ بيد أبيك»^(١).

٤ . موقف رابع : يزيد على ما سبق وذلك حين أقبل العباس وعليه يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أموال بني الضير فقال عمر يذكر ما صنعه أبو بكر في ذلك إلى أن أقبل على علي والعباس فقال : «وأنتما تزعمان إله فيها ظالم جائر ... ثم قال : وأنتما تزعمان إله فيها ظالم جائر ... إلى آخر ما قاله».

ففي هذا الموقف يقول عمر لعلي والعباس أهلاًما يقولان فيه وفي أبي بكر ظالم جائر ، ولم ينكرا ذلك من قولهما وهذا الحديث أخرجه البخاري^(٢) ومسلم^(٣) وعبد الرزاق^(٤) وغيرهم. وقد تلاعب الرواية فيه كما ذكر ابن حجر في فتح الباري^(٥) فراجع تجد «تزعمان أن أبي بكر كذا وكذا» ... وفي رواية مسلم من الزيادة ... «فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً» وقال : وكان الزهري كان يحدث به تارة فيصرح وتارة فيكفي ، وكذلك مالك إلى آخر ما نقل وحکاه ، فراجع.

وقد مرت بنا قصة الميزاب وقلع عمر له وما جرى له حتى أعاده (راجع ترجمة العباس في أول الكتاب) فليس غريباً من عمر أن يستشهد بالمثل المذكور مشيراً إلى ما تكتنه الصدور ، مما لا تزيله الأعوام والشهور.

(١) طبقات ابن سعد ٤ / ١٤ ، وقارن تاريخ ابن خلكان ٢ / ٤٥٦ في ترجمة يزيد بن ربيعة.

(٢) صحيح البخاري ٦ / ١٢٤.

(٣) صحيح مسلم ٢ / ٩٠.

(٤) المصنف ٥ / ٤٧٠.

(٥) فتح الباري ٧ / ١٣ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٨ هـ.

وهكذا تبقى تلك الشنشنة يعرفها عمر وغير عمر بما لها من تراكمات وتداعيات تطفو على السطح حين تجد إلى البث سبلاً، وكم يجد الباحث من الشواهد على ذلك. خاصة بين ابن عباس حين يستفزه عمر بكلام عن الإمام والخلافة، وكان عمر في محاوراته مع ابن عباس يروم استخراج خيبة أسراره، فيستدرجه إلى حيث يستثيره، فيقول له ابن عباس ما يكشف له عن تمسكه بالمواقف المبدئية العامة للهاشميين جميعاً من الخلافة وصاحبها وأنه الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام، كما أنه يصارحه بجرأة منقطعة النظير أنه هو الذي صرف الأمر عنه، ويعترف له عمر بتلك الحقيقة لصلاحه زعم أنه رآها، ولأن قريشاً تأبى أن تجتمع النبوة والخلافة لبني هاشم، وهذا كله وأكثر منه يجده القارئ في صفحة إحتجاجاته في الحلقة الثالثة تاريخه العلمي دراسة وعطاء. فقد وجدت فيما بحثت حتى الآن. ثلاثة عشر موقفاً صارماً حضراً وسيراً فعشرة منها في الحضر وثلاثة في السفر كانت نتائجها متشابهة وحسبنا ما جاء.

في الحاوية الأولى، دخل عليه ابن عباس في أول خلافته وقد ألقى له صاع من تمر على خصفة فدعاه إلى الأكل فأكل تمرة واحدة وأكل عمر الباقي حتى أتى عليه، ثم شرب من جرّ كان عنده، وأستلقى على مرفة يحمد الله، ثم سأله عن ابن عمّه أبين خلفه فتجاهل. رعا متعمداً. فأجابه عن ابن جعفر، فأفصح له عمر في سؤاله وانه يريد عظيم أهل البيت. يعني عليهما السلام. فأجابه ابن عباس بأنه يمتح بالغرب. أي بالدلو. على خيلات من فلان وهو يقرأ القرآن.

ومن هنا بدأ الإستدراج فيقول له : يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتها ، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة ؟ فأجابه نعم. فيقول له عمر : أيزعم أن

رسول الله نص عليه؟ فقال ابن عباس : نعم وأزيدك سألك أبي عما يدعوكه فقال صدق.

وهنا تكمن الإثارة فقال عمر : لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره ذرواً من قول ، لا يثبت حجة ولا يقطع عذرًا ، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما . ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام (!?).

وهنا طفت الضغائن فصارت تبدو فيقول عمر : لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً ، ولو ولها لانتقضت عليه العرب من أقطارها . فعلم رسول الله ﷺ أئي علمت ما في نفسه فأمسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم .

وقس على هذه المحاورة ما سواها ، فستجد فيها مرة ثانية يطرقه عمر بعد هدأة من الليل ليخرجه معه إلى بعض نواحي المدينة ، فيخرج معه ويأتي البقيع وهناك يتاؤه عمر الصعداء ، ويستفهمه ابن عباس سبب ذلك فيقول له عمر : أمر الله يا بن عباس . فيقول له ابن عباس إن شئت أخبرتك بما في نفسك؟ فقال : غص يا غواص ، إن كنت تقول فتحسن .

ويبدأ ابن عباس بغوصه في نفس عمر ، وأنه يفكر فيما يجعل له الأمر من بعده ثم يسمّي له ابن عوف وسعداً وطلحة والزبير وعثمان فيطعنهم عمر بما يبعدهم عن أهلية الولاية ثم يسكت فيقول لابن عباس : أمضها يا بن عباس أترى أصحابكم لها موضعًا؟ فيجيبه ابن عباس بفضله وسابقته وقرباته وعلمه ، ويصدقه عمر وأنه لو ولهم لحملهم على منهج الطريق إلا أن فيه خصالاً : الدعابة ، واستبداد الرأي ، والتبيكية للناس مع حداثة السن .

وهذا هو الإستفزاز ، فيقول له ابن عباس : هللا أستحدثتم سنّه يوم الخندق ... وهللا سبقتموه بالإسلام. فقال : إلينك يا بن عباس أتريد أن تفعل بي كما فعل أبوك وعليّ أبي بكر يوم دخلا عليه^(١).

وتنهي المحاورة بقول عمر : والله يا بن عباس إن علياً ابن عمك لأحق الناس بها ولكن قريشاً لا تحتمله ...

كما تجده تارة أخرى يماشيه في سكة من سكك المدينة ، فيبدأ عمر بالقول : ما أرى صاحبك إلا مظلوماً. يقول ابن عباس : فقلت في نفسي والله لا يسبقني بها. فقلت : يا أمير المؤمنين فأردد إليه ظلامته.

فانتزع يده من يدي ومضى وهو يهمهم ساعة ثم وقف فلحقه ، فقال : ما أظن القوم منعهم عنه إلا أهّم استصغره قومه. فقلت في نفسي : هذه والله شرّ من الأولى ، فقلت : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من صاحبك أبي بكر.

قال : فأعرض عني وأسرع فرجعت عنه.

وروي عن ابن عباس قال : «حضرت مسألة فعجز عمر عن ردّها فقال : ما تقولون يا صاحبة رسول الله ؟ من ترون يقوم بجواب هذه المسألة ؟ قالوا : أنت أعرف منا.

قال : كلنا والله يعلم ابن بحذتها والخبير بها ، فقالوا : لعلك أردت عليّ بن أبي طالب ؟ قال : وأنى يعدل بي عنه. قالوا : لو بعثت إليه لأنّاك ، قال : هيئات هناك شيخ من هاشم وإثرة من علم يؤتى ولا يأتي ، قوموا بنا إليه ، فقام القوم بأجمعهم فإذا هو عليّاً في حা�يط له متلاً على مساحة في يده يتلو قوله تعالى : ﴿أَيُّحْسِبُ

(١) فربماً ترى الموقف الرابع ما أشار إليه عمر هنا فراجع.

الْأَنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًّا * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيْ يُمْكِنَى^(١) ودموعه تجري على خديه ، فأجهش القوم لبكائه ثم سكت وسكتوا ، فأصدر إليه عمر مسألته وأدى على جوابها ، فقال له عمر : يا أبا الحسن لقد أرادك الحق ولكن أبي قومك : فقال : يا أبا حفص احفظ عليك من هنا ومن هنا ، إن يوم الفصل كان ميقاتا ، فلما أراد عمر الإنصراف قال : ألا أونسك يا بن عباس ؟

قال ابن عباس : فأخذ بيدي وقال : يا ابن عباس لقد كان ابن عمك أحق بجذا الأمر لولا ثلات.

قلت : وما هي ؟ قال : حداثة سنه ، ومحبته لأهل بيته ، وبغض قريش له .

قال : فقلت يا أمير المؤمنين أتأذن في الجواب ؟ فقال : قل ، قلت : أَمْا حداثة سنه فوالله ما استحدثه الله حين جعله أخاً لبنيه وجعل نفسه كنفسه ، وأَمْا محبته لأهل بيته فقد عمل بقول الله تعالى فيهم : **﴿فُلَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةُ**^(٢) في **الْقُرْبَى**^(٣) ، وأَمْا بغض قريش له ، فعلى من نقمت قريش ؟ ! أعلى الله حيث أمر رسوله بحرثها ؟ أم على رسوله حيث أمر علياً بقتالها ؟ أم على علي حيث أطاع الله ورسوله فيها ؟ قال : فجذب يده من يدي وقال : يا بن عباس إنك لتغرف من بحر»^(٤) .

وعلى هذا النمط تأتي بقية المخاورات حيث تبدأ باستدراج من عمر ، ثم إثارة ، ثم استفزاز ، ثم إظهار الكوامن ، وبالتالي اعتراف بالحقيقة . ومع ذلك كله فلا تصل النتائج إلى القطعية التامة بين الصاحبين غير المتصافين . بل كان عمر

(١) القيامة / ٣٧٠ ٣٦

(٢) الشورى / ٢٣

(٣) أنظر المنتخب للطريحي / ٣٤ . ٣٣ ط الثالثة بالجدرية سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٤٩ م .

يصطحبه حتى في أسفاره وكان ابن عباس يوافيته في ليله ونحارة. وربما سَمِّر عندك كما في المخاورة رقم (٧) من صفحة إحتاجاته.

الخبر مع عمر في أسفاره :

والآن إلى معرفة شيء عن صحبتهما في السفر ، لأن السفر محك أخلاق الرجال ، فربّ أخوين متقاربين حضرا يصطحبان في السفر يختلفان فيعودان متباعدين. ورب بعيدين حضرا جمع بينهما السفر فاصطحبوا وأئلفا فعادا متآخين ، وكلما طال السفر ظهرت دخائل النفوس أكثر ، ومهما تكرر السفر تبيّن حال المتصاحبين أظهر.

وإن صحبة ابن عباس لعمر في السفر طالت وتكررت ، لكثرة أسفار عمر للحج وللشام ، وخلال قراءة ما جرى بينهما في تلك الأسفار ، لم نجد تغييرًا في الطبع فهما في السفر كما هما في الحضر. فربما أشتد أحدهما على الآخر حتى يُظن أن لا تلاقي بعده. وربما لأن وأطمأن أحدهما للأخر فباح له بسره ويشه ما يجده في نفسه.

أمّا أسفار عمر إلى الحجّ فانه حجّ بالناس جميع سنّي خلافته إلا السنة الأولى فقد حجّ بالناس عبد الرحمن بن عوف بأمره. ولا يصح ما في الرياض النّذرة من انه حجّ جميع سنّي إلا سنتين متّاليتين^(١). كما لا يصح ما في نور الأ بصار عن ابن عباس قال : «حجّت مع عمر احدى عشرة حجة ، إلا أن يكون قد حجّ واحدة معه قبل ولادته»^(٢).

(١) الرياض النّذرة ٢ / ٧٧.

(٢) نور الأ بصار للشبلنجي / ٦٠ ط الميمونة سنة ١٣١٢ هـ.

قال ابن عمر : استعمل عمر على الحج عبد الرحمن بن عوف في السنة التي
ولي فيها فحج الناس ، ثم حج سنّته كلها بعد ذلك بنفسه^(١) ، وكانت تلك عشر
حجج من سنة ١٤ هـ حتى سنة ٢٣ هـ وهي سنة مقتله كما أنه أعتمر في خلافته
ثلاث مرات في رجب سنة ٢٠ هـ و ٢١ هـ و ٢٢ هـ^(٢).

وفي إحدى سفرات الحج الأوائل كان سؤال ابن عباس عن المرأتين
اللتين ظاهرا على رسول الله ﷺ أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير
(سورة المتحرم) بسنته عن ابن عباس رضي الله عنه يحدث أنه قال : «مكثت سنة أريد أن
أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيئته له حتى خرج حاجاً
فخرجت معه فلمّا رجعت وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له فوافقت
له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان ظاهرتا على النبي ﷺ
من أزواجه؟ فقال : تلك حفصة وعائشة ، فقلت والله إن كنت لأريد أن أسألك عن
هذا منذ سنة فما أستطيع هيئته لك ، قال : فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم
فاسألي فان كان لي علم خبرتك به»^(٣). ثم استمر عمر يحذّره عن حالة المرأة
في الجاهلية وما أنعم الله به عليها في الإسلام والحديث طويلاً فيه قصة حفصة
وعائشة بالتفصيل^(٤).

(١) تاريخ الطبرى ٣ / ٤٧٩ ط دار المعارف ، وقارن طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٥٠٣ ط ليدن.

(٢) انظر الطبقات لابن سعد ٣ ق ١ / ٢٠٤ . ٢٠٣ .

(٣) صحيح البخاري ٦ / ١٥٦ ط بولاق وقد سمى البخاري (سورة التحرير) سورة المتحرم كما
ذكرنا أعلاه.

(٤) سيأتي مزيد تحقيق حول هذا الحديث في الحلقة الثانية (تاريخه العلمي) هل أخذ ابن
عباس في التفسير من عمر؟ قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : (وفي ضمن هذين
التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين وما حفصة وعائشة لما فطر منها واتخذا بهما
على أغلاط وجهه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر) تفسير الرازي ٣٠ / ٤٩ ونحوه في
روح المعاني للألوسي ٢٨ / ١٦٣ .

أَمَا عن سفراته إلى الشام فقد سافر مع عمر أربع مرات ، وهي كما يلي :
 قال الطبرى : «وَجَمِيعُ مَا خَرَجَ عَمَرٌ إِلَى الشَّامِ أَرْبَعَ مَرَاتٍ، فَأَمَّا الْأُولَى فَعَلَى فَرَسٍ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَعَلَى بَعِيرٍ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَقَصَّرَ عَنْهَا لِأَنَّ الطَّاعُونَ مُسْتَعْرٌ، وَأَمَّا الرَّابِعَةُ فَدَخَلَهَا عَلَى حَمَارٍ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا وَخَرَجَ»^(١).

أَمَّا الْأُولَى : فَكَانَتْ سَنَةً ١٥ هـ وَذَلِكَ لِفَتْحِ يَتَّمَ المَقْدِسِ ، فَخَرَجَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ حَتَّى اتَّهَى إِلَى الْجَاهِيَّةِ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ أَنْ يَوْافِوهُ بِهَا لِيَوْمِ سَمَاءِهِمْ ، فَتَلَقَّوْهُ وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِمِ الْإِثْرَةُ فَلَبِسُوا الدِّيَاجَ وَالْحَرِيرَ ، فَلَمَّا رَأَهُمْ عَمَرٌ نَزَلَ عَنْ فَرْسِهِ وَرَمَاهُمْ بِالْحَجَارَةِ وَقَالَ : سَرَعَ مَا لَفْتَمْ عَنْ رَأِيكُمْ ، إِيَّايٍ تَسْتَقْبِلُونَ فِي هَذَا الرَّزِّيِّ ، وَإِنَّمَا شَبَعْتُمْ مِنْذَ سَنْتَيْنِ ، سَرَعَ مَا نَدَّتْ بِكُمُ الْبَطْنَةُ ...

وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ طَلَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِيلَةً فَأَتَيَ بِهِ فَشَكَّا إِلَيْهِ تَخْلُّفَ عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَنْهُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقَلَّتْ لَهُ : أَوْ لَمْ يَعْتَذِرْ إِلَيْكَ؟ قَالَ : بِلَى ، قَلَّتْ : هُوَ مَا أَعْتَذَرَ بِهِ .

قَالَ . ابْنُ عَبَّاسٍ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَحْدِثَنِي فَقَالَ : إِنَّ أَوْلَى مِنْ رَاثَكُمْ^(٢) عَنْ هَذَا أَبُوكَرَ ، إِنَّ قَوْمَكُمْ كَرِهُوا أَنْ يَجْمِعُوا لَكُمُ الْخَلَافَةَ وَالنِّبْوَةَ.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ : «ثُمَّ ذَكَرَ قَصَّةً طَوِيلَةً لَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَكَرِهَتْ ذَكْرَهَا»^(٣) . وَلَا غَرَابةٌ مِنْ أَبِي فَرَجَ الْأَمْوَيِّ الْهَوِيِّ وَالْوَلَاءِ الْخَائِنِ الْمَائِنِ أَنْ يَحْذِفَ مَا لَهُ مَسَاسٌ بِالْخَلَافَةِ تَتَمَّمَ لَمَّا جَرَى مِنْ كَلَامٍ بَيْنَ عَمَرٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ ، ظَنَّاً مِنْهُ أَنَّهُ بَرَكَهُ ذَكْرَهُ ذَكْرَ تَمَامِ الْقَصَّةِ الطَّوِيلَةِ . عَلَى حَدِّ تَعبِيرِهِ . سَتَرَ مَا

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١٥٨ ط الحسينية ، ٣ / ٦٠٧ ط دار المعارف محققة.

(٢) راث بالأمر أبطأ به من التريث.

(٣) الأغاني ٩ / ٣٩ ط الساسي ، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٤ / ٤٩٧ ط مصر الأولى.

جرى ، ولم يفطن إلى أنّ ما ذكره من قول عمر : أول من راىكم عن هذا . أمر الخليفة . أبو بكر ، هو كاف في الدلالة على مضمون الحذف من ألقى السمع وهو شهيد .

وأّما الثانية : فكانت سنة ١٧ هـ خرج عمر مغثياً لأبي عبيدة بن الجراح حيث قصده الروم ومعه المسلمون بمحصن فكتب إلى عمر يستنجه ، فخرج ومعه جمّع من المسلمين وكان راكباً على بعير . كما قاله الطبرى في تاريخه وزينى دحلان في سيرته . ولما وصل الجاية أتاه الخبر بالفتح وقدوم المدد عليهم^(١) .

وفي هذه المرة كان حديث ابن عباس قال : خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته ، فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتبعته ، فقال لي يا بن عباس أشكو إليك ابن عمك سأله أن يخرج معي فلم يفعل ، ولم أزل أراه واجداً فيم تظن موجده ؟ قلت : يا أمير المؤمنين إنك لتعلم . قال : أظنه لا يزال كثيراً لفوت الخليفة ، قلت : هو ذاك إن رسول الله ﷺ أراد الأمر له . فقال : يا بن عباس وأراد رسول الله ﷺ الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ؟
إنّ رسول الله أراد ذلك وأراد الله غيره ، فنفذ مراد الله ولم ينفذ مراد رسوله ، أو كلّ ما أراد رسول الله كان ؟

وهذه المحاورة مرتّ شرح هذا القسم منها في حديث الكتف والدواء ، كما ستأتي بتمامها في صفحة احتجاجاته في الحلقة الثانية مع ذكر مصادرها .

وأّما الثالثة : فكانت سنة ١٨ هـ خرج إلى الشام غازياً وكان راكباً على بغل وكان معه ابن عباس أيضاً حتى إذا وصل إلى سرغ . موضع في طريق الشام بين

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١٩٩ ط الحسينية حوادث سنة ١٧ . وفي الفتوحات الإسلامية لزينى دحلان ١ / ٤٥ في حوادث سنة ١٨ .

المغيرة وتبوك . لقيه أمراء الأجناد وفيهم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وشريحيل بن حسنة فأخبروه بالوباء وشدّته .

فدعى عمر بابن عباس وقال : اجمع لي المهاجرين الأولين . قال ابن عباس : فجمعتهم له فاستشارهم فاختلفوا عليه . وذكر شيئاً من أقوالهم . فلما رأى عمر اختلافهم قال : قوموا عني . ثم قال : اجمع لي الأنصار فجمعتهم له فاستشارهم فسلكوا طريق المهاجرين ، فكانوا سمعوا ما قالوا فقالوا مثله . فلما اختلفوا عليه ، قال : قوموا عني ، ثم قال : اجمع لي مهاجرة الفتح من قريش فجمعتهم له فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان وقالوا : ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء .

فقال عمر : يا بن عباس اخرج في الناس فقل : إن أمير المؤمنين يقول لكم إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه . فأصبح عمر على ظهر وأصبح الناس عليه ، فلما اجتمعوا عليه قال : أيها الناس إتي راجع فارجعوا ، ثم رجع إلى المدينة^(١) .

وفي هذه المرة . فيما أظن قوياً . كان حديث ابن عباس مع عمر حيث يقول : كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس . فقرأ عمر آية فيها ذكر عليّ بن أبي طالب ، فقال : أما والله يابني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر .

فقال ابن عباس : فقلت في نفسي لا أقالني الله إن أفلته ، فقلت : أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك اللذان وثبتما وانتزعتما وأفرغتما الأمر منا دون الناس !؟

فقال : إليكم يابني عبد المطلب ، أما إنكم أصحاب عمر بن الخطاب ، فتأخرت وتقدم هنئه فقال : سر لا سرت ، وقال : أعد عليّ كلامك . فقلت : إنما

(١) نفس المصدر .

ذكرت شيئاً فرددت عليه ولو سكت سكتنا. وستأتي المعاورة بتمامها في صفحة احتجاجاته في الحلقة الثانية مع ذكر مصادرها.

وأمّا الرابعة : فقد كانت بعد شهور من الطاعون الذي أهلك خلقاً كثيراً، ولما أرتفع الوباء والبلاء كتب أمراء الأجناد إلى عمر فيما بأيديهم من الأسلاب والمواريث فخرج معه ابن عباس أيضاً ، فدخل الشام على حمار له فقسم المواريث والأرزاق وسدّ فروج الشام ورجع إلى المدينة في ذي القعدة^(١) وقيل في ذي الحجة. وفي هذه السفرة كان العباس أيضاً قد خرج معه ولله وصية يوصي بها عمر تنبئ عن غمز في سلوكية الحاكم قال له : أربع من عمل بهن استوجب العدل : الأمانة في المال ، والتسوية في القسم ، والوفاء بالعده ، والخروج من العيوب ، نظف نفسك وأهلك^(٢) فهذه الوصية لا تخلو من أيامه غمز ونقد لتصرفات عمر.

ولابن عباس معاورة مع عمر في بعض أسفاره . ولعلها في أحدى سفرات الشام أيضاً . أخرجها الطبرى عن ابن عباس قال : «خرجت مع عمر في بعض أسفاره فإنما نسیر ليلة وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه وقال :

كذبتم وبيت الله يُقتل أَمْدُ
ولما نطاعِن دونه ونناضل
وئذْهَلْ عَنِ ابْنائِنَا الْحَلَائِل^(٣)
ثم قال : استغفر الله ، ثم سار فلم يتكلم قليلاً ، ثم قال :
وما حملت من ناقة فوق رحلها أَبْرَرْ وَأَوْفَ ذمَّةً مِّنْ مُّمَّد

(١) نفس المصدر.

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٠٣ ط الحسينية ، و ٤ / ٦٤ ط محققة.

(٣) ديوان أبي طالب / ١١٠ بتفاوت.

وأكسي لبُرِّ الخال قبل ابتداله وأعطي لرئيس سابق المتجرد^(١)

ثم قال : استغفر الله يا بن عباس ما منع علياً من الخروج معنا ؟

قلت لا أدرى ، قال : يا بن عباس أبووك عم رسول الله ﷺ وأنت ابن عمه فما منع قومكم منكم ؟ قلت لا أدرى ، قال : لكني أدرى ، يكرهون ولا يتكم (!) قلت : لم ؟ ونحن لهم كالخير ، قال : اللهم غفرأً يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة ، فيكون بحابحًا^(٢) لعلكم تقولون : أن أبا بكر فعل ذلك ، لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره ، ولو جعلها لكم ما نفعكم مع قربكم ، انشدني

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غايَةً من الجُدْ من يسبق إلَيْهَا يسُودُ^(٣)
فأنشدته وطلع الفجر فقال : اقرأ (الواقعة) فقرأها ، ثم نزل فصلٍ وقرأ
بالواقعة»^(٤).

والآن وقد تبيّن بعد هذه القراءة فيما مرّ من النصوص أن العلاقة بين الرجلين كانت علاقة قوية ، دلت على قوة الحضور الفاعل والمؤثر لشخصية حبر الأمة لدى عمر بن الخطاب ، فهو عنده ومعه في الحضر والسفر ، بدءاً من مجلس الشورى الذي يضم أشياخ الصحابة ومعهم ابن عباس وهو في سنّ أبنائهم ، ومروراً بحضوره المتكرر في بيته ، فنارة يدخل عليه وقد ألقى له صاع

(١) نسب الشعر إلى عدة شعراء قاربوا العشرين سبأي ذكرهم مع المصادر في الحلقة الثالثة في احتجاجات ابن عباس مع عمر ، وقد قيل في البيت الأول هو أصدق بيت قاله العرب.

٢) البُجُح التَّعَاذْمُ وَالْفَخْرُ .

(٣) دیوان زهیر بشرح شلب / ٢٣٤ ط مصر.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٢٢ ط محققة.

من تمر يأكل منه كما مرت الإشارة إليه ، وأخرى يسهر عنده ليلاً ، وثالثة يستدعيه عمر ليلاً يصطحبه لبعض نواحي المدينة حراستها ، وطوراً يأخذ معه إلى العالية ، أو ما شاته في سكك المدينة ، وانتهاءً بيوم مقتل عمر وقوة العلاقة لا تغير الثوابت .

لم تغير العلاقة الوطيدة في ثوابت الطرفين شيئاً :

فلقد قرأتنا كثيراً من الشواهد على عمق الصلة بين عمر وابن عباس ، ولكن لم يغير ذلك الاتصال الوثيق شيئاً من الثوابت عند الطرفين ، فكان في نفس كلّ منها مركبات ثابتة لم تغير شيء من المواقف الظاهرة ، بل وربما طفت بعض آثارها عند ساعة غضبٍ أو إثارة استفزاز .

فموقف عمر أزاء بني هاشم . ومنهم ابن عباس . لم يزل هو موقفه الأول وهو موقفه الأخير ، وهو استبعاد بني هاشم عن مراكز القوة في الدولة الإسلامية . بل وحتى مجرد الترشيح كما سُنِّي ذلك . كما أن موقف ابن عباس . وبيني هاشم مثله . لم يزل هو موقفهم الأول والأخير يرون أنهُم أصحاب الحق في الخلافة ، وأن قريشاً . ومنهم عمر . اغتصبت حقهم .

وإذا تأملنا في تاريخ عمر لايته التي جاوزت عقلاً من الزمن لا نجد له فضل أحداً على بني هاشم في العطاء ، كما نجد منه أحياناً وابلاً من الإطراء لهم والثناء عليهم ، ولكن كل ذلك لا يعني تغيير شيء من الثوابت عنده وما ذلك . إن صلح التعبير . إلا بعواطف نواشف أزاء ما هو الخلاف عليه وفيه ، إذ ليس لها أي تأثير على الصعيد العملي . فهو لم يرشح أي إنسان منهم لأمر ولاية أو قيادة جيش أو سرية ، وحسبنا من حديثه ما ذكره محمد بن سليمان : أن عمر سئل عن استعماله المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وإعراضه عن تولية عليّ

والعباس والزبير وطلحة. فقال : أَمَا عَلَيِّ فَأَنْبَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُؤُلَاءِ النَّفَرَ مِنْ قَرِيبَش ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنْتَشِرُوا فِي الْبَلَادِ فَيَكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادُ (١) ، مَعَ أَنَّ عَمَرَ كَانَ يَسْتَعْمِلُ الْمَنَافِقَ وَالْفَاجِرَ وَيَقُولُ اسْتَعِينُ بِقُوَّتِهِ (٢) وَثُمَّةَ مَا هُوَ أَصْرَحُ مَقَالَةً وَأَوْضَحُ دَلَالَةً. وَذَلِكَ قَوْلُ عُمَرَ لِأَصْحَابِ الشَّوْرَى رَوَحُوا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِمْ قَالَ : قَدْ جَاءَنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَهْرُبُ عَفْرِيْتَهُ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً ، أَمَّا أَنْتَ يَا طَلْحَةً أَفْلَسْتَ الْقَائِلَ إِنْ قَبْضَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْكَحَ أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ مُحَمَّدًا أَحْقَ بِبَنَاتِ أَعْمَامِنَا مَنًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيكَ : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ (٣).

وَأَمَّا أَنْتَ يَا زَبِيرَ فَوَاللَّهِ مَا لَانِ قَلْبُكَ يَوْمًا وَلَا لَيْلَةً ، وَمَا زَلْتَ جَلْفًا جَافِيًّا.

وَأَمَّا أَنْتَ يَا عُثْمَانَ فَوَاللَّهِ لِرَوْثَةِ خَيْرِ مِنْكَ.

وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَأَنْتَ رَجُلٌ عَاجِزٌ تُحِبُّ قَوْمَكَ جَمِيعًا.

وَأَمَّا أَنْتَ يَا سَعْدَ فَصَاحِبُ عَصْبَيَّةِ وَفَتَنَةِ.

وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَلِيِّ فَوَاللَّهِ لَوْ زَنَ إِيمَانَكَ بِإِيمَانِكَ أَهْلِ الْأَرْضِ لِرَجْحِهِمْ. فَقَامَ عَلِيٌّ مُوْلِيًّا يَخْرُجُ فَقَالَ عُمَرٌ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُ مَكَانًا رَجُلٌ لَوْ لَيْتَمُوهُ أَمْرُكَمْ لِحَمْلِكُمْ عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ.

قَالُوا : مَنْ هُوَ؟ قَالَ : هَذَا الْمَوْلَى يَسِّنُكُمْ ، قَالُوا : فَمَا يَنْعُكُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ :

لَيْسَ إِلَيْهِ ذَلِكَ سَبِيلٌ (٤).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٩ / ٢٩ ط محققة.

(٢) كنز العمال ٤ / ٦١٤ ، و ٥ / ٧٧١ ط مؤسسة الرسالة.

(٣) الأحزاب / ٥٣.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ١٧٠ ط الأولى.

وفي حديث له مع المغيرة بن شعبة قال : أما والله لولا دعابة فيه ما شككت في ولابته ، وان نزلت على رغم أنف قريش^(١).
وما قوله لابنه عبد الله أقل دلالة مما سبق. فقد روى البلاذري في أنساب الأشراف : «إن عمر لما خرج أهل الشورى من عنده قال : إن ولوها الأجلح سلك بhem الطريق.

فقال عبد الله بن عمر : فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين ؟ قال أكره أن أحملها حياً وميتاً»^(٢).

ولقد دعا الناس إلى الرجوع إلى أناس ساهم عند احتياجهم في أمور دينهم ، فخطب قائلاً : «من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد المال فليأتني فأني له خازن»^(٣).

فأنظر إلى هذه الكلمات القصيرة التي جعلت هؤلاء النفر الذي ساهم هم مراجع للناس في القرآن والحلال والحرام والفرائض ، واحتاجن لنفسه خزانة المال فهو بيده يعطي من يشاء ما يشاء.

ومن اللافت للنظر أن النفر المسميين كلهم من الأنصار بما بالمهاجرين ؟
أليس فيهم من يضارع هؤلاء فيما عندهم من مؤهلات علمية ودينية ؟
والجواب ليس فيهم من عيب ، وإن بقي السرّ في ضمير الغيب ، لكن مهما كان من السر المكتوم فقد كان من الواضح والمعلوم لدى جميع المسلمين من

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٨٢ ط لجنة التأليف والتجمة والنشر.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٠١ ط بيروت ، وأنظر شرح النهج لابن أبي الحميد ٣ / ١٧٠ ط بيروت.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ / ٢٧٢ ، وقال صحيح عليٌ شرط الشيفيين ولم يخرجاه.

أنصار ومهاجرين أنّ النبي ﷺ قال في عليّ عليهما السلام : (أنا مدينة العلم وعليّ باهها) ، وقال : (عليّ عيبة علمي) ، ولم يرد مثل ذلك في حقّ أي إنسان آخر من الصحابة ، فلماذا لم ينوه عمر بالرجوع إليه كما نوه بأولئك النفر. مع أنه هو الذي كان يفزع إليه عند عضل المسائل ويقول : «لا أبقىاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن» ، وكثيراً ما قال : «لولا عليّ للك عمر» ، فهو لا يجهل مقام الإمام العلمي ولكن لم ينوه به. ويأمر بالرجوع إليه ، لأن التنويه بالرجوع إليه يستتبع الإقرار بحقه فيما يقول ويطلب من أمر الخلافة. وهذا ما لا تريده قريش . ومنهم عمر . ولتبقي معرفة الفضل له شيء ، والتنويه بذلك الفضل في الإرجاع إليه شيء آخر .

ولقد أخرج أحمد في فضائل الصحابة بسنته عن أبي هبيرة أنّ عمر بن الخطاب كان يقول : «من كان سائلاً عن شيء من القرآن فليسأل عبد الله بن عباس»^(١).

هذا إن صح سنته فربما كان ذلك يوماً ما في حديث خاص وليس في خطبة على الناس كما مر في شأن النفر الأنصار.

وهلم إلى مواقف آخر له مع ابن عباس ، وهي متاخرة زماناً عما سبق منها :

ما أخرج ابن سعد في الطبقات في ترجمة ابن عباس بسنته عن مجاهد قال : «سمعت ابن عباس يقول : خدمت عمر خدمة لم يخدمه إياه أحد من أهله ، ولطفت به لطفاً لم يلطف به أحد من أهله ، فخلوت معه ذات يوم في بيته . وكان يجليني ويكرمني . فشهق شهقة ظنت أن نفسه سوف تخرج منها ، فقلت : أمن جزع يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا أجد لهذا الأمر أحداً . قلت : فأين أنت عن فلان ، وفلان ، وفلان ، وفلان . فسمى له الستة أهل الشورى . فأجابه في

(١) فضائل الصحابة / ١٨٩٣ .

كلّ واحد منهم بقوله . ثم قال : انه لا يصلح لهذا الأمر إلا قويٌ في غير عُنف ، ليُنْهَى في غير ضعف ، جواد في غير سرف ، ممسك في غير بُخل ... أه»^(١).

وهذا الخبر لا شك قد اعتبره تعظيم متعتمد بكتمان أقوال عمر في كل من فلان وفلان الستة أصحاب الشورى كما لم يذكر لنا مجاهد ماذا كان رأى ابن عباس في تلك الأقوال . ولا نبرئ مجاهد من تبعه ذلك التكتم . ومهما يكن فشمة ما هو صريح الدلالة على استبعاد عمر لبني هاشم . ومنهم ابن عباس . عن كل ما يمكنهم من ممارسة أي دور قيادي . فهلّم الآن إلى حديث :

حضور الحبر مقتل عمر وآخر أيامه :

- ١ . روى ابن سعد في الطبقات والبخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون قال : «وما كان بيبي وبينه . يعني عمر . حين طعن إلا ابن عباس فأخذ ييد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فصلوا الفجر يومئذ صلاة خفيفة»^(٢) .
- ٢ . وفي حديث الطبرى رواه عن المسور بن خرمة قال : «فلمَا وجد عمر حر السلاح سقط وقال : أفي الناس عبد الرحمن بن عوف ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين هو ذا ، قال تقدم فصل بالناس . قال : فصل عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح ...»^(٣) .
- ٣ . وفي رواية البخاري في صحيحه : «فتناول يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه»^(٤) .

(١) طبقات ابن سعد ١ / ١٤٢ الطبقة الخامسة.

(٢) نفس المصدر ٣ ق ١ / ٢٤٤ .

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ١٩١ ط محققة.

(٤) فتح الباري ٨ / ٦٣ .

٤ . ثم حُمِلَ عمر إلى منزله وكان من حمله عبد الله بن عباس^(١) ولم ينزل عنده حتى أُسْفَرَ الصبح وأفاق عمر من غشيه فقال : اخرج يا عبد الله بن عباس فسل من قتلني ؟ فخرج وسأله عاد إليه فإذا هو يهدّ النظر فيه . أي يحدّق . يستأني خبر ما عنده فأخبره أنه أبو لؤلة غلام المغيرة بن شعبة^(٢) .

٥ . ويبدو من بعض مرويات ابن سعد في ذلك أنّ عمر كان يتهم في نفسه أنساً لم يكشف عن هويّتهم فقال لابن عباس : اخرج إليهم . يعني المهاجرين والأنصار الذين اجتمعوا ببابه . فسلهم عن ملأ منكم ومشورة كان هذا الذي أصابني ؟ فخرج ابن عباس فسألهم فقال القوم : لا والله ما علمنا ولا أطّلنا^(٣) ، فقال عمر لابن عباس : قد كنت أنت وأبوك تحّبان أن تكثّر العلوج بالمدينة . وكان العباس أكثرهم رقيقاً . فقال : إن شئت فعلت . أي إن شئت قتلنا . فقال : كذبت ، بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحروا حجكم^(٤) .

(١) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٢٤٤ .

(٢) نفس المصدر ٣ ق ١ / ٢٥١ .

(٣) نفس المصدر ٣ ق ١ / ٢٥٢ .

(٤) فتح الباري ٨ / ٦٤ ، ولابن حجر توجيه غير وجيه لقول عمر لابن عباس (كذبت) فقال : هو على ما ألف من شدة عمر في الدين ، لأنّه فهم من ابن عباس من قوله : إن شئت فعلنا أي قتلناهم فأجابه بذلك ، وأهل الحجاز يقولون : كذبت في موضع أخطأت^(؟) وإنما قال له بعد أن صلوا لعلمه أن المسلمين لا يحمل قتله ، ولعل ابن عباس أراد قتل من لم يسلم منهم .

أقول : وليس لي إلا أن أقول لابن حجر . على حدّ ما زعم من لغة أهل الحجاز . كذبت أي أخطأ ؟ فمَا يُعنى لتحمل عمر على ابن عباس وأبيه وأخاه أحّبّا أن تكثّر العلوج في المدينة بينما كان العلوج الذي طعن به غلاماً للمغيرة بن شعبة ، فلماذا الحملة على ابن عباس لو لم يكن في نفس عمر ما يستفزه فيستوفوه ، وكل الحديث يبقى على ذمة الرواية .

٦ . وَكَانَ مُسْتَنِدًا فِي يَوْمٍ مِّنْ أَيَّامٍ طَعْنَتْهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مَعَ وُجُودِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَرِيبِهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ . وَكَانَا عَنْهُ . فَقَالَ : «اعْلَمُوا أَنِّي لَمْ أَقْلُ فِي الْكَلَالَةِ شَيْئًا ، وَلَمْ أَسْتَخْلُفْ بَعْدِي أَحَدًا ، وَأَنْ مَنْ أَدْرَكَ وَفَاتِي مِنْ سَبِّيِ الْعَرَبِ فَهُوَ حَرَّ مِنْ مَالِ اللَّهِ»^(١) .

٧ . وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مِّنْ أَيَّامِهِ الْثَلَاثَةِ قَبْلَ مَوْتِهِ فَقَالَ لَهُ : «بَأْيِ شَيْءٍ تَشْنِي عَلَيَّ بِالْإِمْرَةِ أَوْ بِغَيْرِهَا؟» قَالَ لَهُ : بَكَلٌ . قَالَ : لَيْتَنِي أَخْرَجْ مِنْهَا كَفَافًا لَا أَجْرٌ وَلَا وَزْرٌ ... وَاللَّهُ لَوْ أَنْ لِي مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ لَفَتَدِيَتْ بِهِ مِنْ هُولِ الْمَطَّلِعِ»^(٢) .

٨ . وَقَالَ لَهُ : «أَعْقَلْ عَنِي ثَلَاثًا» : الْإِمَارَةُ شَوْرِيٌّ ، وَفِي فَدَاءِ الْعَرَبِ مَكَانٌ كُلٌّ عَبْدٌ عَبْدٌ وَفِي ابْنِ الْأُمَّةِ عَبْدَانٌ» وَكَتَمْ ابْنَ طَاوُوسَ الْثَالِثَةَ^(٣) .

أَقُولُ : يَيْدُو كَتْمَانَ آخِرِ الْوَصَايَا سَنَةً مُتَبَعَةً لِرُوَايَةِ السَّوَاءِ . لَقَدْ مَرَّ فِي حَدِيثِ الْبَخَارِيِّ عَنْ أَخْبَارِ ابْنِ طَاوُوسَ كَتْمَانَهُمْ لِوَصْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ الْثَالِثَةَ فِي حَدِيثِ الْكَتْفِ وَالدَّوَاهَ ، فَرَاجِعٌ .

٩ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «قَلْتُ لِعُمَرَ : لَقَدْ أَكْثَرْتَ التَّمَنِي لِلْمَوْتِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْكَ غَيْرُ سَهْلٍ عِنْدَ أَوَانِهِ فَمَاذَا سَئَمْتَ مِنْ رَعِيَّتِكَ إِمَّا أَنْ تَعِينَ صَالِحًا أَوْ تَقْوِمَ فَاسِدًا؟» قَالَ يَا بْنَ عَبَّاسٍ إِنِّي قَائِلٌ قَوْلًا فَخَذْهُ إِلَيَّكَ ، كَيْفَ لَا أَحْبُبُ فِرَاقَهُمْ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ فَاتِحٌ فَاهٌ لِلشَّهْوَةِ مِنَ الدُّنْيَا إِمَّا لَحْقٌ لَا يَنْوِيهِ وَإِمَّا لِبَاطِلٍ لَا يَنْالِهِ ، وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ أَسْأَلَ عَنْكُمْ لَبَرِئَتْ مِنْكُمْ ، فَأَصَبَّحْتَ الْأَرْضَ مِنِي بِلَاقِعٍ وَلَمْ أَقْلُ مَا فَعَلْ فَلَانٌ وَفَلَانٌ»^(٤) .

(١) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٢٤٨ .

(٢) نفس المصدر ٣ ق ١ / ٢٥٥ .

(٣) المصنف لعبد الرزاق ٥ / ٤٤٦ ، وقارن طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٢٥٦ .

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ١٠٥ ط مصر الأولى.

١٠ . قال ابن عباس : «كنت عند عمر فتنفس نفساً ظننت أن أضلاعه قد انفجت . فقلت له ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شدید؟ قال : أي والله يا بن عباس إني فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي . ثم قال : لعلك ترى صاحبك لها أهلاً؟ قلت وما يمنعه من ذلك مع جهاده و سابقته وقرباته وعلمه . قال : صدقت ، ولكنـه أمرـه فيـه دعاـبة ، قـلت : فـاين أـنت مـن طـلحة؟ قال ذـو الـبـأـو باـصـبـعـه المـقـطـوـعـة قـلت : فـعـبـدـ الرـحـمـن؟ قال : رـجـلـ ضـعـيفـ لـوـ صـارـ الأـمـرـ إـلـيـهـ لـوـضـعـ خـاتـمـهـ فـيـ يـدـ اـمـرـأـتـهـ . قـلت : فـالـزـبـرـ؟ قال : شـكـسـ لـقـسـ يـلـاطـمـ فـيـ الـبـقـعـ فـيـ صـاعـ مـنـ بـُرـرـ ، قـلت : فـسـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ؟ قال : صـاحـبـ سـلاحـ وـمـقـبـ ، قـلت : فـعـثـمـانـ؟ قال : أـوـهـ . ثـلـاثـاًـ . وـالـلـهـ لـئـنـ وـلـيـهـاـ لـيـحـمـلـ بـنـيـ أـبـيـ مـعـيـطـ عـلـىـ رـقـابـ النـاسـ ، ثم لـتـهـضـ إـلـيـهـ الـعـربـ فـتـقـتـلـهـ .

ثم قال : يا بن عباس انه لا يصلح لهذا الأمر إلا خصيف العقدة ، قليل العزة ، لا تأخذنه في الله لومة لائم ، يكون شديداً من غير عنف ، ليناً من غير ضعف ، سخياً من غير سرف ، ممسكاً من غير وكف ...

قال . ابن عباس . : ثم أقبل علىّ بعد أن سكت هنيهة وقال : أجرؤهم والله إن وليهـاـ أـنـ يـحـمـلـهـ عـلـىـ كـتـابـ رـبـهـ وـسـنـةـ نـبـيـهـ لـصـاحـبـكـ ، أـمـاـ إـنـ وـلـيـهـمـ حـمـلـهـمـ عـلـىـ الـمـحـجـةـ الـبـيـضـاءـ وـالـصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ»^(١) ... إلى غير ذلك من الشواهد التي تدل على إصرار عمر على استبعادبني هاشم.

وفي مسألة تقديم عبد الرحمن بن عوف للصلة أوضح دلالة على ذلك . فإن عبد الرحمن بن عوف لم يكن أقرب مكاناً من ابن عباس حينئذ . فان روایة عمرو بن ميمون . وقد تقدمت أولاً . دلت على قرب ابن عباس المکانی ،

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ١٠٦ ط مصر الاولى .

ورواية المسور بن خرمة . وقد تقدمت ثانيةً . دلت على بُعد عبد الرحمن مكاناً حتى جعل يسأل عنه . وقد كان ابن عباس أولى أن يقدمه للصلوة لأنَّه أقرأ من عبد الرحمن وهو أستاذُه في القراءة . كما في حديث الفلتة . الّذِي رواه البخاري في باب رجم الحبل فقد جاء فيه : «إِنَّ ابْنَ عَبَّاسَ كَانَ يَقْرَئُ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ عَوْفَ وَجَمِيعَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ»^(١) ، فما دام ابن عباس هو الأقرأ لكتاب الله تعالى والرسول الكريم ﷺ كان يقول : (ولِيؤْمِكُمْ أَقْرَؤُكُمْ)^(٢) ، وكان يقول . كما في حديث أبي مسعود . : (يَوْمَ الْقُومُ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ)^(٣) .

وهذا حكم لا يجهله عمر مهما جهل من الأحكام غيره ، فقد كان في جملة المهاجرين الذين كان سالم مولى أبي حذيفة يؤمِّهم من مكة حتى قدم المدينة لأنَّه كان أقرأهم ، وبقي يؤمِّهم بقباء وفيهم عمر بن الخطاب قبل أن يقدم رسول الله ﷺ^(٤) ، ثم هل غاب عن علم عمر قول النبي ﷺ . كما رواه عثمان بن عفان . : (أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعْلَمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ)^(٥) ، ومن المتيقن كان ابن عباس هو الأفضل من عبد الرحمن بن عوف لأنَّه كان معلِّمه في القرآن والفرائض .

إذن فقد كان ابن عباس هو الأولى بأن يقدمه عمر للصلوة بالناس ، هذا إذا كنَّا لم نتيقن حضور الإمام علي عليه السلام ساعتها ، وإلا فهو الأولى من الجميع بالإمامية .

(١) وبقي هو أستاذُه حتى آخر أيام حياته حين منع عثمان الناس من الدخول عليه فلم يكن يدخل عليه إلا ابن عباس فيتعلم منه القرآن والفرائض كما في شرح النهج ١ / ٦٦ .

(٢) أنظر سنن أبي داود ١ / ١٧٤ .

(٣) نفس المصدر ١ / ١٧٣ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٦١ ط ليدين أفسٰت ، وصحيحة سنن أبي داود ١ / ١٧٥ .

(٥) وهذا أخرجَه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ط المند ، والترمذٰي ٤ / ٥٣ ، وعبد الرزاق في المصنف ٣ / ٣٦٢ . ٣٦٨ .

أفلا يدل ذلك العدول عن ابن عباس إلى عبد الرحمن على اصرار عمر أن لا يولي هاشميًّا مقاماً دينياً أو دنيوياً؟! وستأتي شواهد تؤكد على ذلك في عملية الشوري.

ثوابت أهل البيت ومنهم ابن عباس :

ليس بخاف على الباحث موقف أهل البيت . ومنهم ابن عباس . في منظورهم إلى الخلافة وأنها من حق عليٍّ خاصة ، وأن أبي بكر وعمر استحوذا عليها ، كما في حديث لابن عباس مع عمر قال له ذلك صراحةً .

روى الحافظ ابن مردويه والراغب الأصفهاني عن ابن عباس قال : «كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس ، فقرأ آية فيها ذكر عليٍّ بن أبي طالب ، فقال : أما والله يابني عبد المطلب لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر .

فقلت في نفسي : لا أقالني الله إن أقتلته ، فقلت : أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك اللذان وثبتتما وانتزعتما وأفرغتما الأمر منا دون الناس .

فقال : إليكم يابني عبد المطلب ، أما إنكم أصحاب عمر بن الخطاب ، فتأخرت وتقدم هنئه فقال : سر لا سرت وقال : أعد عليٍّ كلامك .

فقلت : إنما ذكرت شيئاً فرددت عليه جوابه ولو سكت سكتنا ...»^(١)

ذكر العقوبي في تاريخه أمر توسيعة عمر للمسجد الحرام وهدم بيت العباس لذلك وما جرى بينهما من كلام ثم قال : «وانصرف عمر بعد عشرين يوماً ، وكان العباس يسايره وتحت العباس دابة مُصعب ، فتقدّمه عمر ثم وقف له

(١) انظر اليقين لابن طاووس / ٢٠٥ ، محاضرات الراغب ٢ / ٢١٣ .

حتى لفظه فقال : قدمتك وما لأحد أن يقدمكم عشر بني هاشم. ولكنكم قوم فيكم ضعف. قال : رأنا الله نقوى على النبوة ونضعف عن الخلافة»^(١)؟

بنو هاشم يرون أنّ حقهم مضاع وفيهم مشاع. ومسألة الفيء والخمس كانت ذات أهمية خاصة لدى الشيوخين ولدى أهل البيت على السواء ، فإن حرمان أهل البيت منها يعني تحريرهم مما هو حق لهم وقد فرضه الله سبحانه لهم في كتابه لسد حاجاتهم المادية ، لذلك لم يربح الطاعون منهم في ولاية الشيوخين يذكر ذلك بألم ولو بعد حين.

لقد روى السيوطي في الدر المنشور عن ابن المنذر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : «سألت علياً عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين أخبرني كيف كان صنع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الخمس نصيحكم ؟

قال : أمّا أبو بكر رضي الله عنه فلم تكن في ولايته أخmas ، وأمّا عمر رضي الله عنه فلم يزل يدفعه إلى كل خمس حتى كان خمس السوس وجند يسابور فقال : وأنا عنده هذا نصيحكم أهل البيت من الخمس وقد أحل بعض المسلمين واشتدت حاجاتهم. فقلت : نعم ، فوثب العباس بن عبد المطلب فقال : لا تعرض في الذي لنا.

فقلت : ألسنا أحق من أرفق المسلمين وشفع أمير المؤمنين ؟

فقبضه ، فوالله ما قبضناه ولا قدرت عليه في ولاية عثمان ...»^(٢).

وروى ذلك البهقي في السنن وابن أبي شيبة في المصنف وفي آخر الحديث قول عليّ عن العباس : (وكان رجلاً داهياً)^(٣).

(١) تاريخ العقوبي ٢ / ١٢٧ .

(٢) الدر المنشور ٣ / ١٨٦ ط أفسط الإسلامية .

(٣) السنن الكبرى ٩ / ٣٤٣ ، المصنف ١٢ / ٤٧٠ ط باكستان .

روى البيهقي عن عبد الرحمن بن أبي يعلى قال : «لقيت علياً عند أحجار الزيت فقلت له بأبي أنت وأمي ما فعل أبو بكر وعمر في حكمكم أهل البيت من الخمس ؟ ... قال علي : إن عمر قال : لكم حق ولا يبلغ علمي إذا كثرا يكون لكم كلهم ، فإن شئتم أعطيتكم منه بقدر ما أرى لكم. فأبینا عليه إلا كلهم ، فأبی أن يعطينا كلهم»^(١).

وهلم لنقرأ ماذا عن ابن عباس في ذلك :

روى الذهبي عن ابن عباس يقول : «كان عمر عرض علينا أن يعطينا من الفيء^(٢) بحق ما يرى أنه لنا من الحق ، فرغبنا عن ذلك وقلنا : لنا ما سمى الله من حق ذي القرى وهو خمس الخمس فقال عمر : ليس لكم ما تدعون أنه لكم حق ، إنما جعل الله الخمس لأصناف مهام ، فأسعدتهم فيه حظاً أشدتهم فاقلة وأكثر عيالاً ، قال فكان عمر يعطي من قبل منا من الخمس والفيء نحو ما يرى أنه لنا ، فأخذ ذلك منا ناس وتركه ناس»^(٣).

وروى الفسوسي عن سماك الحنفي قال سمعت ابن عباس يقول : «الخمس لنا ولكن ظلمنا فقال أبو مريم . وهو معى . صدق»^(٤).

وأخرج أحمد في مسنده عن يزيد بن هرمز : «أن نجدة الحروري حين خرج من فتنة ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذوي القرى لمن تراه ؟ قال : هو لنا لقرى رسول الله ﷺ قسمه رسول الله ﷺ لهم ، قد كان عمر عرض علينا منه شيئاً رأيناه دون حقنا فردناه عليه وأبینا أن نقبله ، وكان الذي

(١) السنن الكبرى ٦ / ٣٤٤ (مسند الشافعي باب الفيء).

(٢) الفيء : ما أخذ من أموال الكفار بغير حرب ولم يوجد عليه بخيل ولا ركاب.

(٣) سير أعلام النبلاء ١ - ٤٩١ / ٢ ط دار الفكر بيروت.

(٤) المعرفة والتاريخ للفسوسي ٣ / ٦٨ .

عرض عليهم أن يعين ناكمهم وأن يقضى عن غارتهم وأن يعطي فقيرهم ، وأبى أن يزيدهم على ذلك»^(١).

وَثَة مُكَاتِباتٍ مِنْ نَجْدَة بْنِ عَوْيَرِ الْخَارِجِيِّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ فِيهَا عَدَةَ مَسَائلٍ ، وَمِنْهَا مَسَأْلَةُ الْخَمْسِ وَجَوَابُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِيهَا يَطْفَحُ بِالْأَلْمِ ، وَيَعْرِّيُ عَنِ الشَّعُورِ بِالْاحْبَاطِ مَا لَقُبِّمِ مِنْ حِيفٍ.

وَلَمْ تَكُنْ مَسَأْلَةُ الْخَمْسِ هِيَ الْأُولَى وَالْآخِرَةُ فِي مَسَائلِ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّتِي كَانَ يَنْعَاهَا عَلَى الْحَاكِمِينَ ، فَشَمَّةُ مَسَائلِ فَقِيهَةِ كَانَتْ لَهُ آرَاءٌ تَخْتَلِفُ مَعَ آرَائِهِمْ كَمَسَأْلَةُ الْمُتَعَةِ وَالْعَوْلِ فِي الْفَرَائِضِ وَدِيَةِ الْأَصَابِعِ وَمِيرَاثِ الْبَنَّتِ وَغَيْرِهَا مَمَّا يَأْتِيُ الْحَدِيثُ عَنْهَا فِي الْحَلْقَةِ الْثَالِثَةِ (فَقِيهَهُ).

وَحَتَّى حَدِيثُ الشَّوْرِيِّ وَمَا جَرِيَ لَهَا وَفِيهَا مِنْ تَحْضِيرٍ ، نَجْدُ الْهَاشِمِيِّينَ . وَمِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ طَبْعًا . مُسْتَبْدِينَ عَنْهَا تَامًا ، وَأَنْكُمْ يَرَوْنَ فِي تَسْمِيَةِ الْإِمَامِ ضَمْنَ النَّفَرِ الَّذِينَ عَيَّنُوهُمْ عَمَرٌ هِيَ حِبَّةُ بَحْنَكَةٍ ، وَهَذَا هُوَ مَظْوُرُ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَلَيْسَ بِخَافٍ عَلَى الْبَاحِثِ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَرِيدُ الْأُمْرَ لِعُثْمَانَ إِمَّا رَدًا جَمِيلَهُ السَّابِقِ حِينَ كَتَبَ اسْمَهُ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وَأَبْوِ بَكْرٍ مَغْشِيَ عَلَيْهِ هَذَا عَلَى أَحْسَنِ تَقْدِيرٍ ، وَإِلَّا فَمَنْ أَيْنَ لَهُادِيهِ يَحْدُو بِهِ وَيُسَمِّيُ الْأَمْرِ بَعْدَهُ عُثْمَانَ .

أَخْرَجَ الْحَبْ طَبَرِيُّ فِي الْرِّيَاضِ النَّضْرَةِ عَنْ حَارِثَةِ بْنِ مَضْرِبٍ قَالَ : «حَجَّجَتْ مَعَ عُمَرَ فَكَانَ الْحَادِي يَحْدُو : إِنَّ الْأَمْرَ بَعْدَهُ عُثْمَانَ»^(٢) . وَهَذَا عَيْنُ مَا رَوَاهُ الْبَلَادِرِيُّ أَيْضًا فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ^(٣) .

(١) مَسْنَدُ أَحْمَدَ / ١ / ٣٢٠ .

(٢) الْرِّيَاضُ النَّضْرَةُ / ٢ / ١١٦ .

(٣) أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ / ١ / ٤٩٤ مِنْ الْقَسْمِ الرَّابِعِ تَحْتَ احْسَانِ عَبَّاسٍ بِلْفَظِ (إِنَّ الْأَمْرَ بَعْدَهُ ابْنَ عَفَانَ) .

ولم يكن الحادى ليقول ذلك من نفسه لو لم يكن سمع ذلك من عمر كما سمع حذيفة ذلك منه فقد روى حذيفة قال : «قيل لعمر وهو بالموقف : مَن الخليفة بعده؟ قال : عثمان بن عفان». قال الحب الطبرى : خرجه خشمة بن سليمان وهذا خبر عن كشف واطلاع لا عن عهد^(١) (؟!).

فيما لله وللشوري :

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشيقية التي تفجر فيها غضباً وتميز غضاً : «حتى إذا مضى . يعني عمر . لسيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم فيما لله وللشوري ؟ متى اعترض الريب في مع الأول منهم ، حتى صرت أقرب إلى هذه النظائر ؟ لكنّي أسفت إذ أسفوا وطررت إذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن».

بهذه الكلمات الحارة اختصر الحدث في الحديث عن الشوري ، ولسنا بصدّ الحديث عنها ولكننا بصدد ذكر ماله دور في استبعاد الهاشميين . ومنهم ابن عباس طبعاً . عن القيادة .

فلننظر أولاً إلى الأدوار التي وزعها عمر بعدما طعن ، فهو قد سمى النفر الستة علىّاً وعثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف . على أن يختاروا أحدهم فيكون هو الخليفة . ثم ضيق دائرة الاختيار وجعله لخمسة إن اتفقا وقتل السادس ، ثم جعله لأربعة إن اتفقا وقتل الاثنين وأخيراً جعله لثلاثة فيهم ابن عوف إن اتفقا وقتل الثلاثة الآخرين .

(١) الرياض النضرة ٢ / ١١٦ ط النعسانى بمصر سنة ١٣٢٧ هـ .

وحدّد الفترة الانتخابية بثلاثة أيام ، وجعل لابنه عبد الله حق الحضور ليكون حكماً فإن لم يرضوا بحكمه فالفوز من كان عبد الرحمن بن عوف معه. ومن أبي تضرب عنقه كائناً من كان يتولى ذلك أبو طلحة الأنباري.

فهو بهذا الإجراء التعسفي فيما يراه الهاشميون قد استبعدهم عن أي دور فاعل في عملية الشورى حتى على . كما سيأتي تصرحه بذلك ..

وما رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة من أن عمر قال : «واحضروا معكم الحسن بن عليٍّ وعبد الله بن عباس فإن لما قرابة وأرجو لكم البركة في حضورهما وليس لهما من أمركم شيئاً»^(١) ، فهذا شيء انفرد بروايته ولم أقف عليه عند غيره ، وربما كان من تزييد الرواية بعد ذلك. وإلا فلا معنى لأن يذكر الحسن ولا يذكر أخاه الحسين وهو معاً سيداً شباب أهل الجنة ، وهو معاً ريجانتا رسول الله ﷺ وهو معاً سبطاه وهو معاً ... فالبركة بحضورهما معاً أتم وأكمل إن كانت البركة هي الداعي للحضور ، كما إن حضور العباس بن عبد المطلب كان أولى من حضور ابنه عبد الله فإنه الذي استسقى به عام الرمادة ، فبركته أكثر من بركة ابنه عبد الله وإن كانت صلته بهذا أوثق.

ومهما يكن نصيب روایة ابن قتيبة من الصحة . نظراً لإرسالها سندأ ثم إعلانها متناً . فهي على فرض صحتها فلا يغير حضور الحسن وابن عباس شيئاً في ميزان القوى المتصارعة عند التعادل في الاختلاف . ما دام حضورهما مجرد البركة التي يرجوها عمر للمشاوريين .

أمّا الاحتکام والاستشارة فهي لابنه عبد الله أولاً ، وما أدرى كيف رشّحه لذلك وهو الذي ردّ على المغيرة بن شعبة بعنف حين قال له لو استختلفت . فقال :

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢٣ / ١ .

«قاتلوك الله والله ما أردت بهما»^(١) ، «ويحك كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته»^(٢).

وأمّا الدور الفاعل والقاتل فهو عبد الرحمن بن عوف فقط وفقط حيث جعل الرجحان في كفته كما جعل أمر الصلاة بالناس إلى صهيب الرومي طيلة أيام المشاورة فقال : «وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة أيام التي تشاورون فيها فإنه رجل من الموالى لا ينazuكم أمركم»^(٣).

وأعطى للمقداد بن الأسود دوراً بجمع النفر في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم^(٤).

كما أبقى زمام القوة التنفيذية بيد أبي طلحة الأنصاري حين أمره بأن يجمع خمسين رجلاً من الأنصار ليقف على باب البيت الذي فيه النفر ، فإذا مضت الثلاثة أيام ولم يختاروا ضرب أنعاقهم جميعاً.

فأنظر إلى الأدوار التي وزعها في عملية الشورى فلم يجعل لابن عباس ولا لغيره من الهاشمين أي دور يذكر.

كما صنع مع عبد الرحمن بن عوف حين جعل الرجحان في كفته.

أو مع ابنه عبد الله حين جعله مستشاراً ومشيراً.

أو مع صهيب الرومي حين ولاه أمر الصلاة.

أو مع المقداد حين أمره أن يجمع النفر في بيت حتى يختاروا أحدهم.

(١) أنساب الأشراف للبلذري ١ ق ٤ / ٥٠٢ تـاحسان عباس ط بيروت.

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٢٧ ط محققة دار المعارف.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ / ٢٣.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٢٩ ط محققة.

أو مع أبي طلحة الأنصاري حين أوكل إليه رقابة الموقف لمدة ثلاثة أيام
فإن اتفق النفر على أحدهم وإنما ضرب عنان الجميع.

كلّ هذا يوحى بأن عمر لازال . وهو في آخر حياته كما كان أيامها . ثابتًا على موقفه في استبعاد بنى هاشم عن أي دور قيادي فيه نحو ترشيح لهم . وأمّا ذكره لعليّ ضمن أصحاب الشورى ، فهو لا يعني شيئاً إيجابياً بقدر ما هو استبعاد له بكل المعايير التي وضعها من رجحان كفة ابن عوف ، والإمام كان يعلم ذلك مسبقاً ، وإنما رضي بالدخول في الشورى ليبرهن للناس تناقض عمر في أقواله فبالأمس كان يقول : «لا تجتمع الخلافة والنبوة في بيت واحد» ، واليوم رشحه للخلافة ، ولم يكن يخفي ذلك على بنى هاشم . ومن هنا عرف الهاشميون أنهم قد استبعدوا عن القيادة ، بل وحتى عن الحضور الفاعل وان لم يغيبوا عن الساحة كما يتضح ذلك مما رواه المفيد في الإرشاد بسنته عن أبي صادق قال : «لما جعلها عمر شورى في ستة فقال : إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن وقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن ، خرج أمير المؤمنين عليهما السلام من الدار وهو معتمد على يد عبد الله بن العباس فقال : يابن العباس إن القوم قد عادوكم بعد نبيكم كعاداتكم لنبيكم ﷺ في حياته . أم والله لا ينيد بهم إلى الحق إلا السيف . فقال له ابن عباس : وكيف ذاك ؟ قال : أما سمعت قول عمر : إن بايع اثنان لواحد واثنان لواحد فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن وقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن ؟ قال ابن عباس : بلـى ، قال : أو لا تعلم أن عبد الرحمن ابن عم سعد وأن عثمان صهر عبد الرحمن ؟ قال : بلـى ، قال : فإن عمر قد علم أن سعداً وعبد الرحمن وعثمان لا يختلفون في الرأي ، وانه من بويع منهم كان اثنان معه ،

وأمر بقتل من خالفهم ، ولم يبال أن يقتل طلحة إذا قتلني وقتل الزبير ، أم والله لئن عاش عمر لأعرفنه سوء رأيه فيما قدّيًنا وحديثاً ، ولئن مات ليجعّنني وإياه يوم يكون فيه فصل الخطاب ... اه»^(١).

«وتلقاه العباس وصار يمشي إلى جانبه فقال : عُدلت عنا. فقال : وما علمك ؟ قال : فُرِن بي عثمان. وقال : كونوا مع الأكثـر ، فإن رضي رجلان رجلاً ، ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، فسعد لا يخالف ابن عمـه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون في ولـيـها عبد الرحمن عثمان ، أو يوليـها عـثمان عبد الرحمن ، فلو كان الآخـران مـعـي لم يـفـعـلـيـ ، بلـهـ إـيـ لا أـرـجـوـ إلاـ أحـدـهـماـ. وـمـعـ ذـلـكـ فـقـدـ أحـبـ عـمـرـ أـنـ يـعـلـمـنـاـ أـنـ لـعـبدـ الـرـحـمـنـ عـنـدـهـ فـضـلـاـ عـلـيـنـاـ لـعـمـرـ وـالـلـهـ مـاـ جـعـلـ اللـهـ ذـلـكـ لـهـمـ عـلـيـنـاـ كـمـاـ لـمـ يـجـعـلـهـ لـأـوـلـادـهـمـ عـلـىـ أـوـلـادـنـاـ.

قال له العباس : الزم بيتك ولا تدخل في الشورى فلا يختلف عليك اثنان»^(٢).

وفي لفظ آخر قال : «قد أطلق الله يديك فليس لأحدٍ عليك تبعـةـ. بـيـعـةـ ظـ.

فلا تدخل في الشورى عسى ذلك أن يكون خيراً»^(٣).

ولست بـحـاجـةـ إـلـىـ التـعـلـيقـ عـلـىـ كـلـمـةـ العـبـاسـ ، فـقـدـ كـانـ رـجـلاـ دـاهـيـاـ كـمـاـ يـقـولـ الإـمـامـ فـيـهـ وـهـوـ يـعـرـفـ نـفـسـيـاتـ النـفـرـ المـرـشـحـينـ ، فـقـدـ أـحـسـ بـأـنـ الـقـوـمـ سـيـعـلـوـنـ عـنـ اـبـنـ أـخـيـهـ إـلـىـ غـيرـهـ ، وـإـذـاـ حـدـثـ ذـلـكـ مـعـ حـضـورـهـ مـعـهـمـ ، كـانـ عـلـيـهـ غـصـاضـةـ وـأـشـدـ مـضـاضـةـ بـخـلـافـ لـوـمـ يـحـضـرـ وـحـدـثـ ذـلـكـ ، فـلـذـلـكـ حـاـوـلـ مـخـاطـأـ بـهـذـاـ التـدـبـيرـ أـنـ يـخـفـفـ مـنـ أـلـمـ الـمعـانـةـ الـتـيـ سـتـلـحـقـ الإـمـامـ بـحـضـورـهـ مـعـهـمـ.

(١) الإرشاد / ١٥١.

(٢) أنساب الأشراف / ٥ ط أفسـتـ المـشـنىـ.

(٣) نفس المصدر ١ ق ٤ / ٥٠٩ تحدـ: إحسـانـ عـبـاسـ طـ بيـرـوـتـ.

ومهما كان نوايا العباس فقد مرت الأيام سراعاً ومات عمر واجتمع النفر فقال العباس لعليٰ : «لم أدفعك في شيء إلا رجعت إلى مستأراً بما أكره : أشرت عليك عند وفاة رسول الله ﷺ أن تسأله فيما يمين هذا الأمر فأبيت ، وأشارت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت. وأشارت عليك حين سمّاك عمر في الشورى إلا تدخل معهم فأبيت ، إحفظ عني واحدة كلما عرض عليك القوم فقل : لا ، إلا أن يولوك ، وأحذر هؤلاء الرهط فإنهم لا يرحون يدفعوننا عن هذا الأمر ، حتى يقوم لنا به غيرنا ، وأيم الله لا نناله إلا بشرٍ لا ينفع معه خير.

قال عليٰ : أما لئن بقي عثمان لأذكره ما أتى ، ولئن مات ليتداولنها بينهم ، ولئن فعلوا ليجدني حيث يكرهون» هكذا رواية الطبرى^(١).

ولعل ذكر عثمان من سهو الرواة وال الصحيح عمر صاحب الوصية كما أن في رواية ابن أبي الحديد في شرح النهج : (أما والله لئن عمر لم يمت لأذكره ما أتى إلينا قدِيماً ، ولأعلمته سوء رأيه فيما أتى إلينا حديثاً ، ولئن مات . وليموت). ليجتمعن هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنا ولئن فعلوها وليفعلن لزيروني حيث يكرهون والله ما يرى رغبة في السلطان ولا حب الدنيا ولكن لإظهار العدل والقيام بالكتاب والسنـة^(٢).

وقال عائشة^(٣) : (أما إني أعلم أنكم س يولون عثمان وليحدثنـ البدع والأحداث ، ولئن بقي لأذكرـك ، وإن قتل أو مات ليتداولـها بنو أمية ، وإن كنت حـياً لتجدـني حيث يكرـهون ، ثم تمـثل :

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٣٠ ط محققة.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٤٠٩ . ٤١٠ / ٦٤ ط مصر الأولى.

حلفت برب الراقصات عشيةً
ليحتل بن رهط ابن يعمر مارئاً
فعرفنا ممّا مرّ موقف الإمام و موقف عمّه العباس من تلك الشورى ، أمّا عن
مواقف بقية الهاشميين فحسينا معرفة رأي ابن عباس ، فقد روى ابن أبي الحديد
أنّه قال للإمام بعد ما سمع كلام عمر : «ذهب الأمر منا . الرجل يريد أن يكون
الأمر في عثمان ، فقال له الإمام : أنا أعلم ذلك ولكني أدخل معهم في الشورى
لأنّ عمر قد أهلهني الآن للخلافة ، وكان قبل يقول : إن رسول الله ﷺ قال : إن النبوة
والإمامية لا يجتمعان في بيت ، فانا أدخل في ذلك لأظهر للناس مناقضة فعله
لروايته»^(٢) .

على هذا النحو غير المؤثر كان دخول الإمام .
وعلى هذا النحو في الجو المحموم جرت عملية الاقتراع فكان الجدل
وكان الخصومة .

وفي ذلك الجو الصاخب كان احتجاج الإمام بحديث المناشدة بفضائله
المؤهلة له دون بقية النفر .

وفي ذلك كان التحرك اليائس من بعض الصحابة حين رأى التدافع .
فقال عمار لعبد الرحمن بن عوف : إن أردت أن لا يختلف المسلمون
فبائع علياً .

وصدقه المقداد فقال : صدق عمار إن بايعت علياً قلنا سمعنا وأطعنا .

(١) نفس المصدر ١ / ٦٤

(٢) نفس المصدر ١ / ٦٣

وقال ابن أبي سرح : إن أردت أن لا تختلف قريش فبائع عثمان ، إن بايُعْتَ عثمان قلنا سمعنا وأطعنا ، فشتم عمّار ابن أبي سرح وقال : متى كنت تنصح المسلمين .

فتكلم بنو هاشم وتكلم بنو أمية .

فقال عمّار : أيها الناس إن الله أكرمنا ببنينا وأعزنا بدينه ، فأنّي تصرفون هذا الأمر عن بيت نبيكم .

فقال رجل من بني مخزوم^(١) : لقد عذلت طورك يا بن سمّيّة وما أنت وتأمّير قريش لأنفسها .

فقال سعد لعبد الرحمن بن عوف : افرغ قبل أن يفتن الناس .

فقال عبد الرحمن : إني نظرت وشاورت فلا تجعلنّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً . دعا علياً فقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفتين من بعده ؟ قال : أعمل بمبلغ علمي وطاقتى .

ثم دعا عثمان فقال له كما قال لعليٰ فقال عثمان : نعم فباعه .

فقال عليٰ عليه السلام : حبوته محابة (حبو دهر) ليس هذا بأول يوم تظاهرت فيه علينا من دفعنا عن حقنا والاستئثار علينا وانّها لسنة علينا وطريقة تركتموها ، أما والله ما وليت عثمان إلا ليردّ الأمر إليك والله كلّ يوم هو في شأن . دق الله بينكما عطر منشم . فخرج وهو يقول : سيلغ الكتاب أجله .

(١) لئن تكتم علماء التبرير على اسم الرجل المخزومي في بعض المصادر غير ابن أبي الحديـد في شـرح النـهج ٩ / ٥٨ طـ مـحـقـقـةـ أـفـصـحـ في روایـةـ لـهـ وـأـنـهـ هـاشـمـ بـنـ الـوـلـيدـ بـنـ المـغـيـرـةـ وـالـصـوـابـ هـشـامـ بـنـ الـوـلـيدـ وـهـوـ أـخـ خـالـدـ بـنـ الـوـلـيدـ . وـقـدـ سـبـقـ خـالـدـ مـلاـحةـ مـعـ عـمـارـ أـيـامـ النـبـيـ ﷺ فـنـهـاـهـ النـبـيـ ﷺ وـأـثـنـيـ عـلـىـ عـمـارـ ثـنـاءـ بـالـغـاـ وـقـالـ : مـنـ سـبـبـ عـمـارـ سـبـبـهـ اللـهـ وـمـنـ أـبـغـضـ عـمـارـ أـبـعـضـهـ اللـهـ ، وـهـذـاـ مـاـرـوـاهـ خـالـدـ نـفـسـهـ (راجـعـ جـمـعـ الرـوـاـيـاتـ ٩ / ٢٩٤) تجد الحديث بأوسع من هذا كما رواه أحمد والطبراني .

فهشام بن الوليد هو الذي تعدى طوره حين اعترض عماراً في مقالته .

فقال عبد الرحمن : يا عليّ لا تجعل على نفسك سبيلاً ، فإني قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان أحداً.

فقال المقداد : يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

ثم قال : ما رأيت مثل ما أويت إلى أهل هذا البيت بعد نبئهم ، إني لأعجب من قريش إنهم تركوا رجلاً ما أقول إن أحدهما أعلم ولا أقضى منه بالعدل ، أما والله لو أجد عليه أعواناً.

فقال عبد الرحمن : يا مقداد اتق الله فإليّ خائف عليك الفتنة.

فقال رجل للمقداد : رحمك الله من أهل هذا البيت ؟ ومن هذا الرجل ؟

قال : أهل البيت بنو عبد المطلب والرجل عليّ بن أبي طالب.

وقال عليّ : إن الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر إلى بيتهما فتقول : إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً ، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم^(١).

وروى الطبرى عن المسور بن محرمة قال : «وتلکأ علىي ف قال عبد الرحمن ﴿فَمَنْ نَكَثَ فِإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

إلا أن البلاذري روى : «إن عبد الرحمن قال لعليّ : بايشع وإلا ضربت عنقك»^(٤) . ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره . فيقال : أن علياً خرج مغضباً

(١) أنظر تاريخ الطبرى ٤ / ٢٢٢ - ٢٣٣ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٤٠ .

(٢) الفتح / ١٠ .

(٣) أنظر تاريخ الطبرى ٤ / ٢٣٨ .

(٤) انساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٠٨ .

فلحقه أصحاب الشورى وقالوا : بايُّع وَإِلَّا جاهدناك ، فأقبل معهم يمشي حتى بايُّع عثمان وهو يقول . كما في الطبرى . : (خدعة وأيّما خدعة)^(١) .

وهكذا تمت البيعة لعثمان وسماها الإمام خدعة وأيّما خدعة ، فإن الشورى بدءاً من وصية عمر ومروراً بما قام به عبد الرحمن وانتهاء بتهديد الإمام إن لم يبايُع ، كلها أدوار مسألة محبوكة بحنكة لتولية عثمان دون غيره .

وحسينا ما مرّ من قول عمر نفسه : «والذى نفسي بيده لأردّها إلى الذى دفعها إلى أول مرة»^(٢) ، ومن هو ذاك إلّا عثمان . هذا وغيره ما يؤكّد استبعادبني هاشم عمداً ، فلا غرابة إذن فيما إذا روى البياضى في كتابه الصراط المستقيم كلاماً لابن عباس في ذلك اليوم فقال : «وأسند الحاجب إلى ابن عباس أنه قال يوم الشورى : كم تمنعون حقنا ؟ ورب البيت إن علياً هو الإمام والخليفة ، وليملكن من ولده أئمة أحد عشر يقضون بالحق : أو لهم الحسن بوصية أبيه إليه ، ثم الحسين بوصية أخيه إليه ، ثم ابنه علي بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه محمد بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه جعفر بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه موسى بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه علي بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه محمد بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه علي بوصية أبيه إليه ، ثم ابنه علي بوصية أبيه إليه ، فإذا مضى فالمتظر صاحب الغيبة ، قال علیم . الراوى . لابن عباس من أين لك هذا ؟ قال : إنّ رسول الله ﷺ علم علياً ألف باب فتح له من كلّ باب ألف باب ، وإنّ هذا من ثمّ»^(٣) .

وأخيراً فقد قرأنا فيما مرّ حقبة من تاريخ حبر الأمة عبد الله بن عباس في أيام عمر ، وهي حقبة مليئة بالمفاجآة والمحاورات ، كشفت لنا خبايا وزوايا في

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٣٩ . ٢٣٨ ط محققة ، وسير اعلام النبلاء ٢ / ٥٧٩ ط دار الفكر.

(٢) أنظر الرياض النضرة ٢ / ٧٤ .

(٣) الصراط المستقيم ٢ / ١٥١ .

التاريخ قد يجهلها الكثيرون من هم عمريون أكثر من عمر وقد تحرّرت ما وسعني البحث الدقة في إبراز الصورة لهما بكل جوانبها سواء المضيء الناصع والمظلم المظلم ، دون حسابات التعظيم والتغريم للأشخاص ، فإنهم بشر مثلنا وكلهم من بني ادم. فهم يحسنون ويسئون ، وطبعاً لهم كطبائع الناس ، يغضبون عند الاثارة والاستفزاز ويذمرون لحد الشهراز ، وما في ذلك من نقد أو تجريح ، بل ذلك هو المنظار الصحيح ويقى عمر في نظر ابن عباس وقد أجاب من سأله عنه فقال : «كان كالطير الحذر الذي يرى أن له بكل طريق شركاً يأخذه»^(١).

كما كان ابن عباس في نظر عمر وقد قال لمن تسخّط تقريره من المهاجرين : «ذاكم فتي الكهول ، له لسان سؤول ، وقلب عقول»^(٢).

كما تبقى الشورى سلعة بائرة في سوق الاستخلاف ، ومجرد اسم تلعب به الشفاه أفرغ منه مضمونه كما يقول عبد الفتاح عبد المقصود^(٣).

ولم يكتب لهذه الطريقة حظ في الحياة ، فإن أحداً من الخلفاء لم يلجم إلينا بعد عمر كما يقول الدكتور منير العجلاني^(٤).

وما من شك في أن النظام الذي وضعه للشورى قد كان نظاماً لا يخلو من نقص ، ولعله لا يخلو من نقص شديد كما يقول الدكتور طه حسين^(٥).

فممّا لا ريب فيه إنّ عدم النص على الخليفة أو تعيين الانتخاب في عدد مخصوص أوجد حزبية وبيلة وهيا لها أن تعمل أسوأ أعمالها ولم تقف عند

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى / ٨٢ ط المنيرية سنة ١٣٥١ هـ.

(٢) الإصابة ٢ / ٣٢٥ ط مصطفى محمد.

(٣) السقيفة والخلافة / ٢٦٤ .

(٤) عبقرية الإسلام ونظام الحكم / ١٥٠ ط دار الكتاب الجديد بيروت.

(٥) الفتنة الكبرى ١ / ٦٠ ط دار المعارف بمصر.

حدود النجاح في الانتخاب فحسب ، بل استقرت على وجه دائم لتفضي على الخصوم والأحزاب المنوئة. كما يقول الشيخ العلائي^(١).

وقال معاوية : وانّه لم يشتت بين المسلمين ولا فرق أهواهم ولا خالف بينهم إلا الشورى التي جعلها عمر إلى ستة نفر ، وذلك إن الله بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فعمل بما أمره الله به ، ثم قبضه الله إليه. وقدّم أبا بكر للصلوة فرضوه لأمر دنياهم إذ رضيه رسول الله ﷺ لأمر دينهم ، فعمل بسنة رسول الله ﷺ وسار بسيره حتى قبضه الله إليه. واستخلف عمر فعمل بمثل سيرته ، ثم جعلها شورى بين ستة نفر ، فلم يكن رجل منهم إلا رجاه لنفسه ورجاه لقومه ، وتطلع إلى ذلك نفسه ، ولو أن عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف^(٢).

ولو اختير علىّ أو الزبير بن العوام لتغير وجه التاريخ ولكنهم اختاروا ألينهم ناظرين في اختياره إلى أن العرب كانوا قد سئموا حكم عمر في شدته وهرواته. هكذا يقول أحمد أمين^(٣).

إلى غير ذلك من آراء حول الشورى ورجالها ، من بدايتها إلى مأهلاها ، وقد يكون بعضها أصوب من بعض ، إلا أن من الباحثين المحدثين يرون في فعلة عبد الرحمن بن عوف خدعة لإقصاء الإمام عن الخلافة.

فقد ذهب الدكتور جمال سرور إلى أن طلب عبد الرحمن من الإمام علي أن يتعهد بأن يسير بسيرة الخليفتين . أبي بكر وعمر . وهو يعلم أن علياً لا

(١) سمو المعنى في سمو الذات / ٣٢ ط عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٨ هـ.

(٢) أنظر العقد الفريد ٤ / ٢٨١ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٣ هـ.

(٣) كتابه يوم الإسلام / ٥٧.

يرضى أن يتقيّد بسياستهما ، إنما أراد أن يحرجه ليفسح المجال لاختيار عثمان ، وسرعان ما تحقق غرضه^(١).

وذهب الدكتور أحمد صبحي إلى أن عبد الرحمن قد بنى اختياره على قاعدة غير معروفة في الشرع ، إذ قرن سيرة الشيختين . أبي بكر وعمر . بكتاب الله وسنة رسوله ، شرطاً على كل من علي وعثمان ، ولم يقل أحد من قبل ولا من بعد ، أن سيرة الشيختين تقترب بكتاب الله وسنة رسوله في المسائل السياسية ، وحين أراد الإمام علي أن ينبهه إلى ذلك . كتاب الله وسنة رسوله فقط ، وإن اجتهد كما اجتهد . نحاه عبد الرحمن ليختار عثمان ، حتى إذا اعترض الإمام علي قال عبد الرحمن : ﴿فَمَنْ نَكِثَ فَإِنَّمَا يَنْكِثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٢) فأضاف خطأ آخر باستشهاده بالآية الشريفة في غير موضوعها ، فضلاً عن أنها لا تقال مثل الإمام علي^(٣).

وأخيراً قال الدكتور محمد بيومي مهران : «وهكذا كان انتخاب عثمان مصطفياً بصبغة التحيّز للأمويين ، وقد وجدت هذه النتيجة من أول الأمر . معارضه من الهاشميين فضلاً عن أهل الورع والسبق في الإسلام مثل سلمان وعمّار وأبي ذر والمقداد وغيرهم من رواد شيعة الإمام»^(٤).

(١) بتوسط الإمامة وأهل البيت ١ / ٣٦٨.

(٢) الفتح / ١٠ .

(٣) بتوسط الإمامة وأهل البيت ١ / ٣٦٨.

(٤) نفس المصدر.



books.rafed.net

الفصل الرابع:

حبر الأمة في عهد عثمان



books.rafed.net

حبر الأمة في أيام عثمان :

لما كانت أيام عثمان تعدّ نقطة تحول في تاريخ المسلمين الذين عاشوا أيام عمر ولم ينسوا دررته التي يخفق بها الرؤوس ، ولا شدّته وصرامته التي حكمت الرأس والرؤوس. فهم بعد على ذكر ذلك النمط الذي ألفوه ، ولا أقل من أنهم تهضّموه فتألّفوه.

ولكنهم أضّحوا في أيام عثمان على خلاف ذلك النمط ، لاختلاف المزاجين بين الرجلين الحاكمين وتفاوت السيرتين في الحكمتين ، كما سيتضّح ذلك فيما يأتي من الفوارق بين النموذجين.

إذن لا بدّ لنا ونحن نطلع إلى معرفة حياة حبر الأمة عبد الله بن عباس في أيام عثمان ، ودوره الفاعل فيما له دورٌ فيه ، من معالجته تلك الأزمات التي حاقت بال المسلمين ، من مسيرة متأنية مع تاريخ تلك الأحداث عند عرضها دون تشنج أو تبرير. ودون برم أو سأم لو طال المشوار ، كما لا بدّ لنا أيضاً من قراءة فاحصة للنصوص التاريخية التي تلقي أصواتاً كاشفة على مواقف المسلمين . ومنهم ابن عباس . أزاء عثمان ومارساته أيام حكومته حين حاقت به فأردته في النهاية قتيلاً. وأورثت المسلمين حروباً طاحنة لم تخمد جنونها أحياناً لا حيناً من الدهر ، وأصبح المثل لكل بلاء مستطيل وشرّ مستطير فيقولوا : (قميص عثمان).

ولا نيأس في سلوك هذا الطريق الوعر الشاق من نتائج مرضية ، وإن كانت أفلام المؤرخين باللجلجة الخرساء كتمت الكثير مما لو قالوه لتبيّن لنا وجه الحق من دون عناء.

قال الطبرى : «وَمَا الواقدي فأنه ذكر في سبب مسیر المصريين إلى عثمان ونزلهم ذا خشب أموراً كثيرة ، منها ما تقدم ذكريه ، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة مني ل بشاعته»^(١).

وقال : «فَقَدْ ذَكَرْنَا كثِيرًا مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي ذَكَرَ قاتلوهُ أَنْهُمْ جَعَلُوهَا ذَرِيعَةً إِلَى قَتْلِهِ ، فَأَعْرَضْنَا عَنْ ذَكْرِ كَثِيرٍ مِنْهَا لِعَلْلِ دُعْتِ إِلَى الإِعْرَاضِ عَنْهَا»^(٢).

وقال : «إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ كَتَبَ إِلَى مَعاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفِيَانٍ مَا وُلِّيَ فَذَكَرَ مَكَاتِبَاتٍ جَرَتْ بَيْنَهُمَا كَرْهَتْ ذَكْرَهَا لِمَا فِيهِ مَا لَا يَحْتَمِلُ سَمَاعُهَا الْعَامَة»^(٣).

فإذا كان مثل الطبرى وهو شيخ المؤرخين يكتم الكثير فما ظنك بمن أتى بعده وأخذ ما عنده. إنما بلية التاريخ ومع صرامة الحق ، فصار التزوير وكثير التحويير ، وتناغم علماء التبرير ، فغاب الكثير من النصوص ، ومع ذلك فلا نيأس من معرفة تاريخ حبر الأمة عبد الله بن عباس في أيام عثمان وهي أيام طالت سنتي ٤٣٥ هـ .

ولكن قبل هذا وذاك يجب علينا أن لا نغفل الإشارة إلى وشائع الأرحام التي تجمع بين الرجلين . ابن عباس وعثمان . فإن معرفة تلك الوشائع قد تفسّر لنا بعض المواقف من الطرفين أجزاء كلّ منها الآخر.

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٥٦.

(٢) نفس المصدر ٤ / ٣٦٥.

(٣) نفس المصدر ٤ / ٥٥٧.

معرفة الوشائج :

لقد كان كلاً من ابن عباس وعثمان تجمعهما وسائر أقربائهما القرشية أولًا ، ثم المنافية ثانياً ، فالقرشية هي النسبة إلى النضر بن كانة وهو جدهم الأعلى ، أما المنافية فهي النسبة إلى جدهم الأدنى وهو عبد مناف فهو الجد الرابع لعبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بينما هو الجد الخامس لعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . فابن عباس هو الأقرب إلى المنافية من عثمان نسبياً ، لكنه الأبعد عنها عملاً كما سرني ، وما من شك أن النوازع القبلية التي كانت تتحكم في المجتمع العربي قبل الإسلام بقرب الأنساب وبعدها ، لم يقض عليها الإسلام تماماً . بالرغم من ذمة العصبية الجاهلية ، إلا أنه لم يمنع من حبّ المرء قومه ما لم يصادم حبه العقيدة ، فقد قال النبي ﷺ لمن سأله : أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ قال : (لا ، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم) ^(١) ، كما أنه ما من شك أن التنافس بين المتفاضلين مدعوة لإثارة كوامن الشحنة وتوريث العداوة بين الأخوين فضلاً عن الحين .

وهذا ما كان بين أبناء عبد مناف . منذ منافاة عبد المطلب وحرب . ثم تراكمت دواعي الأنفصام والخصام ، فكلما ازداد شرف الهاشميين ازداد حسد العشميين . أبناء عبد شمس . لهم ، حتى إذا جاء الإسلام كانوا الكثير منهم من ألد أعداء الإسلام عداوة منهم لنبيه محمد بن عبد الله الهاشمي الحتد . ولم يذعنوا إلا بعد أن رأوا لا مناص لهم من إظهار كلمة الإسلام ليحقنوا بها دماءهم .

وقد منّ النبي ﷺ عليهم كما منّ على بقية مسلمة الفتح وسمّاهم الطلقاء وجعل لهم سهماً من المؤلفة قلوبهم ، وزاد في تفضّله عليهم أن صاهر إليهم

(١) مصنف أبي شيبة ١٥ / ١٠١ ط باكستان.

وأصهر فيهم ، فعل الأكفاء وليسوا هناك ، على حد تعبير الإمام^(١). ومع ذلك الفضل والتفضيل لم تزل تطفو على السطح كوامن النفوس بين الحين والحين ما يميّز بين الحين.

وكان عثمان بن عفان تشدّه إلى بني هاشم قربى هي أدنى من المنافاة وأقوى عرى وهي خوولة كرية لأمه أروى بنت كريز فقد كانت أمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، وهي تؤمنة عبد الله والد النبي ﷺ (٢) وزاد أيضاً في توثيق عرى وشائجه مصاہرته للنبي ﷺ حيث تزوج بأبنته رقية وأم كلثوم عليها فصار له شأن يذكر في قريش وبين قومه بعد أن لم يكن لأبيه عفان من قبل ما يرفع بضبه حتى بين قومه الأمويين إذ كانت رئيساتهم إلى أبي سفيان بن حرب. وقد روى المدائني : أن عفان لم يكن له نباهة في قريش حتى قال الشاعر :

عفان أول حائرك لشيكابكم قدمًا وقد يدعى أخا الأشرار^(٣)
فكـلـ هذه الوشـائـج سـنجـدـها غـير مـؤـثـرة في سـلـوكـ عـثـمـانـ أـيـامـ حـكـومـتـهـ معـ
الـهـاشـمـيـنـ ،ـ وـلـمـ تـنـعـهـ مـنـ التـنـكـرـ لـهـ وـالـتـنـمـرـ عـلـيـهـمـ حـينـ يـكـونـ التـنـافـسـ وـالـعـالـيـ.
لـكـنـهـ كـانـ يـلـوـذـ بـهـمـ وـيـسـتـفـزـهـ بـالـنـافـيـةـ فـعـلـ قـوـمـهـ حـينـ لـاـ يـجـدـونـ مـنـاصـاـ جـلـبـ
مـصـلـحةـ أـوـ دـفـعـ مـفـسـدـةـ ،ـ فـهـمـ وـبـيـ هـاشـمـ عـلـىـ حـدـ قولـ القـائلـ :
فـإـذـاـ تـكـوـنـ كـرـيـهـةـ اـدـعـىـ لـهـ إـذـاـ يـحـاسـ الـحـيـسـ يـدـعـىـ جـنـدـ

(١) في كتاب له إلى معاوية وهو من محسن الكتب راجع شرح النهج لابن أبي الحديد / ٣٤٤ . فيما بعد.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ١ ق ٤ / ٤٨١ تـحـ أـحـسانـ عـبـاسـ ،ـ وـجـهـرـةـ أـنـسـابـ الـعـربـ لـابـنـ حـزمـ ١ / ١٥ طـ دـارـ المـعـارـفـ بمـصـرـ ،ـ وـمـعـرـفـةـ الصـحـابـةـ لـأـبـيـ نـعـيمـ ١ / ٢٣٥ .

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٤٨٠ وجاء في ص ٥١٨ منه نقلاً عن المدائني قال : قال المطرف . وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان . أنا أبو العاص فقال له محمد بن المنذر بن الزبير : دون ذلك ما يدق عنقك ، يعني عفان كان موظعاً .

وَلَا تَعْزِزُ الشَّوَاهِدَ عَلَى ذَلِكَ ، بِخَلَافِ الْمَاشِيْنِ الَّذِيْنَ لَمْ يَسْتَغْلُلُوْا الْمَنَافِيْةَ
لِصَلْحَتِهِمْ يَوْمًا لَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ فَفِي الْجَاهِلِيَّةِ مَثُلًا ذَكَرُوا أَنَّ
حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ مَرَّ بِنَفْرٍ مِنْ بَنِي مُخْزُومٍ فَلَاحَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَذَكَرَ
الْمُخْزُومِيَّ نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ فَضَرَبَهُ الْحَمْزَةُ فَقُتِلَ ، وَأَتَى أَبَا سَفِيَّانَ
فَأَخْبَرَهُ ، وَحَيْثُ أَنَّ الرِّوَاةَ لَمْ يَذْكُرُوا عَنِ النِّسَاءِ شَيْئًا ، إِلَّا أَنَّ ذَكَرَ الْبَلَادِيَّ^(١) هَذَا
الْخَبَرَ فِي أَخْبَارِ هَنْدَ بْنِ عَتْبَةَ زَوْجَةِ أَبِي سَفِيَّانَ وَإِتِيَّانَ الْحَمْزَةَ أَبَا سَفِيَّانَ بِالْخَبَرِ ،
يَنْتَهِي إِلَى أَنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِهَا وَأَسْرَاجَهَا.

فَهَذَا الْفَعْلُ مِنَ الْحَمْزَةِ كَانَ بِدَافِعِ الْغَيْرَةِ عَلَى الْمَنَافِيْةِ وَلَيْسَ اسْتَغْلَالَهَا.

وَفِي إِسْلَامٍ ذَكَرَ الْمُؤْرِخُونَ عَنْ مَوْقِفِ الْعَبَاسِ مَعَ عُمَرَ حِينَ أَتَى بِأَبِي
سَفِيَّانَ مَسْتَأْمِنًا لِهِ النَّبِيِّ ﷺ وَعُمَرُ يَرِيدُ قُتْلَهُ فَقَالَ لِهِ الْعَبَاسُ : «مَهَلًا يَا عُمَرَ فَوَاللهِ
مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدَيِّ بْنِ كَعْبٍ
مَا قَلَتْ هَذَا ...»^(٢).

فَهَذَا الْمَوْقِفُ مِثْلُ سَابِقِهِ كَانَ بِدَافِعِ الْغَيْرَةِ عَلَى الْمَنَافِيْةِ.

أَمَّا اسْتَغْلَالُ الْمَنَافِيْةِ مِنْ قَبْلِ الْأَمْوَالِيْنَ لِمَصَالِحِهِمْ خَصْوَصًا فِي إِسْلَامٍ
فَأَكْثَرُ الشَّوَاهِدَ عَلَى ذَلِكَ وَحْسِبَنَا الْآنَ مِنْهَا مَا يَأْتِي :

١ - روى المؤرخون ومنهم الطبرى واللفظ بسنده عن عوانة قال : «لما
أجتمع الناس على بيعة أبي بكر قبل أقبل أبو سفيان وهو يقول : والله إليني لأرى
عجبًا لا يطفئها إلا دم. يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أمركم؟ أين

(١) أنساب الأشرف ١ ق ٤ / ٧ تـح احسان عباس بيروت.

(٢) تاريخ الطبرى ٣ / ٥٣ ط دار المعارف بمصر.

المستضعفان؟ أين الأذلان؟ على والعباس... فجزره على وقال والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك طلما بغيت الإسلام شرًا. لا حاجة لنا في نصيحتك»^(١).

وفي حديث ثابت قال أبو سفيان: «ما لنا ولأبي فضيل إنما هي بنو عبد مناف، فقيل له انه قد ول إبنك قال: وصلته رحم»^(٢).

٢ - روى الطبرى وابن الأثير وغيرهما واللفظ للأول ان خالد بن سعيد. ابن العاصي . لما قدم من اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ تربص بيعته شهرين ... وقد لقى عليّ بن أبي طالب وعثمان بن عفان فقال : «يا بني عبد مناف لقد طبت نفساً عن أمركم يليه غيركم».

قال الراوى : «فاما أبو بكر فلم يفلها . يقصدها . عليه ، وأما عمر فاضطغناها عليه ...»^(٣).

٣ - روى الطبرى بسنته انه لما حصر عثمان كان عليّ بخيير فلما قدم أرسل إليه عثمان يدعوه فانطلق إليه فكلمه وذكر له ماله من حقوق عليه أن يرعاها منها حق الإسلام وحق الإخاء وحق القرابة وحق الصهر ثم قال له : «فلو لم يكن من هذا شيء ثم كنا إنما نحن في جاهلية لكان مبطئاً على بني عبد مناف أن يتزهم أخو بني تيم ملكهم . ويعني به طلحة»^(٤).

٤ - روى الطبرى في تاريخه والثقفى في تاريخه أن عائشة جاءت إلى عثمان فقالت : أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر قال : لا أجد له موضعًا في كتاب الله ولا في السنة ، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل.

(١) نفس المصدر ٣ / ٢٠٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر ٣ / ٣٨٧.

(٤) نفس المصدر ٤ / ٤٣٠.

قالت : فأعطنِي ميراثي من رسول الله ﷺ . قال : أو لم تجئِ فاطمة تطلب ميراثها من رسول الله ﷺ فشهَدَتْ أنتِ ومالك بن أوس النضري أنَّ النبي ﷺ لا يورث ، وأبطلت حقَّ فاطمة وجئتِ تطلبينه . لا أفعل .

وزاد الطبرى : وكان عثمان متکئاً فأسْتَوْى جالساً وقال : ستعلم فاطمة أيَّ ابن عم لها مني اليوم .

أَلْسَتِ وأَعْرَابِي يَتَوَضَّأُ بِبُولِه شَهَدَتْ عِنْدَ أَبِيكَ .

قالاً جمِيعاً . الطبرى والثقفى . في تاريخيهما : فكان إذا خرج عثمان إلى الصلاة أخرجت قميص رسول الله وتنادي أنه قد خالف صاحب هذا القميص .

وزاد الطبرى يقول : هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبلَ وقد غيرَ عثمان سنته ، اقتلوا نعشلا قتل الله نعشلا ^(١) .

٥ . وروى الطبرى حديث سعيد بن العاص مع طلحة والزبير بذات عرق وقد لقيهما مع جماعة الأمويين وغيرهم من لم يبايعوا الإمام فقال لهم : «إن

(١) بحار الأنوار ٨ / ٣٢٠ ط الكمبانى الحجرى . وجاء في الإيضاح للفضل بن شاذان / ٢٥٨ .
٢٦٢ تفاوت في هذا الخبر فقد روى شريك عن عبد الله إن عائشة وحفصة أتنا عثمان حين نقص أمهات المؤمنين ما كان يعطىهن عمر ، فسألته أن يعطيهما ما فرض عمر فقال : لا والله ما ذاك لكما عندي . فقالت له : فأنتا ميراثا من رسول الله من حطانه وكان عثمان متکئاً فجلس ، وكان عليّ بن أبي طالب عائلاً جالساً عنده . فقال : ستعلم فاطمة أي ابن عم لها اليوم ، ألسنتما اللتين شهدتما عند أبي بكر ولقتتما ومعكمما أعرابى يتظاهر بوله مالك بن الحويرث بن الحدثان فشهَدَتم أنَّ النبيَّ قال : إنا معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة ، فإن كنتما شهدتما بحق ، فقد أجزت شهادتكم على أنفسكم ، وإن كنتما شهدتما بباطل ، فعلى من شهد بالباطل لعنَ الله ولملائكة والناس أجمعين .

فقال له : يا نعشل والله لقد شبَهْت رسول الله ﷺ بنعشل اليهودي .

قال لهم : ضربَ الله مثلاً للذين كفروا امرأَتْ نوح وامرأَتْ لوطٍ فخرجتا من عنده .

ظفرت ما لمن تجعلان الأمر؟ أصدقاني ، قالا : لأحدنا أينما اختاره الناس. قال : بل أجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه ، قالا : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم قال : فلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف فرجع.

ورجع عبد الله بن خالد بن أسد. فقال المغيرة بن شعبة : الرأي ما رأى سعيد مَنْ كان هاهنا من ثقيف فليرجع ورجع»^(١).

هذه نماذج من استغلال نعمة المنافاة عند الأمويين لمصالحهم الذاتية. فهي عندهم الورقة الرابحة يظهرونها عند الحاجة في تحديد خصومهم تحقيقاً لآرائهم المشبوهة. فهم يستنجدون بالهاشميين ويستفزونهم لنصرتهم كما رأينا في حديث أبي سفيان وحديث خالد بن سعيد (الشاهد ١ و ٢).

وليس في حديث سعيد بن العاص (الشاهد ٥) دلالة على رعاية المنافاة للمنافاة ، بل إنّما هو لصلاح بقاء الأمر في بني عبد مناف عسى أن ينعم بها سعيد وقومه كما كانوا أيام عثمان يخضعون مال الله.

ولكن هلّم إلى النظر في حديثي عثمان (الشاهد ٣ و ٤) ففي الأول يستنجد بالإمام ويطلب منه نصرته لحقوق ذكره ثم حاول أستفزازه بنخوة الجahiliّة بان العيب على بني عبد مناف أن يتربّص بهم ملكهم أخو بني تميم. ويعني به طلحة لأنّه كان قد أستولى على بيوت المال ومعه الثوار ...

فهل يحق لسائل أن يسأل أين كان عثمان من الحمية المنافاة يوم تولى أبو بكر الأمر وهو أيضاً أخو بني تميم ، وهو أيضاً قد أبترّ ملكهم كما قال أبو سفيان ، فهلاّ كان مع علي يومئذ فيمن كان معه؟ فذلك أولى بالعيوب عليه وعلى

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٤٥٣ ط دار المعارف بصر.

بني عبد مناف وفي الشاهد الثاني أيضاً استوى جالساً وقال : ستعلم فاطمة أبى ابن عم لها مني اليوم.

ولسائل يسأل أبى نخوة ابن عم هذه بعد فوات الأوان هلاً كانت يوم جاءت فاطمة تطلب أبا بكر بفديك وغيرها من النحلة فأبى عليها فطالبته بالميراث فزعم لها ما ذكره عثمان لعائشة ؟ فهلا نصر فاطمة يومئذ ؟

لأفيتك بعد الموت تنديني وفي حياتي ما زودتنـي زادي ثم هلاً استفرزته الحميـة المنافية حين تولـي الحكم فأرجع فدكاً إلى ولد فاطمة بدلاً من أن يعطيها لمروان صـهره وابنـه ؟ إنـها المنافية الأمـوية المـزورـة تطفـو عند الحاجـة وتـغـيـبـ عنـدـ المـغـانـمـ حـسـبـ المنـظـورـ النـفـعيـ عندـ أـصـحـاجـهاـ .

أمـاـ منـظـورـ بـنـيـ هـاشـمـ يـأـبـيـ عـلـيـهـمـ التـعـامـلـ بـكـلـ تـزوـيرـ فـلـهـمـ مـنـ عـقـيدـتـهـ إـسـلامـيـةـ رـصـيدـ يـأـبـيـ عـلـيـهـمـ التـعـامـلـ بـالـخـوـءـ الـجـاهـلـيـةـ إـسـلامـهـمـ شـرـعـةـ وـمـنـهـاـجـاـ .ـ يـمـنـعـهـمـ مـنـ الـعـصـبـيـةـ الـجـاهـلـيـةـ ،ـ وـهـمـ أـشـدـ تـمـسـكـاـ بـتـعـالـيمـهـ وـقـيمـهـ .ـ

كمـاـ أـنـ طـبـاعـهـمـ تـأـبـيـ عـلـيـهـمـ دـنـيـاـ التـحـالـفـاتـ الـمـشـبـوـهـةـ خـصـوصـاـ مـعـ الـأـحـلـافـ وـمـنـهـمـ بـنـوـ أـمـيـةـ لـأـنـ بـنـيـ هـاشـمـ مـنـ الـمـطـيـيـنـ ،ـ وـقـدـ مـرـ بـنـاـ تـفـضـيلـ اـبـنـ عـبـاسـ إـمـارـةـ الـمـطـيـيـ وـهـوـ أـبـوـ بـكـرـ لـأـنـهـ مـنـ تـيمـ ،ـ وـتـيمـ مـنـ جـمـلـةـ القـبـائـلـ الـمـطـيـيـنـ .ـ عـلـىـ إـمـارـةـ الـأـحـلـافـ .ـ وـهـوـ عـمـرـ لـأـنـهـ مـنـ بـنـيـ عـدـيـ بـنـ كـعـبـ ،ـ وـهـؤـلـاءـ كـانـواـ مـنـ جـمـلـةـ قـبـائـلـ الـأـحـلـافـ .ـ

وـالـآنـ وـبـعـدـ هـذـهـ الـمـقـدـمـةـ تـبـيـنـ لـنـاـ مـنـ مـعـرـفـةـ الـوـشـائـجـ بـيـنـ بـنـيـ هـاشـمـ .ـ وـمـنـهـمـ اـبـنـ عـبـاسـ .ـ وـبـيـنـ بـنـيـ أـمـيـةـ .ـ وـمـنـهـمـ عـثـمـانـ .ـ أـنـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ تـوـقـعـ التـأـثـيرـ الـحـسـنـ عـلـىـ الـعـلـاقـاتـ فـيـ مـسـتـقـبـلـ الـأـيـامـ بـيـنـ اـبـنـ عـبـاسـ وـبـيـنـ عـثـمـانـ .ـ

بل المتوقع هو العكس من ذلك ، لأنّ أسباب التفاضل الموروثة كافية ، مضافاً إلى أثر التنافس الحادّ الذي أوقدت جذوته خدعة الشوري . كما يراها ابن عباس وسماها الإمام . كفيلة بإلغاء الدور الفاعل والمؤثر لتلك الوشائج ، فضلاً عما ستأتي به الأيام من مفاجئات .

فلنقرأ الآن النصوص التاريخية التي قلنا لا بدّ لنا من قراءتها لمعرفة دور ابن عباس في أيام عثمان ، وهذا نحن نقله كما رواه المؤرخون فهي على عهدهم . عن رواحهم . وهي على ذمتهم ، فيما كان فيها من إدانة أو تبرير ، وليس لأحد علينا فيها من سبيل مهما طالت رموز الصحابة ، فمنهم النقد وعليهم الإجابة . فمن البداية :

فيما لله وللشوري :

هكذا قال الإمام أبو الحسن عليه السلام ، وهو يتميز غيظاً ، ويتفجر غضباً في خطبه الشقشيقية التي قالها في الكوفة بعد سبعة عشر عاماً من حبكة الشوري ، ولم لا يتميز غيظاً ويتفجر غضباً؟ وهو الذي يرى أنه صاحب الحق ، وحق له أن يرى ذلك ، فقد أقامه النبي ﷺ في حياته مقامه في أكثر من موطن ، بدءاً من المبيت على فراشه ليلة الهجرة ومروراً بت比利غ براءة وحديث المنزلة الذي قاله في أكثر من موطن : (أما ترضى أن تكون معي بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) ، وبحكم عموم المنزلة فهو خليفة حقاً ، ولا نطيل الوقوف عند هذا الحديث فهو ثابت عند عموم المسلمين وأنه ﷺ قال لعليٍّ ذلك ، إنما أفترقوا في مدى صلاحية الدلالة وشمول المنزلة لربة الخلافة . ومن نظر إلى حديث الثقلين وحديث الغدير وحديث الكتف والدواء وسوها من أحاديث وجد فيها من

الدلالة عليه ماما لم يجد بعض ذلك عند غيره. وقد مرت بنا في بيعة أبي بكر الإشارة إلى ثبوت الولاية لصاحب الولاية سلام الله عليه.

والآن هلم إلى قوله عليه السلام في بيعة الشورى ، ولنقرأ ما قاله متمنياً غضباً :

(حتى إذا مضى . يعني عمر . إلى سبيله جعلها في جماعة زعم أتي أحدهم في الله وللشوري ، متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ، لكنني أسفت إذ أسفوا ، وطررت إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ، وما الآخرا لصهره مع هن وهن^(١)).

ولم تخف عليه أن الشورى كانت حبكة مدببة فسماها خدعة كما رأها ابن عمه عبد الله بن عباس كذلك.

خدعة الشورى :

لقد مرّ بما رواه البلاذري والطبراني وغيرهما من قول الإمام عند بيعة عثمان وبعد تحديد ابن عوف له بالقتل إن لم يبايع ، قال : (خدعة وأيّما خدعة).

وهذا القول من الإمام يشاركه فيه بقية بني هاشم وربما آخرون غيرهم. ومن بني هاشم الذي يعنيها معرفة رأيه في المقام هو عبد الله بن عباس ، فقد روى لنا عبد الرزاق في المصنف^(٢) ، والرمخشري حديث مبايعة عبد الرحمن بن عوف لعثمان ، قال الرمخشري : «وثبتت على عبد الله بن عباس ، فقال له عبد الله ابن

(١) يقول شارحو كلامه عليه السلام أراد بالذي صغى لضغنه سعد بن أبي وقاص لأن علياً قتل أخواله من بني أمية. وبالذي مال لصهره ، عبد الرحمن بن عوف لأنه زوج أم كلثوم بنت أبي معطية أخت عثمان لأمه.

وأيّما قوله : مع هن وهن : فهو كناية عن أمور لا يريد التصريح بها لأنه يكره ذكرها.

(٢) المصنف ٥ / ٤٧٨

عباس : حُدِّدْتَ يَا عَلَيَّ ؟ فَقَالَ : وَأَيْ خَدْعَةٌ !! فَسَمِعَتْهَا فاطِمَةُ بْنَتُ قَيْسٍ فَقَالَتْ : أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنَ طَلَبَ الْوِثْقَةَ لِنَفْسِهِ فَأَعْطَاهُ عُثْمَانَ الثَّقَةَ وَأَخْذَ عَبْدَ الرَّحْمَنَ لِنَفْسِهِ بِالْوَثْقَى . فَتَكَلَّمَتْ بِثَلَاثِ لِغَاتٍ فِي لُغَةٍ وَاحِدَةٍ ... اه»^(١).

والذِّي يُعْنِي مَا مِنْ حَدِيثِ الرَّمْخَشِرِيِّ هُوَ تَأْكِيدُ الرَّأْيِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ بِخَدْعَةِ الشَّوْرِيِّ ، فَابْنُ عَبَّاسٍ حِينَ يَخَاطِبُ الْإِمَامَ بِأَنَّكَ حُدِّدْتَ ، لَا يَرِيدُ دُخُولَهِ الشَّوْرِيِّ أَوْلَى مَرَّةً ، فَلَيِسْتُ ثَمَّةَ خَدْعَةً ، إِنَّمَا دُخُولُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ . كَمَا يَعْلَمُ ذَلِكَ أَيْضًا ابْنُ عَبَّاسٍ . أَنَّ شَوْرِيَّ عَمْرَ حَبَّكَةَ الْأَمْرِ لِعُثْمَانَ ، وَقَدْ قَالَ لِلْإِمَامِ مِنْذَ الْحُظْةِ الْأُولَى : ذَهَبَ الْأَمْرُ مِنْهَا فَالْجَلْ . يَعْنِي عَمْرٌ . يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرَ فِي عُثْمَانَ ، وَقَدْ مَرَّ ذَلِكَ فَرَاجِعٌ .

إِذْنَ لَيْسَتِ الْخَدْعَةُ الَّتِي عَنْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ سَوْيِّ مُحَاوِرَةً عَبْدَ الرَّحْمَنَ لِلْإِمَامِ وَلِعُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنْنَةِ نَبِيِّهِ وَسِيرَةِ الشَّيْخِيْنَ فَتَلَكَ الْمُنَاوِرَةُ هِيَ أَوْلَى مِنْ تَسْمِيَتِهَا بِالْمُحَاوِرَةِ . هِيَ الْخَدْعَةُ الَّتِي أَرَادَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ بِقَوْلِهِ ، وَلَا تَخْفَى لِهُجَّةِ الدِّفَاعِ الْحَادِّ فِي كِلَامِ الْمَرْأَةِ . فاطِمَةُ بْنَتُ قَيْسٍ . الَّتِي كَانَ إِجْتِمَاعُ أَصْحَابِ الشَّوْرِيِّ فِي بَيْتِهَا^(٢) ، وَقَدْ مَرَّ بِنَا كِلَامُ لِابْنِ عَبَّاسٍ فِي يَوْمِ الشَّوْرِيِّ بِدَأْهَ بِهَرَارَةٍ وَحَرَارَةٍ : « كَمْ تَمْنَعُونَ حَقْنَا ؟ وَرَبُّ الْبَيْتِ إِنَّ عَلَيَّاً هُوَ الْإِمَامُ وَالخَلِيفَةُ ... » ، فَلَعِلَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ بَعْدَ سَمَاعِهِ قَوْلُ فاطِمَةِ بْنَتِ قَيْسٍ .

وَمَهْمَا يَكُنْ فَقَدْ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعْلَمُ أَنَّ قَرِيشَيًّاً . وَمِنْهُمْ عُثْمَانَ . لَا تَحْبَبُ عَلَيَّاً وَلَا بَنِي هَاشِمٍ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْظَرُونَ إِلَيْ عَلَيَّ وَإِلَيْهِمْ نَظَرُ الشَّوْرِيِّ إِلَى جَازِرِهِ

(١) مختصر كتاب الموقفة بين أهل البيت والصحابية للحافظ إسماعيل بن علي بن الحسن ابن زنجويه الرزازى السماان المتوفى سنة ٤٤٥ هـ وأختصره جبار الله أبو القاسم محمود بن عمر الرمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ تحقيق السيد يوسف أحمد ، منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(٢) أسد الغابة ٥ / ٥٢٧ ط أفسط الإسلامية ، تهذيب الأسماء للنبووي ط المنيرية بمصر.

كما قال له عمر^(١). ولكنه سلم إلى الأمر الواقع تبعاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وكيف لا يسلم وهو يسمعه يقول لأهل الشورى : (ولقد علمتم أني أحق بها من غيري ، والله لأسلم ما سلمت أمر المسلمين ، ولم يكن فيها جور إلا على خاصة ، التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجه)^(٢).

ورحم الله الإمام كاشف الغطاء حيث يقول : «الشوري بجواهرها وحقيقة مئامرة واقعية ، وشوري صورية وهي مهارة بارعة لفرض عثمان على المسلمين رغمأ عليهم ، ولكن بتدبير بارع ، عاد على الإسلام والمسلمين بشر ما له دافع ...» ، فهو لم يعدو الحقيقة التي كشف عنها الإمام عليه السلام منذ اللحظة الأولى بقوله لمن معه من الماشيين : (ذهب الأمر منا ، فالرجل . يعني عمر . يريد أن يكون الأمر في عثمان).

بدايات غير متوقعة :

أ. قال الشعبي في كتاب الشوري ومقتل عثمان : «واجتمع أهل الشوري على أن تكون كلمتهم واحدة على من لم يباع ، فقاموا إلى عليٍّ فقالوا قم فبائع عثمان. قال : فان لم أفعل ؟ قالوا : جاهدناك. قال : فمشى إلى عثمان حتى باعه وهو يقول : صدق الله ورسوله»^(٣).

ب. قال الشعبي : «فخرج عثمان على الناس ووجهه متહل ، وخرج على وهو كاسف البال مظلوم وهو يقول : يا بن عوف ليس هذا بأول يوم تظاهرتم علينا من دفعنا عن حقنا والمستشار علينا ، وإنما لسنة علينا وطريقة تركتموها»^(٤).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٣ ط مصر الأولى.

(٢) نفس المصدر ٢ / ٦٠ ، و ١ / ١٢٠ شرح محمد عبد ط الأستقامة.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٤١٠ . ٤١١ ط مصر الأولى.

(٤) نفس المصدر.

ج . قال : «فَلَمّا بَايَعَ أَنَّا هَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفَ فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّ عُثْمَانَ أَعْطَانَا يَدَهُ وَيَمِنَهُ وَلَمْ تَفْعَلْ أَنْتَ ، فَأَحْبَبْتَ أَنْ تُؤْثِقَ لِلْمُسْلِمِينَ فَجَعَلَهَا لَهُ . فَقَالَ : إِيَّاهَا عَنْكَ إِنَّمَا آثَرْتَهُ بِمَا لَتَنَاهَا بَعْدَهُ . دَقَّ اللَّهُ بِيْنَكُمَا عَطْرَ مَنْشِمٍ»^(١).

جاء في جمهورة الأمثال لأبي هلال العسكري : «دَقُوا بِيَنْهُمْ عَطْرَ مَنْشِمٍ ...»^(٢) ، قال الأصمعي : «هِيَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تَبِيعُ الْعَطْرَ وَكَانُوا إِذَا قَصَدُوا الْحَرْبَ غَمَسُوا أَيْدِيهِمْ فِي طَيِّبَاهَا وَتَحَافَلُوا عَلَيْهِ». وقال ابن السكري : «العرب تکنی عن الحرب ثلاثة أشياء : عطر منشم ، ثوب محارب وبُرد فاخر» ، وقال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل : «اسْتَجَبَتْ دُعْوَةَ عَلَيِّ عَائِلَةِ عَثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَمَا ماتَا إِلَّا مَتَهَا جَرَّبَيْنَ مَتَعَادِيَنَ».

د . فقال المغيرة بن شعبة لعثمان : «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ بَوَيْعَ غَيْرِكَ لَمَا بَايَعْنَاهُ . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَوْ بَوَيْعَ غَيْرِهِ لِبَايْعِتَهُ ، وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ يَا بْنَ الدَّبَاغَةِ ، وَاللَّهِ لَوْ وَلَيْهَا غَيْرِهِ لَقَلْتَ لَهُ مَثْلَ مَا قَلْتَ إِلَيْهِ تَقْرِبًا إِلَيْهِ وَطَمْعًا فِي الدُّنْيَا فَأَذْهَبْ إِلَيْكَ».

فقال المغيرة : لولا مكان أمير المؤمنين لأسمعتك ما تكره . ومضيا»^(٣).

هـ . قال الشعبي : «فَلَمَّا دَخَلَ عُثْمَانَ رَحْلَهُ دَخَلَ إِلَيْهِ بْنُو أَمِيَّةَ حَتَّى أَمْتَلَأَتْ بَحْرَ الدَّارِ ثُمَّ أَغْلَقُوهَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ أَبُو سَفِيَانُ بْنُ حَرْبٍ : أَعْنَدُكُمْ أَحَدٌ مِّنْ غَيْرِكُمْ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : يَا بَنِي أَمِيَّةَ تَلْقَفُوهَا تَلْقَفُ الْكَرْبَةَ ، فَوَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ أَبُو سَفِيَانَ مَا مِنْ عَذَابٍ وَلَا حِسَابٍ ، وَلَا جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ وَلَا بَعْثَ وَلَا قِيَامَةَ».

(١) نفس المصدر.

(٢) جمهورة الأمثال ١ / ٤٤٥ تخر محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ط الأولى بمصر سنة ١٣٨٤ هـ.

(٣) نفس المصدر.

قال : فأنت هر عثمان و ساءه بما قال وأمر بإخراجه^(١).

و- قال الشعبي : «فدخل عبد الرحمن بن عوف على عثمان فقال له ما صنعت ؟! فوالله ما وفقت حيث تدخل رحلك قبل أن تصعد المنبر ، فتحمد الله وتنهى عليه وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتعد الناس خيراً»^(٢).

ز- قال : «خرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : هذا مقام لم نكن نقوم به ولم نعد له من الكلام الذي يقال به في مثله ، وسأهيء ذلك إن شاء الله ، ولن آلو أمة محمد خيراً والله المستعان ، ثم نزل»^(٣).

وفي حديث عند البلاذري في الأنساب رواه عن الواقدي قال : «ان عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس : ان أول مركب صعب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعيش تأتكم الخطبة على وجهها فما كان خطباء وسيعلمونا الله» (٤).

وفي حديث آخر له عن أبي مخنف قال : «ان عثمان لما صعد المنبر قال :
أيها الناس هذا مقام لم أزور له خطبة ، ولا أعددت له كلاماً وسنعود فنقول إن
شاء الله»^(٥).

وفي ثالث برواية المدائني أَنَّهُ قَالَ : «أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا لَمْ نَكُنْ خُطَّبَاءَ وَإِنْ نَعْشَ ثَانِكُمُ الْخُطْبَةَ عَلَى وَجْهِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٦) ، ثُمَّ قَالَ الْبَلَادِرِيُّ : «وَرَوَى

(١) نفس المصدر / ٤١٠ .٤١١

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٠

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر.

أن عثمان خطب فقال إن أبو بكر وعمر كانوا يعدان لهذا المقام مقالاً وسيأتي
الله به»^(١).

فكل هذه الروايات دلت على أن المسلمين قد خابت آمالهم في بيان خليفتهم الجديد ، فهو حين أشرأبت إليه الأعناق تتطلع إلى بيته الخليفي الذي سعيد فيه المسلمين خيراً ، لكنه أحصر وأرتج عليه ولم يزد على ما قاله من بعض كلمات.

ومهما تفنّن رواة التفخيم بعد ذلك في تزويق المقال فزادوا وبدلوا ، ولكن ذلك لم يغير من الواقع شيئاً فقد أرتج عليه باتفاق ، والناس بما فيهم بنو هاشم تضاءل تفاؤلهم بالحسنى التي كانوا يأملون سماعها في الخطاب الخليفي . فهم حديثو عهد بصرامة عمر وشدة عاليهم حتى على ذويه ، وهم بانتظار الجديد من خليفتهم ما يفي بطلعاتهم المستقبلية في ظل الحكومة الجديدة. ولكن ذلك الذي لم يحصل ، فعليهم إذن الانتظار لما تتمخض عنه الأيام. ونحن كذلك علينا قراءة ما حمله الرواة من أحداث المستجدات.

ح . فقد صعد عثمان المنبر وجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله ﷺ ولم يجلس أبو بكر ولا عمر فيه. جلس أبو بكر دونه بمقامة ، وجلس عمر دون أبي بكر بمقامة ، فتكلم الناس في ذلك فقال بعضهم : «اليوم ولد الشر»^(٢) ، ولما خطب الخطبة التي قال فيها : «إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار...» إلى آخر خطبته ، لم تسفر عن نتائج متوقعة ولربما ولدت اليأس في نفوس مستمعيه لأنها جاءت خلاف ما يأملون.

(١) نفس المصدر / ٥١١.

(٢) تاريخ العقوبي ٢ / ١٤٠ مط الغري.

ط . خرج عثمان من الليلة **الّتی** بويع له في يومها لصلاة العشاء الآخرة وبين يديه شمعة فلقىه المقداد بن عمرو فقال : «ما هذه البدعة»^(١).
ي . قال الدكتور حسن إبراهيم حسن : «وهذه الخطبة لا تبين لنا السياسة **الّتی** عوّل عثمان على انتهاجها في إدارة شؤون دولته ، وإنما هي عبارة عن نصائح تتعلق بالدين لا بالسياسة وكأن عثمان لا يريد أن يلزم نفسه بسياسة خاصة يطمئن إليها المسلمون وغيرهم من أهالي الدولة الإسلامية في عهده»^(٢).

عثمان أحب إلى قريش من عمر :

من هم أولئك ؟ ولماذا ؟
روى البلاذري في الأنساب ، وابن سعد في الطبقات عن الزهري قال : «وإنه لأحب إلى قريش من عمر ، لشدة عمر ولين عثمان لهم ، ورفقه بهم ، ثم تواني في أمرهم ، واستعمل أقاربه وأهل بيته في السنتين الأخيرتين وأهملهم ...»^(٣).
هذا قول الزهري وهو من لا يتهم في حديثه عند العثمانيين وعليهم ، لأنّه كان من الضالعين معهم ، وتولى لهم بعض المناصب ، فروايته مقبولة فيهم وعليهم.

ومقولته على إباحتها تستبطن معانٍ أكثر من كلماتها ، فقد بيّنت علة حب القرشيين لعثمان أكثر من حبهم لعمر ، لشدة عمر ولين عثمان ، وإن هي وأشارت على استحياء إلى النفعية **الّتی** كانت تلازم اللذين باسم الرفق بهم. ييد أحّا

(١) نفس المصدر ٢ / ١٤٠ .

(٢) تاريخ الإسلام ١ / ٢٧٦ ط الثالثة سنة ١٩٣٥ .

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٢ تـ احسان عباس ، طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٤٤ .

أصحرت بتوانى عثمان في أمرهم حين أستعمل أقاربه وأهل بيته ، ثم كشفت دخائل الرجال بتحديد السنين والحساب فقالت في السبت الأواخر حين أهلهما .

ومن الطبيعي أن تكون نتيجة الأهمال تجنيد القوى النفعية ضده ، ما دامت المفعمة مفقودة فالسيرة غير محمودة ، وهي مقوله من يتصاحبون على غير تقى . وهذا لا ريب فيه . لكن يبقى الأمر المعنى في مقوله الزهري ، فلم يكشف عنه هو تعين من هم أولئك من قريش الذين لأن لهم عثمان فأحبّوه ، ورفق بهم فأعزّوه ، وتوانى في أمرهم وأهلهما فناصبوه . وكانت النتيجة ثاروا عليه فقتلوا ؟

هذا هو السؤال الذي يجب أن لا يبقى بلا جواب ، فلنبحث عنه ولا بد من خلال عرض شامل لرموز قريش الذين تعاونوا مع عثمان حتى كسب الفوز بنتيجة الشورى ، فلان لهم وأغدق عليهم العطاء ، وحباهم بالإقطاع جزيل الحباء ، نجدهم لا يمثّلون جميع البطون القرشية بل نجد بعض البطون مستبعدة تماماً عن نيل تلك المغانم ، وإن أصحابهم رذاد المغارم .

مثل بني هاشم ، وهم سادات قريش لم ينل أحد منهم من لين عثمان ورفقه ، إلا ما هو مقرر له من عطائه ورزقه ، ويلحق بهم بنو المطلب بن عبد مناف . وهم إخوة بني هاشم في الجاهلية والإسلام .

وعثمان يعرف تلك الصلة جيّداً وربما كان يحدّها عليهم . على أكثر تقدير . أو يحسّدّها . على أقل تقدير . فقد روى أبو داود في سننه بسنده عن سعيد بن المسيب قال : «أخبرني جبير بن مطعم قال : لما كان يوم خيبر وضع رسول الله ﷺ سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب ، وترك بني نوفل وبني عبد شمس . قال : فانطلقت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا :

يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم ،
فما بال إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا ، وقربتنا واحدة ، فقال رسول
الله ﷺ : (إنا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا إسلام ، وإنما نحن وهم شيء
واحد) وشبك بين أصابعه^(١).

وفي لفظ آخر : «قال جبير : ولم يقسم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من
ذلك الخمس»^(٢).

وهذا الحديث يرفع شأن بني المطلب فيساوينهم ببني هاشم ، ويترفع بهم
عن غسالة الأيدي . الصدقات . فأشركهم في الخمس ، وهذا الرفع مدعاة
لتوريث الحسد في نفس المفضول . فإن متتسافل الدرجات يحسد من علا .

إذن فهذا بطنان من قريش لم يكن لهما في لين عثمان ورفقه من نصيب ،
إذ لم أقف على اسم واحد من رجال الحسين من كانت لعثمان عنده يد تذكر ، أو
له عليه دالة تشکر . اللهم إلا ما قد يتخيل ذلك مع العباس بن ربيعة بن الحارث
ابن عبد المطلب ، وسيأتي بيان ذلك في موقف عثمان مع بني هاشم فانتظر .
فقریش الذين أرادهم الزهري ليس فيهم من بني هاشم ولا من بني المطلب
أحد . فكان عليه أن يقول بعض قريش .

والآن فمن هم أولئك ؟ والجواب نقرأ عنه في قائمة أسماء المحظيين
بعطايا عثمان وهباته ، ومن خلال إنتمائهم القبلي . وهم كما يلي :
من بني تيم . رهط أبي بكر . طلحة وعائشة بنت أبي بكر .

(١) سنن أبي داود ٣ / ١٤٩ تـحـ محمد محيـ الدين عبد الحميد طـ دار الفـكر .

(٢) سنن أبي داود ٣ / ١٠٦ - ١٠٧ ، المخلـى لـابـن حـزم ٧ / ٣٢٧ - ٣٢٨ ، الـدرـ المـشـورـ لـالـسـيـوطـيـ . ١٨٦ / ٣

ومن بني عدي . رهط عمر . عبد الله وعيده الله وحفصة أبناء عمر ، وأبو الجهم بن حذيفة ممن تولى الصلاة على عثمان ودفنه^(١).

ومن بني أسد بن عبد العزى : الزبير بن العوام وابنه عبد الله ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن العوام المقتول مع عثمان يوم الدار^(٢) ، وعبد الله الأكابر بن وهب ابن زمعة المقتول أيضاً مع عثمان يوم الدار^(٣) ، وعدى بن نوفل والي عثمان على حضرموت^(٤) ، وحكيم بن حزام بن خويلد أحد المصليين على عثمان^(٥).

ومن بني زهرة : سعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأخوه عبد الله بن عوف قتل مع عثمان^(٦) ، وعبد الله بن الأرقم ولاه عثمان بيت المال ثم عزله^(٧) ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث^(٨) ، والمسور بن مخرمة ومن بني نوفل : جبير بن مطعم . وقد مر ذكره . وهو الذي صلى على عثمان^(٩).

ومن بني مخزوم : عبد الله بن عياش.

ومن بني سهم : عمرو بن العاص.

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم / ١٥٦ .

(٢) نفس المصدر / ١٢٥ .

(٣) نفس المصدر / ١١٩ ، وهذا هو الذي ضرب بابن مسعود الأرض (أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٢٥) تح احسان عباس).

(٤) نفس المصدر / ١٢٠ .

(٥) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٩٣ .

(٦) جمهرة أنساب العرب لابن حزم / ٥٧١ .

(٧) نفس المصدر / ١٢٩ ، وسيأتي حديث عزله وهو في أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤٧ تحقيق إحسان عباس.

(٨) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤٤ .

(٩) نفس المصدر ١ ق ٤ / ٥٩٣ .

ومن بني عبد العزى بن عبد شمس : عليّ بن عدي بن ربيعة والي عثمان على مكة^(١).

ومن بني ربيعة بن عبد شمس : محمد بن أبي حذيفة فقد رباه عثمان^(٢) ، أضف إليهم بني أمية رهط عثمان وأهل بيته.

فكل هؤلاء هم من قريش التي أحبت عثمان حتى قال القائل :

أحـبـكـ وـالـرـحـمـنـ حـبـ قـرـيـشـ عـثـمـانـ إـذـا دـعـاـ بـالـمـيزـانـ^(٣)

ولم يكتم القائل سبب الحب القاتل ، فقد جعله مشروطاً بشرطه وهو عدم عند عدمه ، فما دام الميزان يزن الأصفر الرنان فقريش تحب عثمان. ولكن سوف نعرف سرعان ما ضاع الوزن والوزان. فانقلب السحر على الساحر ولم يجد منهم عازر ، ولا قوة ولا ناصر.

وستأتي قائمة بأسماء المحظيين الصفوة وما نالمهم من حظوة وجبوة ، وبعد ذا انقلبت الموازين إلى الجفوة. وقبل ذلك ينبغي التنبيه إلى أن عثمان لما حمى الحمى وثارت عليه زوبعة الناقدين له. وجاءه الناس وكان لسانهم سعد بن أبي وقاص فعددوا ما ينقمون عليه إلى أن قالوا : ننقم عليك إنك حمي الحمى. قال : جاءتنى قريش فقالت : إنه ليس من العرب قوم إلا لهم حمى يرعنون فيه غيرنا. فقلت : ذلك لهم ...^(٤).

(١) جمهرة أنساب العرب / ٧٨ .

(٢) نفس المصدر / ٧٧ ، وأنساب البلاذري ١ ق ٤ / ٥٣٩ .

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٤٩٥ تـحـ إـحسـانـ عـبـاسـ ، المعـارـفـ لـابـنـ قـتـيبةـ / ١٩٢ تـحـ ثـرـوـتـ عـكـاشـ ، العـقـدـ الـفـرـيدـ ٤ / ٢٨٥ تـحـ أـحـمـدـ أـمـينـ وـرـفـيقـهـ .

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ١٥ / ٢٢١ ط باكستان.

فمن هذا النص تبين أن ثمة قريش طلبت من عثمان أن يحمي لهم حمى لأنعامهم ، فحمله وباء بآثامهم ، وهؤلاء ليسوا كآل من ذكرناه آنفاً لخروج سعد وقومه ببني زهرة من قريش الحمى . لا أقل . ولدى الفحص في هويات المنتفعين بالحمى نراهم بني أمية ومن والاهم.

وهؤلاء هم قريش الذين عندهم عثمان في قوله للإمام علي ما ذنبي إليك إذا لم تحبّك قريش وقد قتلت منهم سبعين كأن وجوههم سيف الذهب ، كما سيأتي في موقف عثمان من بني هاشم.

ثم هؤلاء هم قريش الذين حذر عمر عثمان منهم حين قال له : «فإن وليت هذا الأمر فاتق الله ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس»^(١).

السخط والساخطون أسباب ونتائج :

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشفوية : (إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه ، بين نليله ومعتلّفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتلّه ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته).

وقال من خطبة له عليه السلام في معنى قتل عثمان : (وأنا جامع لكم أمره : أستأثر فأساء الإثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، والله حكم واقع في المستأثر والجائز)^(٢).

وفي قوله عليه السلام كان جماع أمر السخط أسبابه ونتائجها . أمّا تفصيل ذلك فهو على النحو التالي في محاور ثلاثة :

- الأول : (أسباب السخط).
- الثاني : (معرفة الساخطين).
- الثالث : (نتائج السخط).

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٠١.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ١٥٧ ط مصر الأولى.

فإلى معرفة الأسباب وإثْكَالِ كثيرة أُنْهَا الْحَبْطُ الطبرى في الرياض

النَّضْرَة^(١) إلى تسعه عشر يمكن إرجاع أمرها إلى أربعة :

- ١ . ما يتعلّق بمخالفة الشريعة في الأحكام.
- ٢ . ما يتعلّق بمخالفة الشريعة في الأموال.
- ٣ . ما يتعلّق بمخالفة الشريعة في الولايات.
- ٤ . ما يتعلّق بمخالفة السيرة العُمرية.

فإلى معرفة الأسباب :

مخالفاته للشريعة في الأحكام :

١ . فـمـنـ الـمـخـالـفـاتـ فـيـ الـأـحـكـامـ تعـطـيلـهـ الـحـدـ فـيـ عـبـيـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـ قـاتـلـ

الهرمزان وابنة أبي لؤلؤة وجفينة :

قال ابن سعد في الطبقات : بعد ذكره قتل عبيد الله بن عمر للهرمزان وابنة أبي لؤلؤة : «وأراد عبيد الله ألا يترك سبياً بالمدينة يومئذ إلا قتله ، فاجتمع المهاجرون الأولون فأعظموا ما صنع عبيد الله من قتل هؤلاء ، واشتدوا عليه وزجروه عن النبي فقال : والله لأقتلنهم وغيرهم يعرض بعض المهاجرين^(٢) فلم يزل عمرو بن العاص يرفق به حتى دفع إليه سيفه ، فأتااه سعد فأخذ كل واحد منهمما برأس صاحبه يتناصيـانـ .ـ أـيـ يـأـخـذـ كـلـ وـاحـدـ بـنـاصـيـةـ الآـخـرـ .ـ حـتـىـ حـجـزـ بـيـنـهـمـ النـاسـ ،ـ فـأـقـبـلـ عـشـمـانـ وـذـلـكـ فـيـ الـثـلـاثـةـ الـأـيـامـ الشـورـىـ قـبـلـ أنـ

(١) الرياض النَّضْرَة ٢ / ١٣٧ .

(٢) وتعريضه هذا يوجهه أصابع الإثبات إلى اشتراك بعض المهاجرين في التآمر على قتل أبيه .

يتابع له حتى أخذ برأس عبيد الله بن عمر وأخذ عبيد الله برأسه ، ثم حُجز بينهما ...»^(١).

وقال أيضاً عن أبي وحرة عن أبيه قال : «رأيت عبيد الله بن عمر يومئذ وإنه ليناصي عثمان وان عثمان ليقول : قاتلك الله قلت رجلاً يصلي وصبيته صغيرة وآخر من ذمة رسول الله (صلعم) ما في الحق تركك.

قال : فعجبت لعثمان حين ولّى كيف تركه ، ولكن عرفت أن عمرو بن العاص كان دخل في ذلك فل蜚ته عن رأيه»^(٢).

وقال أيضاً عن محمود بن لبيد قال : «ما كان عبيد الله يومئذ إلا كهيئة السبع الحرب يعترض العجم بالسيف حتى حبس في السجن ، فكنت أحسب أن عثمان إن ولّى سيفته ، لما كنت أراه صنع به كان هو وسعد أشدّ أصحاب رسول الله (صلعم) عليه»^(٣).

وقال أيضاً عن عبد المطلب بن عبد الله بن حنطسب قال : «قال عليّ لعبيد الله ابن عمر ما كان ذنب بنت أبي لؤلؤة حتى قتلتها ، قال : فكان رأي عليّ حين أستشاره عثمان ورأي الأكابر من أصحاب رسول الله على قتلها ، لكن عمرو بن العاص كلام عثمان حتى تركه. فكان عليّ يقول : لو قدرت على عبيد الله بن عمر ولّى سلطان لأنقصصت الله»^(٤).

(١) طبقات ابن سعد ٥ / ٨ ، وقارن المصنف لعبد الرزاق ٥ / ٤٧٩ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ٧١ ط القدسي.

(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٩.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وفي حديث له عن الزهري قال : «لما أستخلف عثمان دعا المهاجرين والأنصار فقال أشروا علىّ في قتل هذا الذي فتق في الدين ما فتق ؟ فأجمع رأي المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة يشجّعون عثمان على قتله»^(١).

وروى عبد الرزاق في المصنف في حديث له : «قال الزهري وأخرين حمزة بن عبد الله بن عمر قال : يرحم الله حفصة إن كانت لمن شجع عبيد الله على قتل الهرمزان وجفينة»^(٢).

وأخرج البيهقي في سنته حديثاً عن عبيد الله بن عمير جاء فيه : «فقيل لعمر إنّ عبيد الله قتل الهرمزان قال : ولم قتله ؟ قال آنه قتل أبي ... قال عمر ما أدرى ما هذا ؟ انظروا إذا أنا متّ فأسألوا عبيد الله البينية على الهرمزان هو قتلني ؟ فإن أقام البينية فدمه بدمي ، وإن لم يقم البينية فأقيدوا عبيد الله من الهرمزان. فلتها ولی عثمان قيل له : ألا تمضي وصية عمر في عبيد الله ؟ ...»^(٣).

وذكر العقاوبي : آنه أكثر الناس في دم الهرمزان وإمساك عثمان عبيد الله بن عمر ، فصعد المنبر فخطب الناس ثمّ قال : ألا إینی ولی دم الهرمزان وقد وہبته لله ولعمر وتركته لدم عمر.

فقام المقداد بن عمرو فقال : إن الهرمزان مولى الله ولرسوله ، وليس لك أن تحب ما كان لله ولرسوله قال : فلننظر ونتظرون. ثم أخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة إلى الكوفة وأنزله داراً فنسب الموضع إليه (كيفة بن عمر) وروى غير واحد أبيات زياد بن لبيد البياضي وهو من الأنصار :

(١) نفس المصدر.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٥ / ٤٨٠ .

(٣) السنن الكبرى ٨ / ٦١ .

فَلَا تُشْكِكْ بِقَتْلِ الْهَرْمَزَانَ
وَأَسْبَابُ الْحَطَّافَ فَرْسَارِهَانَ
فَمَا لَكَ بِالَّذِي تَحْكِي يَدَانَ^(١)
إِنْ غَرَّتِ الْجَرْمُ عَنْهُ
وَإِذْ عَفَوْتَ بِغَيْرِ حَقٍّ
أَعْفَهُ
إِلَى آخِرِ مَا هَنَالَكَ مِنْ مَلَابِسَاتِ الْقَضِيَّةِ، وَكُلَّ مَا حِيكَ لَهَا مِنْ أَعْذَارٍ بَعْدِ
ذَلِكَ لَمْ تُرْفَعْ عَنْ عُثْمَانَ إِصْرَارٌ إِهْدَارِ الدَّمِ كَمَا لَمْ تُمْكِنْ إِصْرَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَخْذِ
الْقَصَاصِ مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ نَحْوِ مَا رَوَى الْبَلَادِرِيُّ فِي الْأَنْسَابِ : «عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ
غِيَاثِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ عُثْمَانَ صَدَّ الْمَنْبِرَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا لَمْ نَكُنْ خُطَّباءَ وَانْ
نَعْشَ تَأْنِكُمُ الْخُطْبَةَ عَلَى وَجْهِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ أَنْ عَبِيدَ اللَّهِ
ابْنَ عَمْرَ أَصَابَ الْهَرْمَزَانَ ، وَكَانَ الْهَرْمَزَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا وَارَثَ لَهُ إِلَّا
الْمُسْلِمُونَ عَامَّةً ، وَأَنَا أَمَامُكُمْ وَقَدْ عَفَوْتُ أَفْتَعْفُونَ؟ قَالُوا : نَعَمْ فَقَالَ عَلَيَّ : أَقْدَ
الْفَاسِقَ إِنَّهُ أَتَى عَظِيمًا ، قَتَلَ مُسْلِمًا بِلَا ذَنْبٍ . وَقَالَ عَبِيدُ اللَّهِ يَا فَاسِقَ لَئِنْ ظَفَرْتَ
بِكَ يَوْمًا لَأَقْتُلَنَكَ بِالْهَرْمَزَانِ»^(٢).

٢ . مخالفة عثمان للحكم الشرعي في تعطيله الحد على الوليد :

وأعطف على موقف عثمان في تعطيله الحد على عبيد الله بن عمر تعطيله الحد على أخيه الوليد بن عتبة عامله على الكوفة لما شرب الخمر بالكوفة وقاءها في المحراب ، فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر : أبو زينب وجندب بن زهير وأبو حبيبة الغفاري والصعب بن جثامة . فأخبروه خبره . فقال عبد الرحمن بن عوف : ماله أجنّ ؟ قالوا : لا ولكنّه سكر . فأوعدهم عثمان وتمددهم وقال

١٤١ / ٢) تاریخ الیعقوبی .

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٠ تحو احسان عباس.

لجدب : أنت رأيت أخي يشرب الخمر ؟ قال : معاذ الله ، ولكنني أشهد أبّي رأيته سكران يقلسها من جوفه ، وأبّي أخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل.

قال أبو إسحاق الهمداني : فأتى الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان ، وأنّ عثمان زَرَّهم فنادت عائشة : إن عثمان أبطل الحدود وتوعد الشهود^(١) ، ويقال : أن عائشة أغلوظت لعثمان وأغلظ لها وقال : وما أنتِ وهذا ، إنما أمرتِ أن تقرسي في بيتك ، فقال قوم مثل قوله ، وقال آخرون : ومن أولى بذلك منها ، فاضطربوا بالتعال ، وكان ذلك أول قتال بين المسلمين بعد النبي صَلَّى الله عليه (وآلُه) وَسَلَّمَ^(٢) ، وأستنكر المسلمون ذلك على عثمان. فقد أتاه عليٌّ بعد ما أتاه الشهود وشكوا إليه ضرب عثمان لبعضهم. فقال له : عطلت الحدود وضررت قوماً شهدوا على أخيك فقلبت الحكم ، وقد قال عمر : لا تحملبني أمية وآل أبي معيط خاصة على رقاب الناس. قال : فما ترى ؟ قال : أرى أن تعزله ولا توليه شيئاً من أمور المسلمين وأن تسأل عن الشهود ، فإن لم يكونوا أهل ظنة ولا عداوة أقمت على صاحبك الحد^(٣) ... إلى آخر ما هنالك.

٣ . ومن أسباب السخط على عثمان في مخالفته فيما يتعلق بأمور الشريعة أيضاً إمامه الصلاة بمنى :

قال الطبرى في تاريخه آخر حوادث سنة ٢٩ : وحج بالناس في هذه السنة عثمان ، فضرب بمنى فسطاطاً ، فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى ، وأتم الصلاة بها وبعرفة.

(١) نفس المصدر ١ ق ٤ / ٥٢١.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٢٢ ، وقارن بالأغاني ٥ / ١١٩.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٢٢.

فذكر الواقدي عن عمر بن صالح بن نافع عن صالح مولى التوeme قال سمعت ابن عباس يقول : إن أول ما تكلم الناس في عثمان ظاهراً أنه صلى بالناس بمن في ولاته ركعتين ، حتى إذا كانت السنة السادسة أتمها ، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه (والله) وسلم ، وتكلّم في ذلك من يريد أن يكتّر عليه ، حتى جاءه علىٰ فيمن جاءه ، فقال : والله ما حدث أمر ولا قدم عهد ، ولقد عهدت نبيك صلى الله عليه (والله) وسلم يصلّي ركعتين ، ثمّ أبا بكر ثمّ عمر ، وأنت صدراً من ولاتك ، فما أدرني ما ترجع إليه ؟ فقال :رأي رأيته.

قال الواقدي : وحدثني داود بن خالد عن عبد الملك بن عمرو بن أبي سفيان التفقي عن عمّه قال : صلى عثمان بالناس بمن أربعًا . فأتى آت عبد الرحمن بن عوف فقال : هل لك في أخيك ؟ قد صلى بالناس أربعًا ، فصلّى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين ، ثمّ خرج حتى دخل على عثمان فقال له : ألم تصلّى في هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه (والله) وسلم ركعتين ؟ قال : بلـى . قال : أفلم تصل مع أبي بكر ركعتين ؟ قال : بلـى ، قال : أفلم تصل مع عمر ركعتين ؟ قال : بلـى قال : ألم تصل صدراً من خلافتك ركعتين ؟ قال : بلـى ، قال فاسمع مني أبا محمـد إبـي أخـبرـتـ أنـ بـعـضـ مـنـ حـجـ مـنـ أـهـلـ الـيـمـنـ وـجـفـةـ النـاسـ . قـدـ قـالـواـ فيـ عـامـنـاـ الـماـضـيـ :ـ انـ الصـلاـةـ لـلـمـقـيـمـ رـكـعـتـانـ ،ـ هـذـاـ إـمـامـكـمـ عـثـمـانـ يـصـلـيـ رـكـعـتـينـ ،ـ وـقـدـ أـتـخـذـتـ بـمـكـةـ أـهـلـاـ ،ـ فـرـأـيـتـ أـنـ أـصـلـيـ أـرـبـعـاـ لـخـوـفـ مـاـ أـخـافـ عـلـىـ النـاسـ ،ـ وـأـخـرىـ قـدـ أـتـخـذـتـ بـهـاـ زـوـجـةـ ،ـ وـلـيـ بـالـطـائـفـ مـالـ .ـ فـرـبـماـ أـطـلـعـتـهـ فـأـقـمـتـ فـيـهـ بـعـدـ الصـدـرـ .ـ

قال عبد الرحمن بن عوف : ما من هذا شيء لك فيه غُنْزِر . أَمَا قولك : أَتَخَذَتْ أَهْلَأً ، فَرَوَجْتَكَ بِالْمَدِينَةِ تَخْرُجُ بِهَا إِذَا شَئْتَ وَتَقْدِمُ بِهَا إِذَا شَئْتَ ، إِنَّمَا تَسْكُنُ بِسَكَنَكَ .

وأَمَّا قُولُكَ : وَلِي مَالٌ بِالْطَّائِفِ ، فَإِنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْطَّائِفِ مسِيرَةُ ثَلَاثَ لِيَالٍ ، وَأَنْتَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْطَّائِفِ . وَأَمَّا قُولُكَ رَجَعَ مِنْ حَجَّ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ وَغَيْرِهِمْ فَيَقُولُونَ : هَذَا إِمَامُكُمْ عُثْمَانٌ يَصْلِي رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ مُقِيمٌ ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا سَلَامٌ فِيهِمْ قَلِيلٌ ، ثُمَّ أَبْوَبَكُرُ مُشَلٌّ ذَلِكَ ثُمَّ عُمْرٌ ، فَضَرَبَ الْإِسْلَامَ بِجَرَانِهِ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَمْرٌ حَتَّى مَاتَ رَكْعَتَيْنِ ، فَقَالَ عُثْمَانٌ : هَذَا رَأِيُّ رَأَيْتِهِ . قَالَ : فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَلَقِيَ ابْنَ مُسَعُودَ فَقَالَ : أَبَا حَمْدٍ غَيْرُ مَا يُعْلَمُ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَمَا أَصْنَعْ ؟ قَالَ : إِعْمَلْ أَنْتَ بِمَا تَعْمَلُ فَقَالَ ابْنُ مُسَعُودٍ : الْخَلَافُ شَرٌّ ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعاً فَصَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي أَرْبَعاً .

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعاً ، فَصَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي رَكْعَتَيْنِ ، وَأَمَّا الْآنَ فَسُوفَ يَكُونُ الَّذِي تَقُولُ . يَعْنِي نَصَّلِي مَعَهُ أَرْبَعاً^(١) .

ذَكَرَ الْبَلَادِرِيُّ فِي حَدِيثِ لَهُ عَنْ ابْنِ عُمْرٍ قَالَ : «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنِ رَكْعَتَيْنِ وَمَعَ أَبِيهِ بَكْرٍ وَعُمْرٍ وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ خَلْفَتِهِ ، ثُمَّ أَتَهَا أَرْبَعاً فَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ فَأَكْثَرُهُمْ وَسَئَلَ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ ذَلِكَ فَلَمْ يَرْجِعْ»^(٢) .

وَآخِرًا سَأَلَ حَمِيدُ الضَّمْرِيِّ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : إِنِّي أَسَافِرُ فَأَقْصِرُ الصَّلَاةَ فِي السَّفَرِ أَمْ أَتَهَا ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَسْتَ تَقْصِرُهَا وَلَكِنْ تَتَمَّهَا وَسَنَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آمِنًا لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهُ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَتِينَ حَتَّى رَجَعَ . ثُمَّ خَرَجَ أَبُوبَكْرَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهُ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَتِينَ حَتَّى رَجَعَ ، ثُمَّ خَرَجَ عَمَرٌ آمِنًا لَا يَخَافُ إِلَّا

(١) قارن تواریخ ابن الأثیر ٣ / ٤٢ ط بولاق ، وابن کثیر ٧ / ١٥٤ ط السعادة ، وابن خلدون ٢ / ٣٨٦ ط مصر الأولى .

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٢٧ تحد إحسان عباس .

الله فصلَى اثنين حتى رجع ، ثمَّ فعل ذلك عثمان ثلثي إمارته أو شطرها ثمَّ صلاها أربعاً ، ثمَّ أخذ بها بنو أمية^(١).

وقول ابن عباس : «لست تقصرها ولكن تتمها» استفسار منه لتسمية السائل الصلاة في السفر بالقصر ، بينما التمام الآن الفرضية في السفر أن يصلِّي ركعتين ركعتين فهي التمام.

٤ . ومن مخالفته للشريعة استحداثه الأذان الثالث بعد الأذان والإقامة :

أخرج البخاري في صحيحه باب الأذان في يوم الجمعة عن السائب بن يزيد أنَّ الَّذِي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة عثمان بن عفان ... وأيضاً في باب التأذين عند الخطبة بسنته عن السائب بن يزيد قال : «أنَّ الأذان يوم الجمعة كان أوله حين يجلس الإمام يوم الجمعة على المنبر في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما كان في خلافة عثمان رضي الله عنهما وكثروا ، أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث ، فأذن به على الزوراء ، فثبتت الأمر على ذلك»^(٢) ، وهذا أخرجه أصحاب السنن الترمذى وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي وغيرهم.

٥ . ومن مخالفته للشريعة أخذ الزكاة من الخيال ولم يوجبهها رسول الله ﷺ

ولا من بعده لكن عثمان أوجبها على الناس فنقموا بذلك عليه :

روى البلاذري بسنته عن الزهري ان عثمان كان يأخذ من الخيال الزكاة ، فأنكر ذلك من فعله الصحابة ومنهم ابن عباس فقد روى عن رسول الله ﷺ قال : «غفوت لكم عن صدقة الخيال والرقيق وليس فيما دون المائتين زكوة»^(٣).

(١) كنز العمال ٤ / ٢٤٠ ط الأولى و ٨ / ١٥٤ ط الثانية بحیدر آباد.

(٢) صحيح البخاري ٢ / ٨ و ٩ ط بولاق كتاب الجمعة.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٣ تـ إحسان عباس ، وجمع الزوائد ٣ / ٦٩ نقلاً عن الطبراني في الصغير والأوسط.

٦ . ومن مخالفته للشريعة في مسائل الصلاة تقدیمه الخطبة على الصلاة في

العیدین :

وهو أول من فعل ذلك وقد عدّه السیوطی والسکتواری من أولیاته في كتابیهما في الأوائل. وجاء في نیل الأوطار للشوکانی عن أبي غسان قال : «أول من خطب الناس في المصلی على منبر عثمان بن عفان ، ويبدو ممّا ذكره ابن حجر في فتح الباری انه كان أولاً يصلی ثم يخطب ، ثم غير ذلك بعد فعیب عليه»^(١).

قال ابن حجر في فتح الباری : «روى ابن المنذر عن عثمان بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال : أول من خطب قبل الصلاة عثمان صلی بالناس ثم خطبهم ، فرأى أناساً لم يدركوا الصلاة ففعل ذلك ، أي صار يخطب قبل الناس وهذه العلة غير التي أتعلّ بها مروان ، لأن عثمان رأى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة ، وأئمّا مروان فراعي مصلحتهم في اسماعهم الخطبة ، لكن قيل : إنّهم كانوا في زمن مروان يتعمدون ترك سماع خطبته لما فيها من سبّ ما لا يستحق السبّ ، والافراط في مدح بعض الناس. فعلى هذا إنّما راعى مصلحة نفسه ، ويجتمل أن يكون عثمان فعل ذلك أحياناً بخلاف مروان فواظبه عليه ... اه»^(٢).

ولا يخفى تصویر التعذیر من علماء التبریر ، وحسيناً في إنكار ذلك بقول ابن عباس : وقد أخرجه البخاري باب الخطبة بعد العید عن ابن عباس قال : «شهدت العید مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنه فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة»^(٣).

(١) نیل الأوطار / ٣ / ٣٧٦.

(٢) فتح الباری / ٢ / ٣٦١.

(٣) صحيح البخاري / ٢ / ١٨.

وفي كتاب الزكاة باب العرض في الزكاة عن ابن عباس قال : «أشهد على رسول الله ﷺ يصلّي قبل الخطبة»^(١).

٧ . ومن مخالفته للشريعة في مسائل الحج نهيه عن متعة الحج :

أخرج أحمد في مسنده بإسناده عن عبد الله بن الزبير قال : «والله إنا لمع عثمان بن عفان بالجحفة ، ومعه رهط من أهل الشام فيهم حبيب بن سلمة الفهري إذ قال عثمان وذكر له التمتع بالعمرة إلى الحج ، إن أتم للحج والعمرة أن لا يكونا في أشهر الحج ، فلو أحرتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيت زورتين كان أفضل فإن الله تعالى قد وسّع في الخير. وعليّ بن أبي طالب في بطん الوادي يعلف بعياراً له ، قال : بلغه الذي قال عثمان ، فأقبل حتى وقف على عثمان فقال : أعمدت إلى سنة سنّها رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ، ورخصة رخص الله تعالى بها للعباد وفي كتابه تضييق عليهم فيها وتنهي عنها. وقد كانت لذى الحاجة ولنائي الدار ؟ ثم أهل بحجة وعمره معاً»^(٢).

وأخرج أحمد أيضاً الحديث بأختصر مما مرّ عن مروان بن الحكم وفيه : «كنا نسير مع عثمان فإذا رجل يلقي بهما جميحاً فقال عثمان من هذا ؟ فقالوا علىّ. فقال : ألم تعلم أني قد ذكرت عن هذا ؟ قال : بلى ، ولكن لم أكن لأدع قول رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم لقولك»^(٣).

وفي حديث ثالث لأحمد عن عبد الله بن شقيق : «كان عثمان ينهى عن المتعة وعليّ يأمر بها فقال عثمان لعليّ : أنّك كذا وكذا (؟)»^(٤).

(١) نفس المصدر ٢ / ١١٦.

(٢) مسنّد أحمد ٢ / ٩٠٧ ح ٧٠٧ تحوّل إلى أحمد محمد شاكر.

(٣) نفس المصدر ٢ / ١٠٢ ح ٧٣٣.

(٤) نفس المصدر ٢ / ١٠٢ ح ٧٥٦.

وفي حديث لأحمد عن سعيد بن المسيب قال : «اجتمع علىي وعثمان بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال عليّ : ما تريده إلى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه (والله) وسلم تنهى عنها فقال عثمان دعنا منك»^(١).

٨ . ومن مخالفته للشريعة في مسائل الحج أيضاً :

أخرج أحمد في مسنده : «ان عثمان نزل قديداً فأتي بالحجـل في الجـانـشـائـلة بأرجلـها ، فأرسـلـ إـلـى عـلـيـ وهو يـضـفـزـ^(٢) بـعـيرـاـلـهـ فـجـاءـ وـالـخـبـطـ يـتـحـاثـ منـ يـدـيـهـ ، فـأـمـسـكـ عـلـيـ وـأـمـسـكـ النـاسـ فـقـالـ عـلـيـ : مـنـ هـنـاـ مـنـ أـشـجـعـ ؟ هـلـ تـعـلـمـونـ أـنـ النـبـيـ ﷺ جـاءـ أـعـرـابـيـ بـيـضـاتـ نـعـامـ وـتـمـيـرـ^(٣) وـحـشـ فـقـالـ : أـطـعـهـنـ أـهـلـكـ فـإـنـ حـُرـمـ ؟ فـقـالـواـ بـلـيـ فـتـوـرـكـ عـثـمـانـ عـنـ سـرـيرـهـ فـقـالـ : خـبـثـ عـلـيـنـاـ»^(٤).

وفي حديث ذكره ابن حزم في المخلوي عن سعيد بن منصور : «ان عثمان ابن عفان كان يصاد له الوحوش على المنازل ثم يذبح فياكله وهو محرم سنتين من خلافته ، ثم أن الزبير كلامه فقال : ما أدرى ما هذا يصاد لنا ومن أجلنا»^(٥).

وأخرج عبد الرزاق في المصنف بمسنده عن معمراً وابن عيينة عن يزيد بن أبي زياد قال : «سمعت عبد الله بن الحارث بن نوفل يقول : كنت مع عثمان بين مكة والمدينة ونحن محظوظون ، فأصطيدت له ، فأمر أصحابه أن يأكلوا ولم يأكل

(١) نفس المصدر ٢ / ٢٦٦ ح ١١٤٦.

(٢) أي يعلمه الضفائر وهي اللقم الكبار ومن الضفائر وهو الشعير المحروش تعلمه الأبل (راجع النهاية ضفر)، ووقع مصحفاً في مجمع الزوائد (يصنف)، وفي تفسير الطبراني (يضرف) والصواب ما قدمناه.

(٣) التمير : اللحم المقطع صغاراً وتتمير اللحم تقطيعه وتحفيقه.

(٤) مسنـدـ أـحـمـدـ ٢ / ١٣٩ ح ٨١٤ ، وأـخـرـجـهـ الـمـيـثـمـيـ فيـ مـجـمـعـ الزـوـائـدـ ٣ / ٢٢٩ وـقـالـ : رـوـاهـ أـحـمـدـ وـفـيهـ عـلـيـ بـنـ زـيـدـ وـفـيهـ كـلـامـ وـقـدـ وـثـقـ وـبـقـيـةـ رـجـالـ رـجـالـ الصـحـيـحـ.

(٥) المخلوي ٧ / ٢٥٤ محقق.

هو قال : أصطيدت أو أمتت بأسمى ، قال فقام علىٰ فقيل لعثمان أنه كره أكلها فأرسل إليه فقال علىٰ ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾^(١) فقال له عمرو في فيك التراب فقال له علىٰ بل في فيك التراب»^(٢).

أقول : هكذا روى عبد الرزاق ، وأحسب أنَّ كلمة (ولم يأكل هو) إفحام لفظ ماء الوجه ، كما أنَّ كلمة عمرو أحسبها كذلك والصواب : عثمان ، فهو صاحب الأمر منه بداء المشادة حين أرسل إلى علىٰ ... ومرّ في حديث ابن حزم أنه أكل من الصيد وهو حرم ... إلى غير ذلك من مخالفات الأحكام.

ومن مفارقات عثمان العجيبة الغريبة أنه سمع وهو يخطب الناس فيقول : «أجتبوا الخمر فإنَّها أم الخائب . ثم ضرب لهم مثلاً ب الرجل عابد عشقته إمرأة فاحتالت عليه حتى أحضرته في بيتها ودعته إلى نفسها أو يشرب الخمر أو يقتل غلاماً كان عندها وإلا فضحته فشرب الخمر فقتل الغلام ووقع على المرأة . ثم قال : فاجتبوا الخمر ، فوالله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر في قلب رجل إلا أوشك أن يخرج صاحبه الذي كان يشرب الخمر».

فهو مع هذا التحذير الشديد للناس ، لم يردع تحذيره ابنه الوليد بن عثمان فكان ينادم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو الذي جاء إليه بابن سيحان حليف بني صرب فشربوا حتى أصاب الوليد بن عتبة خمار فقال لابن سيحان أشرب فأتي بأداوة فيها فضلة شراب فشربها ثم أنسده شعرًا^(٣).

فهو لاء ثلاثة كلَّ اسمه الوليد شربوا الخمر أيام عثمان : ابنه الوليد ينادم ابن عمه الوليد بن عتبة ، أضعف إليهم أخاه الوليد بن عقبة الذي هو أخو عثمان لأمه ،

(١) المائدة / ٩٦.

(٢) المصنف عبد الرزاق ٤ / ٤٣٤.

(٣) انظر أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٦١٣ تحو إحسان عباس.

وواليه على الكوفة فشرب الخمر وقاءً في المحراب ، بينما هو ينهى الناس ويحذرهم من شرب الخمر ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَرِّ وَتَنْهَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾^(١).

ومن الحزن أن نقرأ ما رواه مصعب الزبيري في نسب قريش^(٢) عن أبي الزناد ، والبلاذري في الأنساب بسنده عن محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه : أن رجلاً كان آنس بعثمان ، وكان الرجل من ثقيف ، فحدّ في الشراب . فقال له عثمان لن تعود والله إلى مجلسي والخلوة معي^(؟) ما لم يكن معنا ثالث^(٣) .

فسرّبو الخمر أحبابه ومن جلّسه فبعد أيّ موعظة منه للناس تنفعهم ؟ وقد يفاجأ القارئ إذا ما قرأ عن الوليد بن عثمان : وكان صاحب شراب وفتوة . وقتل أبوه عثمان وهو مخلق في حجلته^(٤) .

وقال المسعودي : «وكان الوليد صاحب شراب وفتوة ومجون ، وقتل أبوه وهو مخلق الوجه سكران عليه مصيغات واسعة»^(٥) .

مخالفاته للشريعة في الأموال والمحابة بالولايات :

أمّا مخالفته للشريعة في الأموال ومخالفته في المحابة بالولايات فتلك هي التي أثارت عليه الرزابع من هنا وهناك ، فتعالي النكير وكثير النفي ، حتى انتهى به إلى سوء المصير . وكانت عمدة الحجة عليه مخالفته للشريعة في تلك المبادرات

(١) البقرة / ٤٤ .

(٢) نسب قريش / ١٠٢ - ١٠٣ ط دار المعرف.

(٣) أنساب الأشرف ١ ق ٤ / ٤٩٣ .

(٤) المعرف لابن قتيبة / ٢٠٨ ط دار الكتب سنة ١٩٦٠ .

(٥) مروج الذهب ٢ / ٣٤١ ط الثالثة سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م ط السعادة تحت محمد محيي الدين عبد الحميد .

والمحاباة مضافاً إلى مخالفته لسيرة من كان قبله وقد أخذ عليه عبد الرحمن شرط العمل بسيرة الشيفين.

ولابد لنا من عرض نصوص تدل على ما قلناه :

١. قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج : «لما بني عثمان قصره طمار الزوراء وضع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبد الرحمن ، فلما نظر إلى البناء والطعام قال : يابن عقان لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك ، وإنني أستعيد بالله من يعتك ، فغضب عثمان وقال : أخرجه عني يا غلام ، فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض^(١) ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلمه فلم يكلمه حتى مات»^(٢).

٢. قال ابن عبد ربه في العقد الفريد : «لما أحده عثمان ما أحده من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلة من أصحاب محمد قيل لعبد الرحمن هذا عملك قال : ما ظنت هذا ، ثم مضى ودخل عليه وعاته وقال إنما قدمنتك على ان تسير فيها سيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحاليت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال : إن عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله . قال عبد الرحمن : الله علىي أن لا أكلمك أبداً ، فلم يكلمه حتى مات وهو مهاجر لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه فتحول عنه إلى الحائط ولم يكلمه»^(٣).

(١) لقد مرّ بما في ذكر حديث الفلتة ، ان ابن عباس كان يقرئ جماعة من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف ، فراجع .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٦ ط مصر الأولى .

(٣) العقد الفريد ٢ / ٢٨٠ ط محققة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

٣ . روى البلاذري في أنساب الأشراف ، وقال أبو مخنف والواقدي في روایتهما : «أنكر الناس على عثمان إعطاءه سعيد بن العاص مائة ألف درهم . وكلمه عليّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك ، فقال : إنّ له قرابة ورحماً قالوا أما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورحم؟ فقال : إن أبياً بكر وعمر كانوا يختصبان في منع قرابتهما وأنا أحتسّب في إعطاء قرابتي . قالوا : فهداهُمَا والله أحب إلينا من هديك ، فقال : لا حول ولا قوّة إلا بالله»^(١) .

٤ . روى البلاذري في كتابه أنساب الأشراف بإسناده عن محمد بن سهل ابن سعد الساعدي قال : «تنازع عليّ وطلحة في شرب^(٢) فكان عليّ يحب إقراره ، وكان طلحة يحب إبطاله ، فاختصما إلى عثمان ، فركب معهما إلى الشرب ، ووافاهما معاوية قادماً من الشام فأدركته المنافاة فقال : إنّ كان هذا الشرب مقراً في خلافة عمر فمن ذا يغير شيئاً أقرّه عمر؟ فلقنها عثمان فقال : هذا شرب لم يغيّره عمر ولسنا بمعيّري ما أقره عمر .

قال طلحة : وما الذي أنت عليه من أمر عمر؟ اه...»^(٣) .

فماذا تعني كلمة طلحة : «وما الذي أنت عليه من أمر عمر؟ إن هي إلا نقد لاذع لعثمان في وجهه بآنه تختلف عما اشتراه عليه عبد الرحمن بن عوف من السير بسيرة الشيدين فأنعم له فبأيه وتابعه الناس على ذلك ، ومقارنة بسيطة بين السيرتين نجد البون شاسعاً وحسيناً عرضاً عابراً في موضوع الإدارة والمآل فحسب .

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٥ ترجمة إحسان عباس ط بيروت .

(٢) الشرب : الماء المشروب والخوض المورود .

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٤٩٩ .

مخالفته للسيرة العمريّة :

قال طه حسين في الفتنة الكبرى : « وأنكر المسلمون على عثمان موقفه من ناقديه ومعارضيه فهو قد انحرف عن سيرة عمر في ذلك انحرافاً عظيماً ، فعمر لم يئه عماله عن شيء كما ناهام عن أن يستعبدوا الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، ولم يحدّرهم من شيء كما حدّرهم من العنف بالرعية ، والاعتداء على أبشارها وأشعارها ، فلم يكن عمر إذن يبيع ضرب الناس إلا في الحدود ، ولم يكن يعفي عماله من القصاص إن تعدّوا على الرعية بالضرب في غير حدّ ، او في غير حقّ من الحقوق ، فأمّا عثمان فمهما يكن اعتذار أهل السنة والمعزلة عنه ، فإنّه قد أسرف وترك عماله يسرفون في العنف بالرعية ضرباً ، ونفياً ، وحبساً ، وهو نفسه قد ضرب أو أمر بضرب رجلين من أعلام أصحاب النبي : ضرب عمّار بن ياسر حتى اصابه الفتق ، وأمر من أخرج عبد الله بن مسعود من مسجد النبي إخراجاً عنيفاً حتى كسر بعض أضلاعه ...»^(١).

وقال أيضاً : « فهذه السياسة العنيفة التي تسلط الخليفة وعماله على أبشار الناس وأشعارهم وعلى أمنهم وحررتهم ، ليست من سيرة النبي ولا من سيرة الشيوخين في شيء ... اه »^(٢).

والآن إلى شيء من سيرة عمر الذي خالفها عثمان عملاً واحتج بها قوله كما مرّ في قوله لطلحة : « ولسنا بمغيري ما أقره عمر » ، فقال طلحة : « وما الذي أنت عليه من أمر عمر ». فقد كان لعمر عملاً على البلاد جلّهم مّن رضي المسلمين

(١) الفتنة الكبرى ١ / ١٩٨ .

(٢) نفس المصدر ١ / ١٩٩ .

هديه وسمته مثل سلمان وابن مسعود وعمار بن ياسر وسعد بن أبي وقاص ،
وغيرهم آخرون فإنهم لم يبلغوا صلاح هؤلاء ولكنهم لرقبة عمر وتطلع
أخبارهم ، كانوا أطوع له من ير فأغلامه ، كما أنه كان يسمع من الناس شكايتهم
من عماله فيحاسبهم ، وما حديث مقامته لعماله إلا نتيبة رسالة أبي المختار
يزيد بن قيس بن يزيد إليه ، فقد أرسل إليه شعراً يقول فيه شاكياً عمال عمر على
كور الأهواز :

فأنست أميين في النهي والأمر
أميناً لرب العرش يسلم له صدري
يسوغون ممال الله في الأدم والوفر
وارسل الى جزء^(٢) وأرسل الى بشر^(٣)
ولابن غلاب^(٤) من سراة بني نصر
وذاك الذي في السوق مولى بني بدر^(٧)
وصهر بني غزوan^(٩) إني لذو خبر

أبلغ أمير المؤمنين رسالة
وأنست أمين الله فينا ومن يكن
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى
فارسل إلى الحجاج^(١) فأعرف حسابه
ولا تنسى فاعين^(٤) كليهم
وما عاصم^(٦) منها بصف عيابه
وارسل إلى النعمان^(٨) اعرف حسابه

(١) الحجاج بن عتیک وكان على الفرات.

(٢) جزء بن معاوية عم الأحنف كان على سرقة.

(٣) بشر بن المحتفz كان على جندي سابور.

(٤) هما نافع ونفيع ابني الحرت بن كلدة الثقفي.

(٥) خالد بن الحيث من دهمان كان على بيت المال باصبهان.

(٦) عاصم بين قيس، بين الصلت السلمي، كان على مناذر.

(٧) سمية بن جندب كان على سوق الأهواز.

^(٨) النعمان بن عدي بن نضلة الكعبي، كان علمًا كثيرو دجلة.

(٩) مجاشع بن مسعود السلمي، صهره بن غزوان كان علمي، البصري وصديقها.

فقد كان في أهل الرساتيق ذا ذكر
 سيرضون إن قاستهم منك بالشطر
 أغيب ولكنني أرى عجب الدهر
 فائٍ لهم وفـْرٌ ولسنا أولي وفر
 من المسـك راحت في مفارقهم تجـري
 ولـما وصلت إليه الرسـالة ، أرسـل عليهم وحـاقـهم حـاسـبة شـدـيدة ثـمـ
 شـاطـرـهم حتى روـي البـلاـذـري أنه أـخـذـ نـعـلـاـ وـتـرـكـ نـعـلـاـ .
 (١) فـسـلـهـ المـالـ وـابـنـ مـحـرـشـ (٢)
 فـقـاسـهـمـ أـهـلـيـ فـسـلـهـوكـ إـهـمـ
 وـلـاـ تـسـدـعـونـيـ لـلـشـ هـادـةـ إـنـيـ
 نـؤـوبـ إـذـ آـبـواـ وـنـغـزـواـ إـذـ غـزـواـ
 إـذـ التـاجـرـ السـدـارـيـ جـاءـ بـفـارـةـ
 وـلـمـاـ وـصـلـتـ إـلـيـهـ الرـسـالـةـ ،ـ أـرـسـلـ عـلـىـهـمـ وـحـاقـهـمـ حـاسـبةـ شـدـيدـةـ ثـمـ

وروـي عمـارةـ بنـ خـيـمةـ بنـ ثـابـتـ قالـ :ـ «ـ كـانـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ إـذـ اـسـتـعـمـلـ
 عـامـلـاـ كـتـبـ عـلـيـهـ كـتـابـاـ وـأـشـهـدـ عـلـيـهـ رـهـطاـ مـنـ الـأـنـصـارـ :ـ أـنـ لـاـ يـرـكـبـ بـرـدـونـاـ ،ـ وـلـاـ
 يـأـكـلـ نـقـيـاـ ،ـ وـلـاـ يـلـبـسـ رـقـيـاـ ،ـ وـلـاـ يـغـلـقـ بـابـاـ دـوـنـ حـاجـاتـ الـمـسـلـمـينـ ،ـ ثـمـ يـقـولـ :ـ اللـهـمـ
 اـشـهـدـ»ـ (٤)ـ .

وـكـانـ يـخـطـبـ وـيـقـولـ :ـ «ـ أـيـهـاـ النـاسـ أـيـ وـالـلـهـ مـاـ أـرـسـلـ إـلـيـكـمـ عـمـالـاـ لـيـضـرـبـواـ
 أـبـشـارـكـ ،ـ وـلـاـ لـيـأـخـنـوـأـمـوـالـكـ وـلـكـنـ أـرـسـلـهـمـ إـلـيـكـمـ لـيـعـلـمـوـكـمـ دـيـنـكـمـ وـسـنـتـكـمـ ،ـ
 فـمـنـ فـعـلـ بـهـ شـيـءـ سـوـىـ ذـلـكـ فـلـيـرـفـعـهـ إـلـيـهـ ،ـ فـوـالـذـيـ نـفـسـ عـمـرـ بـيـدـهـ لـأـقـصـنـهـ
 مـنـهـ»ـ (٥)ـ .

ألم يـغـلـظـ فيـ حـسـابـهـ مـعـ عـمـرـ بـنـ الـعـاصـمـ وـأـبـيـ هـرـيـةـ وـأـبـيـ مـوسـىـ الـأـشـعـرـيـ
 وـخـالـدـ بـنـ الـوـلـيـدـ وـغـيـرـهـمـ مـنـ عـمـالـهـ؟ـ .

(١) شبـلـ بـنـ مـعـبدـ الـبـجـليـ ثـمـ الـأـحـمـسـيـ كـانـ عـلـيـ قـبـضـ الـمـاغـانـمـ.

(٢) أـبـوـ مـرـيمـ بـنـ مـحـرـشـ الـخـفـيـ كـانـ عـلـيـ رـامـهـرـزـ.

(٣) أـنـظـرـ فـتوـحـ الـبـلـدـانـ /ـ ٣٩١ـ .ـ ٣٩٢ـ طـ مصرـ سـنـةـ ١٣١٩ـ .ـ

(٤) تـارـيـخـ عـمـرـ لـابـنـ الجـوزـيـ /ـ ٨٥ـ ،ـ وـقارـنـ تـارـيـخـ الطـبـرـيـ ٤ـ /ـ ٢٠٧ـ .ـ

(٥) تـارـيـخـ الطـبـرـيـ ٤ـ /ـ ٢٠٤ـ .ـ

ألم يعزل عامله الذي أنفق عشرة دراهم لاتخاذ بيت لقضاء الحاجة أخذها من بيت المال وقال : «أما وجدت موضعًا تقضي فيه الحاجة حتى أخذت عشرة دراهم من بيت المال اتخذت بها خلاءً لقضاء حاجتك»^(١).

ألم يبعث محمد بن سلمة الأننصاري من المدينة إلى الكوفة ليحرق باب قصر سعد والخاص من قصب الذي حوله^(٢).

أليس هو القائل : «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسّمتها على فقراء المهاجرين؟»^(٣).

ثم هو القائل : «لئن عشت . إن شاء الله . لأسيّر في الرعية حولاً ، فإني أعلم أنّ للناس حوايج تقطع دوني ، أمّا عمالهم فلا يرفعونها إليّ ، وأمّا هم فلا يصلون إليّ . فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثمّ أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثمّ أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثمّ أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثمّ أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثمّ أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين . والله لنعم الحول هذا»^(٤).

هذه نبذة مقتطفة من سيرة عمر مع عماله ومراقبتهم في الشؤون المالية والإدارية . وعلى هذه السيرة كان شرط ابن عوف على عثمان . ولما تخلف عن شرطه أدى ذلك إلى قتله . حكى الجاحظ في رسالته العثمانية قول القائل : «ما قتل عثمان غير عمر»^(٥).

(١) الفتوحات الإسلامية زيني دحلان ٢ / ٣٠١.

(٢) فتوح البلدان / ٢٨٦.

(٣) تاريخ الطبراني ٤ / ٢٢٦ ط دار المعارف.

(٤) سيرة عمر لابن الجوزي / ٩٠ ، وقارن تاريخ الطبراني ٤ / ٢٠١.

(٥) الرسالة العثمانية / ١٨٤.

محاباة عثمانية للقرابة :

لقد كان من سوء التدبير عند عثمان تقادمه ببني أمية . الذين لسوء حظهم . كانوا من أواخر المعترفين بالإسلام ، ومع ذلك شملهم بعطفه مع أنهم الأوائل الذين قاوموه وحاربوه ، والناس على ذكر ممّا قاله النبي الإسلام فيهم حين قال لهم : (الطلقاء) ، وجعلهم من المؤلفة قلوبهم ، وحذّر منهم المسلمين ، وقال أبو بربعة الأسلمي : «كان أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف»^(١) ، ولكن عثمان بسوء تقادمه وتدبيره خضع لأسباب القرابة حتى أورثه ذلك نسمة الصحابة وال المسلمين ، فأسمعوه الكلمات الجارحة في وجهه ، والنقد المريء في غيبته ، لأنهم لم يكونوا قد عرفوا مثل ذلك من قبل أيام عمر.

قال الشيباني : «أول من آثر القرابة والأولياء عثمان بن عفان»^(٢).

وإلى القارئ أسماء بعضهم ممّن حباهم بالمال والولايات ، حتى انتكست عليه فتلها :

١ . الحكم بن أبي العاص وهو عم عثمان ، قال الحلي في سيرته : «كان قال له طريد رسول الله ﷺ ولعينه ، وقد كان ﷺ طرده إلى الطائف ومكث به مدة رسول الله ومدة أبي بكر بعد أن سأله عثمان في إدخاله المدينة فأبى فقال له عثمان : عمي . فقال : عمك إلى النار ، هيئات هيئات أن أغير شيئاً فعله رسول الله ﷺ والله لا ردته أبداً . فلما توفي أبو بكر وولى عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له : ويحك يا عثمان تستكلم في لعین رسول الله ﷺ وطريقه وعدو الله وعدو رسوله؟ .

(١) مستدرك الحاكم ٤ / ٤٨٠ وصححه مع الذهبي على شرط الشيخين.

(٢) العقد الفريد ٢ / ٣٦٥ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر.

فلما ولي عثمان رده إلى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والأنصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة ، فكان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه ... اه»^(١).

وروت عائشة : «إن قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَافٍ مَّهْمِينِ * هَمَّازٌ مَّشَاءٌ بِمَمِيمٍ﴾^(٢) الآية نزلت فيه»^(٣) ، وقالت لمروان بن الحكم : «سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك . أبي العاص بن أمية . انكم الشجرة الملعونة في القرآن»^(٤) ، وقالت أيضاً لمروان في كلام بينهما : «ولكن رسول الله ﷺ لعن أبو مروان ومروان في صلبه ، فمرwan فضض من لعنة الله»^(٥).

ولما رد عثمان عمّه الحكم بن أبي العاص طريد النبي ﷺ وطريد أبي بكر وعمر إلى المدينة تكلم الناس في ذلك فقال عثمان : «ما ينقم الناس مني ؟ إني وصلت رحماً وقررت قرابة»^(٦) ، وقد رأه بعضهم يوم قدم المدينة عليه فزر^(٧) خلق وهو يسوق تيساً حتى دخل دار عثمان والناس ينظرون إلى سوء حاله وحال من معه ، ثم خرج عليه جبة خرز وطليسان^(٨) ولم يكتف بارجاعه بل ولاه صدقات

(١) السيرة الحلبية / ٢ ٨٥.

(٢) القلم / ١١ ١٠.

(٣) تفسير الدر المنشور ٦ / ٤١ و ٢٥١ ، وتفسير الشوكاني ٥ / ٢٦٣ ، وتفسير الألوسي ، ٢٨ / ٢٩ ، والسيرة الحلبية ١ / ٣٣٧ ، وسيرة زبني دحلان بمحامش الحلبية ١ / ٢٤٥.

(٤) الدر المنشور ٤ / ١٩١ ، وتفسير الألوسي ١٥ / ١٠٧ ، وتفسير الشوكاني ٣ / ٢٣١ وغيرها.

(٥) تفسير القرطبي ١٦ / ١٩٧ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ١٥٩ ، وتفسير الرazi ٧ / ٤٩١ ، وتفسير الألوسي ٢٦ / ٢٠ وغيرها وجاء في الفائق للزمخشري (فضض) قالت لمروان : فأنت فظاظة لعنة الله ولعنة رسوله . وقال الرمخشري : افنتظرت الكرش إذا اعتقدت ماءها كأنه عصارة قذرة من اللعنة.

(٦) العقد الفريد ٤ / ٣٠٥ ط محققة.

(٧) تفرز الثوب وأنفرز أنسق وتقطع وبلي . (قطر المحيط . فزر).

(٨) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤١ .

قضاعة فبلغت ثلثمائة ألف درهم فوهبها له حين أتاها بها^(١). وقال عبد الرحمن بن يسار : «رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاها عثمان فقال له ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص»^(٢) ، ولما مات صلى عليه وضرب على قبره فسطاطاً^(٣).

٢ - أبو سفيان بن حرب ، وهذا هو رأس المنافقين والقائل حين قبض رسول الله ﷺ : «تلقوها الآن تلقي الكوة فما من جنة ولا نار»^(٤).

ولم يزل على تلك المقوله حتى قالها وهو أعمى البصر والبصرة حين دخل على عثمان يوم بويع بالخلافة فقال : «تلقوها يا بني أمية تلقي الكوة فهو الذي يخلف به أبو سفيان ما زلت ارجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة»^(٥) ، وفي لفظ الطبرى : «تلقوها تلقي الكوة فما هناك جنة ولا نار»^(٦).

وروى ابن عساكر في تاريخه عن أنس أن أبو سفيان دخل على عثمان بعد ماعمي فقال : «هل هنا أحد؟ فقالوا لا : فقال : اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية ، والملك ملك غاصبية ، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية»^(٧) . وفي رواية ابن عبد البر عن الحسن : أنه قال لعثمان : «صارت إليك بعد تيم وعدني فأدرها كالكرة ، واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك؟ ولا أدرى ما جنة ولا نار»^(٨) ، فهذا شيخ

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٥.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٤.

(٤) نفس المصدر ١ ق ٤ / ١٣ ت訳 إحسان عباس بيروت.

(٥) مروج الذهب ١ / ٤٤٠.

(٦) تاريخ الطبرى ١١ / ٣٥٧.

(٧) تحذيف تاريخ ابن عساكر لأبن بدران ٦ / ٤٠٧.

(٨) الاستيعاب ٢ / ٦٩٠.

بني أمية المائين أعطاه عثمان مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه مروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال أيضاً^(١).

٣ . مروان بن الحكم ، طريد رسول الله وابن طريده ولعينه وابن لعنه كما روت ذلك عائشة وقد مر آنفأً ، زوجه عثمان ابنته أم أبان وأعطاه مائة ألف يوم أعطى أبا سفيان مائتي ألف وذلك كله من بيت المال . فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى . فقال عثمان : أبكىي أن وصلت رحми ؟ قال : لا ولكن أبكىي لأنّي أظنك أَنْكَ أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً . فقال : ألق المفاتيح يا بن أرقم فإنّي سجد غيرك^(٢) .

روى البلاذري بسنده عن خالد مولى أبان بن عثمان قال : «كان مروان قد ازدع بالمدينة في خلافة عثمان على ثلاثين جلاً فكان يأمر بالوى أن يشتري له فينادى : ان أمير المؤمنين يريده ، وعثمان لا يشعر بذلك ، فدخل عليه طلحة وكلمه في امر النوى فحلف أنه لم يأمر بذلك ، فقال طلحة : هذا أعجب أن يفتات عليك به مثل هذا ، فهلا صنعت كما صنع ابن حتمة . يعني عمر بن الخطاب . خرج يرفا بدرهم يشتري به لحاماً فقال للحّام : إني أريده لعمر . فبلغ ذلك عمر فأرسل إلى يرفا فأتي به وقد برك عمر على ركبتيه وهو يفتل شاربه ، فلم أزل أكلمه فيه حتى سكته فقال له : والله لئن عدت لأجعلنك نكالاً ، أتشتري السلعة ثم تقول هي لأمير المؤمنين ؟»^(٣) .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٧ ط الأولى.

(٢) نفس المصدر.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٦.

وروى المؤرخون أن عثمان أعطى مروان خمس غنائم أفريقية بعد أن فرقها كلّها في آل الحكم وخص مروان بخمسها^(١) ، ثم زاده فدكاً.

قال أبو الفداء في تاريخه : «أقطع مروان بن الحكم فدك وهي صدقة رسول الله ﷺ التي طلبها فاطمة ميراثاً فروى أبو بكر عن رسول الله ﷺ نحن معاشر الانبياء لانورث ماتركناه صدقة. ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردها صدقة»^(٢).

٤ . سعيد بن العاص ، زوجه ابنته أم عمرو فهلكت عنده فتزوج اختها مريم الكبرى^(٣) ، وأعطاه عثمان مائة ألف درهم ، فأنكر الناس ذلك عليه ، فكلّمه علي والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف . وهم أهل الشوري . في ذلك ، فقال : «إن له قرابة ورحماً ، قالوا : ألم كان لأبي بكر وعمر قرابة وذو رحم ؟ فقال : إن أبي بكر وعمر كانوا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا احتسب في إعطاء قرابتي ، قالوا : فهو دينهما والله أحب إلينا من هديك. فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٤) ثم ولّه الكوفة بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

٥ . الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، صهر عثمان على ابنته عائشة ، أعطاه ثلثمائة ألف درهم^(٥) وقدمت عليه إبل الصدقة فوهبها الله^(٦) ، وزاده بأن

(١) أنظر تاريخ الطبرى ٥٠ / ٥٠ ط الحسينية بمصر و ٤ / ٢٥٦ ط محققة ، وتاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٨ ، وطبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٤٤ ، وأنساب الأشراف للبلذري ١ ق ٤ / ٥١٤ تـ إحسان عباس ، وتاريخ ابن كثير ٧ / ١٥٢ ط السعادة بمصر ، والنجم الزاهر ط ليدن ١ / ٨٠ ط دار الكتب.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ / ١٦٨ ، وقارن المعرف لابن قتيبة / ١٩٥ ط محققة ، والعقد الفريد ط محققة ٤ / ٢٨٣ ، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٧ ، وسنن البيهقي ٦ / ٣٠١ .

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٦٠١ .

(٤) نفس المصدر ١ ق ٤ / ٥١٥ .

(٥) نفس المصدر ١ ق ٤ / ٥٤١ .

(٦) نفس المصدر ١ ق ٤ / ٥١٥ .

أقطعه سوق المدينة يعرف به زور وكان رسول الله ﷺ تصدق به على المسلمين^(١).

قال الحليفي سيرته : «اعطى الحارث عشر ما يماثل في السوق»^(٢).

٦ . عبد الله بن خالد بن أسيد ، طلب منه صلة فأعطاه أربعين ألف درهم^(٣) وزوجه ابنته أم سعيد وأمر له بستمائة ألف درهم وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة^(٤) ، وقدم عليه مرة وناس غزارة معه فأمر عبد الله بثمانية ألف درهم ، ولكل رجل من القوم بمائة ألف درهم ، وصك بذلك إلى ابن أرقم . خازن بيت المال . فاستكثره ورد الصك له . ويقال أنه سأله عثمان أن يكتب عليه به ذكر حقيقة ذلك . فامتنع ابن الأرقم من أن يدفع المال إلى القوم ، فقال له عثمان إنما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت ؟ فقال ابن الأرقم : كنت أراني خازناً للMuslimين ، وإنما خازنك غلامك والله لا أלי لك بيت المال أبداً ، وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر . ويقال بل ألقاها إلى عثمان . فدفعها عثمان إلى نافل مولاه ، ثم ولـي زيد بن ثابت الأنباري بيت المال وأعطاه المفاتيح . ويقال : أنه ولـي بيت المال معيقـب بن أبي فاطمة . وبعث إلى عبد الله ابن الأرقـم ثلاثة ألف درهم فلم يقبلها^(٥) ، وقال . فيما رواه الواقدي . : ما لي إليه حاجة ، وما عملت لأن يشيني عثمان ، والله لئن كان هذا من مال المسلمين ما

(١) المعارف لابن قتيبة / ١٩٥ ط محققة ، والعقد الفريد ٤ / ٢٨٣ ط محققة ، شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٧ ط الاولى ، ومحاضرات الراغب ٢ / ٢١٢ .

(٢) السيرة الحلبية ٢ / ٨٢ .

(٣) المعارف لابن قتيبة / ١٩٥ ط محققة .

(٤) تاريخ العقوبي ٢ / ١٤٥ ط النجف .

(٥) انساب الاشراف ١ ق ٤ / ٥٤٨ تـ احسان عباس .

بلغ قدر عملي أن أعطى ثلاثة ألف درهم ، ولئن كان من مال عثمان ما أحب أن آخذ من ماله شيئاً^(١).

٧. عبد الله بن سعد بن أبي سرح . أخوه من الرضاعة . المرتد عن الإسلام وقد أهدر رسول الله ﷺ دمه يوم فتح مكة وان وجد متعلقاً بأسثار الكعبة ، فغيّبه عثمان عنده ثم أتى به النبي ﷺ مستأمناً له ، فصمت ﷺ طويلاً رجاء أن يقوم إليه من المسلمين من يقتله^(٢).

فهذا المرتد أعطاه عثمان جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقيا بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحدٌ من المسلمين كما يقول ابن أبي الحميد المعتزلي^(٣). قال ابن الأثير : «أعطى عبد الله خمس الغزوة الأولى وأعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع أفريقيا»^(٤).

لئن كان هؤلاء هم القرابة المحظيين بالعطاء والقطاع فدع عنك حديث الآخرين من بني أمية الذين تملّكوا البلاد فساقوا العباد فأكثروا فيها الفساد ، أمثال معاوية وعبد الله بن عامر وبعلى بن أمية وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وأضرابهم من هدموا بناء الإسلام ، وبثوا التفرقة بين المسلمين فمزقوا وحدتهم بسوء أعمالهم ، إذ كانوا يحكمون الناس كآمويين حاقدين على الإسلام ونبيه ، فهيج ذلك حقد الصدور ، وهياً أسباب الثورة على عثمان ، ثم هم لم يغنو عنه شيئاً في حياته ، بل استغللوا دمه وقمصه بعد وفاته.

(١) أنظر الاستيعاب والإصابة في ترجمة عبد الله بن الأرقم.

(٢) أنظر سنن أبي داود ٢ / ٢٢٠ ، ومستدرك الحكم ٣ / ١٠٠ ، وتفسير القرطبي ٧ / ٤٠ ، وتفسير الشوكاني ٢ / ١١٣٤ ، والاستيعاب والإصابة وأسد الغابة في ترجمته.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحميد ١ / ٦٧.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٨ .

وحسينا حديث استنصاره بهم وهو محصور في حصره الأول ، فلم يغثه منهم أحد ، وهكذا حديث معاوية وهو أهمهم أمراً ، وأعظمهم قطراً ، وأكبرهم عمراً.

روى الذهبي في سير أعلام النبلاء نقلاً عن ابن سعد بأسانيد ثلاثة إلى المسور بن مخرمة وابن الزبير وابن عباس قالوا : «بعث عثمان المسور بن مخرمة إلى معاوية يعلمه أنه محصور ، ويأمره أن يجهز إليه جيشاً سريعاً ، فلما قدم على معاوية ، ركب معاوية لوقته هو وسلم بن عتبة وابن حديج فساروا من دمشق إلى عثمان عشراً. فدخل معاوية نصف الليل ، وقبل رأس عثمان فقال : أين الجيش؟ قال : ماجئت إلا في ثلاثة رهط. فقال عثمان : لا وصل الله رحمك ، ولا أعز نصرك ، ولا جراك خيراً ، فوالله لا أقتل إلا فيك ، ولا ينتقم علي إلا من أجلك. قال : بأي أنت وأمي لو بعشت إليك جيشاً فسمعوا به عاجلوك فقتلوك. ولكن معى نجائب فاخراج معى فما يشعر بي أحد ، فوالله ما هي إلا ثلاث حتى نرى معالم الشام ، فقال : بئس ما أشرت به ، وأبى أن يجيئه. فأسرع معاوية راجعاً. وورد المسور يريد المدينة بذى المروءة راجعاً وقدم على عثمان وهو ذات معاوية غير عاذر له. فلما كان حصره الآخر ، بعث المسور ثانياً إلى معاوية ليُنجدَه. فقال : إن عثمان أحسن أحسن الله به ، ثم غير فغير الله به ، فشددت عليه. فقال : تركتم عثمان حتى إذا كانت نفسه في حجرته قلت : اذهب فادفع عنه الموت. وليس ذلك بيدي ، ثم انزلني في مشربة على رأسه ، فما دخل علي داخل حتى قتل عثمان»^(١).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠٦ / ٦٠٦ ط دار الفكر.

فهؤلاء هم بنو أمية الذين تمنى عثمان لو أن بيده مفاتيح الجنة لأعطاهما بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم ، وقد أخرج ذلك أحمد في مسنده^(١). ولقد صدق فيهم قول رسول الله ﷺ : «إِنَّ فَسَادًا أُمَّتِي عَلَىٰ يَدِي غَلْمَةٍ سَفَهَاءٍ مِّنْ قَرِيشٍ» كما أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتنة باب قول النبي ﷺ : (هلاك أمتى على يدي أغيلمة سفهاء)^(٢).

وصدق ظنّ عمر بعثمان حين قال لابن عباس : «لو ولها عثمان لحملبني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه»^(٣).

وقال طه حسين في الفتنة الكبرى : «والسياسة المالية التي اصطنعها عثمان منذ نھض بالخلافة كلّها موضوع النّقمة والإنكار من أكثر الذين عاصروا عثمان ومن أكثر الرواة والمؤرخين.

وقال أيضاً : وكذلك دفعت سياسة عثمان المالية هؤلاء الشّائرين إلى أن يلحّوا على عثمان في تغيير سياسة عمر نفسها ، وما دام عثمان قد ذهب إلى سياسة تنحرف عن سياسة عمر حتى أبعد ، وأنشأ طبقة الرأسماليين الذين أسرفوا على أنفسهم في الملك والتّوسيع فيه. فليس ما يمنع الشّائرين من أن يكفّوا يد عثمان وعماله عن هذه السياسة وإن اقتضى ذلك الانحراف عن سيرة عمر ...

وقال أيضاً : ولو قد سار عثمان في الأموال العامة سيرة عمر فلم ينفق المال إلا بحقّه ، لجنب نفسه وجنب المسلمين شرّاً عظيماً ، ولكن من الممكن أن

(١) مسنند أحمد ١ / ٦٢ ط الأولى و ١ / ٢١٧ برقم ٤٣٩ تتح أحمد شاكر.

(٢) صحيح البخاري ٩ / ٤٦ ط بولاق.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٠٢ تتح إحسان عباس.

ينشئ الإسلام للإنسانية نظاماً سياسياً واجتماعياً صالحاً يجنبها كثيراً من الإضطراب الذي اضطرت إليه ، والفساد الذي تورطت فيه»^(١).

أقول : وهذا فيما يراه طه حسين ويراه غيره من بني قومه ، ولكن الرأي الآخر يقول :

ولو قلّدوا الموصى إليه أمرورهم لزقت بهـ أـمـورـهـ

معرفة الساخطين :

تبادل السخط بين الصحابة وبين عثمان :

روى البلاذري بسنده عن سعيد بن المسيب قال : «لما ولی عثمان كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لأن عثمان كان يحب قومه ، فولي الناس اثنى عشرة حجة ، وكان كثيراً ما يولي من بني أمية من لم يكن له مع النبي ﷺ صحبة ، فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد ﷺ ، وكان يُستعبد فيهم فلا يعزهم ، فلما كان في السبت الأواخر استأثر بيبي عممه فولاتهم ، وولي عبد الله ابن أبي سرح مصر فمكث عليها سنتين ف جاء أهل مصر يشكونه ويظلمون منه ، وقد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر فكان في قلوب هذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها. وحنقت بنو مخزوم حال عمّار بن ياسر.

فلما جاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح كتب إليه كتاباً يتهدده فيه ، فأبى أن ينزع عمامته عن عثمان ، وضرب بعض من كان شركاً إلى عثمان من أهل مصر حتى قتلها. فخرج سبعمائة إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ماصنع بهم

(١) الفتنة الكبرى ١٩٠ و ١٩٧.

ابن أبي سرح في مواقف الصلاة إلى أصحاب محمد. فقام طلحة إلى عثمان فكلمه بكلام شديد. وأرسلت إليه عائشة رضي الله عنها تسؤاله أن ينصفهم من عامله.

ودخل عليه عليّ بن أبي طالب. وكان متكلم القوم. فقالوا إنما يسألك القوم رجلاً مكان رجل ، وقد أدعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم ، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه.

فقال لهم : اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه ، فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر الصديق ، فقالوا : استعمل علينا محمد بن أبي بكر ، فكتب عهده على مصر ووجه معهم عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح»^(١).

وقبل الإنسياق مع مدليل النص ، لابد من تعريف القارئ بصاحب لطمةاته بوثاقته في حديث العثمانيين فهو سعيد بن المسيب من أعيان التابعين ، وكان صهراً لأبي هريرة الذي كان مع عثمان ويحدث عن دوره في الدفاع عنه ، وسيأتي مزيد بيان عن ذلك ، ومهما شकنا في مبلغ صدق أبي هريرة ، فلا شك في صدق صهره سعيد بن المسيب فهو أشد ورعاً منه ، وبالتالي غير متهم في قوله على عثمان.

ونعود إلى فحوى مقاله : «فشم نفر من الصحابة كرهوا ولاية عثمان ، لأنّه كان يحب قومه ...» أمنا من هم أولئك النفر ؟ فلم يفصح عنهم ، لماذا ؟ ولا يسر على الباحث والقارئ التعرف عليهم من خلال الأسماء الذين ذكرهم.

فمنهم ابن مسعود وأبو ذر وعمار. واضطغت على عثمان عشائر هؤلاء النفر whom من علية الصحابة. ومنهم طلحة ومنهم عائشة. وهما من قبيلة تيم.

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥١٢.

ومقام عائشة في المسلمين أَكْثَرُهُمْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ. ومنهم علّيّ بن أبي طالب. وهو الّذِي كان يفرغ إِلَيْهِ عُثْمَانُ فِي التَّوْسُطِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاخِطِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْسَارِ.

فهذه أسماء ستة نفر من أصحاب محمد ﷺ عرفناها وفيهم من كره ولاية عثمان أَوْلًا وأخِيرًا ، كعلىٌ وعمّار وأبي ذر ومنهم من كرهها أخيراً كابن مسعود وطلحة وعائشة ، سوى من كان في السبعينات من أهل مصر من الصحابة. فكل هؤلاء من الساخطين.

ولنكتف بمعرفة مواقف هؤلاء عن معرفة سائر الناس الآخرين الذين ذكرهم ابن المسيب من دون تسمية. ونذكرهم حسب ما ذكرهم ابن المسيب في الترتيب :

١ . عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

الّذِي قَالَ فِيهِ ﷺ : (رضيت لأمتي مارضي الله لها وابن أم عبد وسخطت لأمتي ما سخط الله لها وابن أم عبد) ^(١) ، وفيه وفي عمّار وسلمان نزل قوله تعالى : ﴿أَمَنْ هُوَ قَاتِ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذِرُ الْآخِرَةَ﴾ ^(٢).

روى البلاذري في حديثه عن أبي مخنف بإسناده قال : «لما قدم الوليد الكوفة أفتى ابن مسعود على بيت المال فاستقرضه مالاً. وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثم ترد ما تأخذ. فأقرضه عبد الله مأسأله ، ثم اتّه اقتضاه إياه فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود : إنّما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال. فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال : كنت أظنّ

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ٣١٧ - ٣١٨ ، مجمع الزوائد ٩ / ٢٩٠ ، الاستيعاب ١ / ٣٧١.

(٢) راجع تفاسير الخازن والألوسي والسيوطى وغيرها.

أي خازن للMuslimين ، فاما إذا كنت خازنا لكم فلا حاجة لي في ذلك ، وآقام بالكوفة بعد إلقاءه مفاتيح بيت المال»^(١).

وروى أيضاً في حديثه عن أبي مخنف وعوانة بإسنادهما : «أنَّ عبدَ اللهِ بْنَ مسعودَ حينَ الْقِيَامَةِ مُفَاتِحُ الْمَالِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَقبَةَ قَالَ : مَنْ غَيْرُ اللَّهِ مَا بِهِ ، وَمَنْ بَدَّلَ أَسْخَطَ اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَمَا أَرَى صَاحِبَكُمْ إِلَّا وَقَدْ غَيْرَ وَبَدَّلَ ، أَيْعَزِلُ مَثْلَ سَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَيُولِي الْوَلِيدَ؟».»

وكان يتكلّم بكلام لا يدعه وهو : «إن أصدق القول كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد صلّى الله عليه (وآله) وسلم وشرّ الأمور محدثها ، وكل محدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار».

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال : إنّه يعييك ويطعن عليك ، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخصته ، وشّيّعه أهل الكوفة ، فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن . فقالوا له : جزيت خيراً ، فقد علمت جاهلنا ، وثبتت عالمنا ، وأقرأتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، فنعم أخو الإسلام أنت ، ونعم الخليل ، ثم ودعوه وانصرفوا .

وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما رأه قال : ألا إله إلا قدمت عليكم دُوَيْة سوء ، من تمشى على طعامه يقيء ويسلح .

فقال ابن مسعود : لست كذلك ، ولكنني صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر و يوم بيعة الرضوان^(٢).

(٢) وهذا تعبير مبطن لعثمان إذ كان لم يحضرهما فكان يعني منهما عقدة النقص حيث كان يعيّر بذلك وسيأتي تعبير عبد الرحمن بن عوف له بذلك أيضا.

ونادت عائشة : أي عثمان أنتقول هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

ثم أمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً ، وضرب به عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأرض ، ويقال : بل احتمله يحموه غلام عثمان ، ورجلان مختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدق ضلعاً .

فقال عليّ : يا عثمان أتفعل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول الوليد بن عقبة ؟

فقال : ما بقول الوليد فعلت هذا ، ولكن وجهت زيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة . فقال له ابن مسعود : إن دم عثمان حلال .

فقال عليّ : أحلت من زيد على غير ثقة (وقال ابن الكلبي : زيد بن الصلت أخو كثير بن الصلت الكندي^(١)) .

وقام عليّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله ، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي ، وأراد حين برئ الغزو فمنعه من ذلك . وقال له مروان : إن ابن مسعود أفسد عليك العراق أفترىده أن يفسد عليك الشام ؟ فلم يبح المدينة حتى توفي قبل مقتل عثمان بستين . وكان مقيناً بالمدينة ثلاثة سنين ، وقال قوم : إنه كان نازلاً على سعد بن أبي وقاص .

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال : ما تستكري ؟ قال : ذنبي قال : بما تشتتهي ؟ قال : رحمة ربى ، قال : ألا أدعوك طيباً ؟

(١) أحسب أن البلاذري أدرج كلام ابن الكلبي ليعرف القراء بزييد وانه أخو كثير بن الصلت الذي كان كاتباً لعبد الملك بن مروان (تحذيب التهذيب ترجمته) .

قال : الطبيب أمرضني ، قال : أفلأ أمر لك بعطاياك ؟ قال : منعنيه وأنا محتاج إليه ، وتعطنيه وأنا مستغن عنه. قال : يكون لولدك. قال رزقهم على الله. قال : استغفر لي يا أبا عبد الرحمن قال : أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي.

وأوصى أن لا يصلني عليه عثمان ، فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم. فلما علم غضب وقال : سبقتموني به. فقال له عمّار بن ياسر : إنّه أوصى أن لا تصلي عليه. وقال الزبير :

لأعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زدتني زادي
وكان الزبير وصي ابن مسعود في ماله ولده ، وهو كلام عثمان في
عطائه بعد وفاته حتى أخرجه لولده. وأوصى ابن مسعود أن يصلني عليه عمّار بن
ياسر.

قال البلاذري وقوم يزعمون : أن عمّاراً كان وصيّه. ووصية الزبير
أثبت ... اه^(١).

٢ . أبو ذر الغفارى (رضوان الله تعالى عليه) :

رابع المسلمين وأول من حيا النبي ﷺ بتحية الإسلام فقال : «السلام عليك
فقال : وعليك السلام»^(٢).

روى البلاذري عن رجاله قالوا : «لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما
أعطاه ، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثمانية ألف درهم ، وأعطى
زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم ، جعل أبو ذر يقول : بشّر الكنزين

(١) نفس المصدر.

(٢) راجع طبقات ابن سعد ٤ ق ١ / ١٦١ ، وصحيف مسلم في المناقب ، وحلية الأولياء ١ / ١٥٩ ، والاستيعاب ٢ / ٦٦٤ ط حيدر آباد.

بعداب أليم ويتلو قول الله عزّوجلّ : ﴿وَالذِّينَ يُكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾^(١) ، فرفع ذلك مروان بن الحكم إلى عثمان. فأرسل إلى أبي ذر ناتلا مولاه أن إنتهِ عما يلغني عنك. فقال : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله وعيوب من ترك أمر الله ، فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحبت إليَّ وخيرٌ لي من أن أسخط الله برضاه.
فأغضب عثمان ذلك وأحفظه»^(٢).

قال اليعقوبي : «وبلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مجلس رسول الله ﷺ ويجتمع إليه الناس فيحدث بما فيه الطعن عليه ، وأنه وقف بباب المسجد فقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنَا أبُو ذر الغفارى ، أنا جنبد ابن جنادة الرذى ، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾^(٣) محمد الصفوة من نوح فالأول من إبراهيم ، والسلالة من إسماعيل ، والعترة الهادية من محمد ، إنَّه شرف شريفهم واستحقوا الفضل في قوم هم فيما كالسماء المرفوعة ، وكالكونية المسورة ، أو كالقبلة المنصوبة ، أو كالشمس الضاحية أو كالقمر السارى ، أو كالنجوم الهادية ، أو كالشجرة الزيتونة أضاء زيتها وبورك زندها. ومحمد وارث علم آدم وما فضلت به النبيون. وعلى بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه.

أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها أاما لو قدمتم من قدم الله وأخرتم من آخر الله ، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيتك لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ، ولما عال ولي الله ولاطاش سهم من فرائض الله ، ولا اختلف

(١) التوبة / ٣٤

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤١

(٣) آل عمران / ٣٣

اثنان في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه. فأما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنَقَّبٍ يَنَقِّبُونَ﴾^(١)^(٢).

قال البلاذري : «وقال عثمان يوماً : أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك فقال أبو ذر : يا بن اليهوديين أتعلمنا ديننا؟ فقال عثمان : ما أكثر أذاك لي وأولئك بأصحابي. الحق بمكتبه. وكان مكتبه بالشام إلا أنه كان يقدم حاجاً ويسأل عثمان الإذن له في محاورة قبر رسول الله ﷺ فيأذن له في ذلك ، وإنما صار مكتبه بالشام لأنه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سلعاً إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا بلغ البناء سلعاً فالهرب ، فاذن لي آت الشام فأغزو هناك فأذن له.

وكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، وبعث إليه معاوية بثلثمائة دينار فقال : إن كانت من عطائي الذي حرمتوني عامي هذا قبلتها ، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها. وبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري بهائي دينار فقال : أما وجدت أهون عليك مني حين تبعث إلى بمال؟ وردّها.

وبني معاوية الخضراء بدمشق فقال يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة وإن كانت من مالك فهذا الإسراف ، فسكت معاوية. وكان أبو ذر يقول : والله لقد حدثت أعمالاً ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه ، والله إني لأرى حقاً يطفأ ، وباطلاً يحيى ، وصادقاً يكذب وإثرة بغیر ثقی ، وصالحاً مستأثراً عليه»^(٣).

(١) الشعراء / ٢٢٧

(٢) تاريخ العقوبي ٢ / ١٤٨ ط الغري.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤٢

روى ابن سعد بسنده عن الأحنف بن قيس قال : «أتيت المدينة ثم أتيت الشام فجمعت . أي صلية الجمعة . فإذا أنا ب الرجل لا ينتهي إلى سارية إلا خرّ أهلها يصلّي ويُجفّ صلاته . قال فجلست إليه فقلت له يا عبد الله من أنت ؟ قال : أنا أبو ذر فقال لي فأنت من أنت ؟ قال قلت : أنا الأحنف بن قيس ، قال : قم عني لا أعدك بشرّ ، فقلت له كيف تدعني بشر ؟ قال : إنّ هذا يعني معاوية . نادى مناديه إلا يجالسني أحد»^(١).

قال البلاذري : «فكتب معاوية إلى عثمان فيه ، فكتب عثمان إلى معاوية : أمّا بعد فاحمل جندياً إلى على أغاظ مركب وأوعره ، فوجّه معاوية من سار به الليل والنهار»^(٢).

قال المسعودي : «فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف . فقيل له : إنّك تموت من ذلك . فقال : هيئات لن أموت حتى أنفسي ، وذكر جوامع ماينزل به بعد ومن يتولى دفنه ...

ثم دخل إليه فجلس على ركبتيه وتكلّم بأشياء (؟) وذكر الخبر في ولد أبي العاص إذا بلغوا ثالثين رجلاً اخذوا عباد الله خولاً ومرّ في الخبر بطوله وتكلّم بكلام كثير»^(٣).

وذكر البلاذري قول قتادة : «تكلّم أبو ذر بشيء كرهه عثمان فكذبه . أقول : سأ يأتي في كلام الجاحظ ما كتبه البلاذري وكراهه عثمان . فقال : ما اظننت أنّ أحداً يكذبني بعد قول رسول الله ﷺ : (ما أفلت الغبراء ولا أطبقت الخضراء

(١) طبقات ابن سعد ٤ ق ١ / ١٦٨.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤٣.

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٢٩ تـ محمد محي الدين عبد الحميد.

على ذي لحمة أصدق من أبي ذر). ثم سيره إلى الربذة فكان أبو ذر يقول : ما ترك الحق لي صديقاً ، فلما سار إلى الربذة قال : ردي عثمان بعد الهجرة اعرابياً^(١).

وفي حديث الجاحظ في كتاب السفيانية في رواية الواقدي : «أن أبو ذر لما دخل على عثمان قال له : لا أنعم الله بك عيناً يا جنيدب ، فقال أبو ذر : أنا جنبد وسماني رسول الله ﷺ عبد الله فاخترت اسم رسول الله ﷺ الذي سماني به على اسمي. فقال له عثمان : أنت الذي تزعم أنا نقول يد الله مغلولة وان الله فقير ونحن أغنياء؟ فقال أبو ذر : لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتם مال الله على عباده ، ولكنني أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجالاً جعلوا مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، ودينه دخلاً).

قال عثمان لمن حضر : أسمعتموها من رسول الله؟ قالوا : لا ، قال عثمان : ويلك يا أبو ذر أتكذب على رسول الله. فقال أبو ذر لمن حضر : أما تدرؤن أني صدقت؟ قالوا : لا والله ما ندري. فقال عثمان : أدعوا لي علياً ، فلما جاء قال عثمان لأبي ذر : أقصص عليه حديثك في بني أبي العاص ، فأعاده. فقال عثمان لعلي عليه السلام : أسمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال : لا وقد صدق أبو ذر. فقال : كيف عرفت صدقه؟ قال : لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما أطلت الحضرة ولا أقلت الغبراء من ذي لحمة أصدق من أبي ذر). فقال من حضر : أما هذا فسمناه كلنا من رسول الله ﷺ. فقال أبو ذر : أحدثكم أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ فتتهمنوني ، ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد ﷺ»^(٢).

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤٤.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٧٧ ط مصر الأولى.

وقد منعه عثمان من الفتيا والحديث بل حضر حتى مجالسته ، لكنه لم يعبأ بذلك كله ، فقال كما أخرج البخاري : « وقال أبو ذر : لو وضعتم الصمصامة على هذه . وأشار إلى قفاه . ثم ظنت أنني أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه (والله) وسلم قبل أن تجيزوا علي لأنفذها»^(١) .

وفي حديث المسعودي في مروج الذهب^(٢) وقد ساق خروج أبي ذر وتوديع الإمام له وما جرى له مع مروان قال : « فلما رجع علي استقبله الناس فقالوا له : إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشيعك أبا ذر ، فقال علي : عَصَبَ الْحِيلَ عَلَى

(١) صحيح البخاري ١ / ٢١ ط بولاق في كتاب العلم بباب العلم قبل القول .
أقول : لم يذكر البخاري تمام ما قاله أبو ذر ، وغضّ الطرف عن سبب ذلك لما فيه من تحرير وتحريج . وإليك ما قاله أبو ذر برواية حميد بن زنجويه في كتابه الأموال . وهذا من معاصرى البخاري ، فإنه مات سنة ٢٥١ قبل وفاة البخاري بخمس سنين . روى في كتابه الأموال برقم ١٥٧٨ / ٨٩٢ ط مركز الملك فيصل سنة ١٤٠٦ هـ بسنته عن أبي ذر أن رجلاً أتاه فقال : إن مصدّقي رسول الله ﷺ أتّونا فصادقونا ثمّ أتانا مصدّقو (أبا بكر)
صادقونا كما صادقا مصدّقو رسول الله ﷺ ثمّ أتانا مصدّقو عمر فصادقونا كذلك . ثمّ أتى مصادّقو عثمان فصادقونا كذلك صدراً من خلافته ، ثمّ ازدادوا علينا ، فأغيب عنهم من مالي بقدر ما ازدادوا علينا ؟ فقال : لا قف بالك عليهم ، وقل : ما كان لكم من حق فخذوه ، وما كان باطلاً فذروه ، مما تعذّروا عليك ، جعل في ميزانك يوم القيمة . وعلى رأسه فتى من قريش فقال : ما نحنا أمير المؤمنين عن الفتيا . قال : أرقى بـ أنت على ؟ فوالذي نفسي بيده ، لو وضعتم الصمصامة هـ هنا ثمّ ظنت أنني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا علي لأنفذها .

وكذلك أخرجه الدارمي في سنه ١ / ١١٢ ط دار المحسن للطباعة سنة ١٣٨٦ هـ موصولاً من طريق الأوزاعي حدثني أبو كثیر . يعني مالك بن مرتد . عن أبيه قال أتى ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى ، وقد اجتمع عليه الناس يستفتونه ، فأتاه رجل فوقف عليه ثمّ قال : ألم تنه عن الفتيا ؟ فرفع رأسه إليه فقال : أرقى بـ أنت على . لو وضعتم فذكـر مثـله .

وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١ / ١٦٠ ط السعادة بمصر .

وأخرجه ابن حجر في فتح الباري ١ / ١٧١ ط مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٧٨ هـ .

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٥٠

الْبُجُمْ : فلَمَّا كَانَ بِالْعَشَرِيْ جَاءَ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلْتَ عَلَى مَا صَنَعْتَ بِمَرْوَانَ ؟ وَلَمْ اجْتَرَأْتَ عَلَيْيِ وَرَدَدْتَ رَسُولِيْ وَأَمْرِيْ ؟ قَالَ : أَمَّا مَرْوَانُ فَأَنَّهُ اسْتَقْبَلَنِي يَرْدِنِي فَرَدَدْتَهُ عَنْ رَدِيْ ، وَأَمَّا أَمْرُكَ فَلَمْ أَرْدُهُ ، قَالَ عُثْمَانَ : أَلَمْ يَلْغُكَ أَيْقَنِيْ خَيْرِ النَّاسِ عَنْ أَبِي ذِرٍ وَعَنْ تَشْيِيعِهِ ؟ فَقَالَ عَلَيْيِ : أَوْ كُلُّ مَا أَمْرَتَنَا بِهِ مِنْ شَيْءٍ نَرِى طَاعَةَ اللَّهِ وَالْحَقِّ فِي خَلَافَهِ اتَّبَعْنَا أَمْرَكَ ؟ بِاللَّهِ لَا نَفْعُلْ .

قَالَ عُثْمَانَ : أَقْدَمَرْوَانَ ، قَالَ : وَمِمَّ أَقْيَدَهُ ؟ قَالَ : ضَرَبْتَ بَيْنَ أَذْنِي رَاحْلَتِهِ وَشَتَمْتَهُ فَهُوَ شَاتِكَ وَضَارِبُ بَيْنَ أَذْنِي رَاحْلَتِكَ . قَالَ عَلَيْيِ : أَمَّا رَاحْلَتِي فَهُوَ تِلْكَ فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهَا كَمَا ضَرَبْتَ رَاحْلَتَهِ فَلِيفَعِلْ . وَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لِئَنْ شَتَمْنِي لَأُشَتَّمِنْكَ أَنْتَ مُثْلَهَا بِمَا لَا أَكْذَبُ فِيهِ ، وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًا .

قَالَ عُثْمَانَ : وَلَمْ لَا يَشْتَمِكَ إِذَا شَتَمْتَهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ عَنِّي بِأَفْضَلِ مِنْهُ ؟
فَغَضَبَ عَلَيْيِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ : أَلِيْ تَقُولُ هَذَا الْقَوْلُ ؟ وَمَرْوَانُ تَعْدِلُنِي ؟
فَأَنَا وَاللَّهِ أَفْضَلُ مِنْكَ ، وَأَبِي أَفْضَلُ مِنْ أَبِيكَ ، وَأَمِي أَفْضَلُ مِنْ أَمِيكَ ، وَهَذِهِ
نَبْلِي قَدْ نَثَلَتْهَا . وَهَلْمَ فَانْشَلَ بَنْبِلِكَ ، فَغَضَبَ عُثْمَانَ وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ ، فَقَامَ وَدَخَلَ دَارَهُ ،
وَانْصَرَفَ عَلَيْيِ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ بَيْتِهِ وَرِجَالُ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى عُثْمَانَ شَكَ إِلَيْهِمْ عَلَيْيَاً وَقَالَ : إِنَّهُ
يَعِيْنِي وَيَظْهَرُ مِنْ يَعِيْنِي يَرِيدُ بِذَلِكَ أَبَا ذِرَ وَعُمَّارَ وَغَيْرَهُمَا . فَدَخَلَ النَّاسُ بَيْنَهُمَا
حَتَّى اصْطَلَحَا وَقَالَ لَهُ عَلَيْيِ : وَاللَّهِ مَا أَرَدْتَ بِتَشْيِيعِ أَبِي ذِرٍ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ... اه»^(١) .

قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ فِي تَتمَةِ حَدِيثِهِ الْأَنْفَ الذَّكْرِ : «فَأَرْسَلَ عُثْمَانَ إِلَى وَجْهِهِ
الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَإِلَى بَنِي أَمِيَّةِ يَشْكُو إِلَيْهِمْ عَلَيْيَاً عَلَيْهِمْ . فَقَالَ الْقَوْمُ : أَنْتَ الْوَالِي
عَلَيْهِ وَإِصْلَاحِهِ أَجْمَلُ ، قَالَ : وَدَدَتْ ذَلِكَ ، فَأَتَوْا عَلَيْيَاً عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : لَوْ اعْتَذَرْتَ إِلَى

(١) مِروْجُ الْذَّهَبِ / ٢٥٠ .

مروان وأتيته ، فقال : كلا ، أَمَا مروان فلا آتىه ولا اعتذر منه ، ولكن ان أحب عثمان أتيته . فرجعوا إلى عثمان فأخبروه ، فأرسل عثمان إليه ، فأتاه ومعه بنو هاشم ، فتكلم علىيَّ عليهما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أَمَا ما وجدت علىيَّ من كلام أبي ذر ووداعه فوالله ما أردت مسأتك ولا الخلاف عليك ، ولكن أردت به قضاء حقه ، وأَمَا مروان فإنه اعترض يريد ردّي عن قضاء حق الله عَزَّوجَلَ فرددته ، ردّ مثلثي مثله . وأَمَا ما كان مني إليك فإنك أغضبني فأخرج الغضب مني ما لم أرده .

فتكلم عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أَمَا ما كان منك إلى فقد وهبته لك ، وأَمَا ما كان منك إلى مروان فقد عفا الله عنك ، وأَمَا ما حلفت عليه فأنت البر الصادق ، فأدْنِ يدك ، فأخذني يده فضمها إلى صدره . فلما نُخضَ قال قريش وبنو أمية لمروان : أَنْتَ رجل ! جبهك علىيَّ وضرب راحتك ، وقد تفانت وائل في ضرع ناقة ، وذيان وعبس في لطمة فرس ، والأوس والخزرج في نسعة ، أفحمل لعليَّ ما أتاك اليك ؟ فقال مروان : والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه»^(١) .

نهاية مرؤوعة ومفزعه :

روى الشيخ المفيد بسنده عن أبي جهضم الأزدي عن أبيه . وذكر حديث تسوير عثمان أبا ذر إلى الشام ثم تسويره من الشام إلى المدينة . إلى أن قال . : « فلما دخل عليه قال له : لا قرَّ الله بعمرو عينا . فقال أبو ذر : والله ما سَمِّيَ أبا وي عمروا ، ولكن لا قرَّ الله من عصاه وخالف أمره وارتكب هواه ، فقام إليه كعب الأحبار فقال له : ألا تتقى الله يا شيخ وتحبب أمير المؤمنين بهذا الكلام ، فرفع أبو ذر عصاً كانت في يده فضرب بها رأس كعب ثم قال : يا بن اليهوديين ما كلامك مع المسلمين فوالله ما خرجت اليهودية من قلبك بعد ، فقال عثمان : والله لا

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٧٥ - ٣٧٦

جعْنِي وَإِيَّاكَ دَارُ ، قَدْ خَرَفْتَ وَذَهَبْتَ عَقْلَكُ ، أَخْرَجْتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدِي حَتَّى
تَرَكْتُهُ قَبْ نَاقَةً بَغْيَرِ وَطَاءٍ ، ثُمَّ اخْسَأْتَهُ بِهِ النَّاقَةَ وَتَعْتَعَوْهُ حَتَّى تَوَصَّلُوهُ الرِّبَّةَ
فَأَنْزَلْتُهُ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْيَسٍ حَتَّى يَقْضِي اللَّهُ فِيهِ مَا هُوَ قَاضٍ ، فَأَخْرَجْتَهُ مُتَعْتَعًا مُوهُنًا
بِالْعَصَمَ ، وَتَقْدِمَ إِنْ لَا يَشِيعَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ عَلَيْهِ الْبَشَّارَةُ فَبَكَى حَتَّى بَلَّ لَحْيَتِهِ بِدَمِهِ ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا يَصْنَعُ بِصَاحِبِ رَسُولِ
اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، ثُمَّ نَهَضَ وَمَعَهُ الْمُحْسِنُ وَالْمُحْسِنُ عَلَيْهِ الْبَشَارَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الْعَبَّاسِ وَالْفَضْلِ^(١) وَقَشْ وَعَبِيدُ اللَّهِ حَتَّى لَحِقُوا أَبَا ذَرٍ فَشَيَّعُوهُ ، فَلَمَّا بَصَرْتُهُمْ
أَبْوَأَ ذَرَ عَلَيْهِ حَنَّ إِلَيْهِمْ وَبَكَى عَلَيْهِمْ وَقَالَ : أَبَيْ وَجَوَهُ إِذَا رَأَيْتَهَا ذَكَرْتَ رَسُولَ
اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَكَلْتُنِي الْبَرَكَةُ بِرَوْيَتِهَا ، ثُمَّ رَفَعَ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : أَحَبْهُمْ وَلَوْ قَطَعْتُ
إِرْبَابًا فِي مُحْبَتِهِمْ مَا زَلَّتْ عَنْهَا ، أَبْتَغَيْ وَجْهَكَ وَالْدَارَ الْآخِرَةِ . فَارْجَعُوا رَحْمَكَمْ
اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَخْلُفَنِي فِيمَا كُنْتُ أَحْسَنَ الْخَلَافَةَ ، فَوَدَعَهُ الْقَوْمُ فَرَجَعُوا وَهُمْ يَكُونُونَ
عَلَى فَرَاقِهِ»^(٢).

٢ - قَالَ أَبْنَ أَبِي الْحَدِيدَ : «وَاقْعَةُ أَبِي ذَرٍ وَإِخْرَاجُهُ إِلَى الرِّبَّةِ أَحَدُ الْأَحْدَاثِ
الَّتِي نَقَمَتْ عَلَى عُثْمَانَ ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْكَلَامُ . يَعْنِي كَلَامَ الْإِمَامِ فِي تَوْدِيْعِهِ
كَمَا مَرَّ . أَبُوبَكْرٌ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوَهِريُّ فِي كِتَابِ السَّقِيفَةِ عَنْ عَبْدِ
الرِّزَاقِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَكْرَمَةَ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا أَخْرَجَ أَبْوَأَ ذَرَ إِلَى الرِّبَّةِ ، أَمْرَ
عُثْمَانَ فَنَوَدَيْ فِي النَّاسِ : أَنْ لَا يَكَلِّمَ أَحَدٌ أَبَا ذَرٍ وَلَا يَشِيعَهُ ، وَأَمْرَ مَرْوَانَ بْنَ
الْحَكَمَ أَنْ يَخْرُجَ بِهِ فَخَرَجَ بِهِ وَتَحَامَاهُ النَّاسُ إِلَّا عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ الْبَشَارَةُ وَعَقِيلًا
أَخَاهُ وَحَسَنًا وَحَسِينًا عَلَيْهِ الْبَشَارَةُ وَعَمَارًا ، فَإِنَّمَا خَرَجُوا مَعَهُ يَشِيعُونَهُ فَجَعَلُ الْمُحْسِنُ عَلَيْهِ الْبَشَارَةَ

(١) لَا يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ أَبْنَ عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ فَإِنَّهُ مَاتَ فِي أَيَّامِ عُمْرِهِ مَاتَ فِي طَاعُونَ عَمْوَاسَ ، بَلْ
هَذَا هُوَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسِ الْهَبِيِّ .

(٢) أَمَالِيُّ الْمَفِيدُ / ٨٩ طِ الْحِيدَرِيَّةُ سَنَةُ ١٣٦٧ هـ .

يُكلِّمُ أبا ذر ، فقلَّ له مروان : إيهَا يا حسن ألا تعلم أنَّ أميرَ المؤمنين قد نهى عن
كلام هذا الرجل ؟ فإنْ كنت لا تعلم فاعلم ذلك ، فحملَ علَيْهِ علَيَّاً علَى مروان
فضربَ بالسوط بين أذني راحلته وقال : تنحِّي نحاكَ الله إلى النار.

فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر ، فتاظى على عليٍّ عليه السلام ووقف
أبو ذر فودعه القوم ومعه ذكوان مولى أم هاني بنت أبي طالب قال ذكوان :
فحفظت كلام القوم وكان حافظاً.

فقال علي عليه السلام : يا أبا ذر إنك غضبت الله ، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينهم ، فامتحنوك بالقليل ونفوشك إلى الفلا ، والله لو كانت السموات والأرض على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً ، يا أبا ذر لا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل .

ثم قال لأصحابه : ودعوا عّمكم وقال لعقيل : ودع أخاك ، فتكلم عقيل فقال :
ما عسى ما نقول يا أبا ذر وأنت تعلم أنا نحبك وأنت تحبنا فاتق الله ، فإن التقوى
نبغاة ، واصير فإن الصير كرم ، واعلم أن استثقالك الصير من الجزء ، واستبطاءك
العلافية من اليأس ، فدع اليأس والجزء .

ثم تكلم الحسن عليه السلام فقال : يا عمّاه لولا أنّه لا ينبعي للموعدّ أن يسكت
وللمسشعّ أن ينصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف وقد أتى من القوم إليك ما
ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكرة فراغها ، وشدة ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها ، واصبر
حتى تلقني نسيك صلوات الله علية وهو عنك راض.

ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال : يا عمه إن الله تبارك وتعالى قادر أن يغير ما قد
ترى ، الله كل يوم هو في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ومنعهم دينك ، فما أغناك
عما منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم ، فاسأله الصبر والنصر ، واستعد به من

الجشع والجزع ، فإن الصبر من الدين والكرم ، وإن الجشع لا يُقْدِم رزقاً ، والجزع لا يؤخر أجلاً.

ثم تكلم عمّار . مغضباً . فقال : لا آنس الله من أوحشك ، ولا آمن من أخافك ، أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك ، ولو رضيت أعمالهم لأحبوك ، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلّا الرضا بالدنيا والجزع من الموت ، ومالوا إلى سلطان جماعتهم عليه ، والملك لمن غالب ، فوهبوا لهم دينهم ، ومنحهم القوم دنياهم ، فخسروا الدنيا والآخرة . ألا ذلك هو الخسران المبين .

فبكى أبو ذر رض . وكان شيخاً كبيراً . وقال : رحمكم الله يا أهل بيته الرحمة ، إذا رأيتم ذكرت بكم رسول الله صل ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم ، إلّي ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام ، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصرين ^(١) فأفسد الناس عليهما فسيّري إلّي بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلّا الله ، والله ما أريد إلّا الله صاحباً ، وما أخشى مع الله وحشة .

ورجع القوم إلى المدينة ، فجاء على إلّي عثمان ، فقال له ما حملك على رد رسولي وتصغير أمري ؟

قال على إلّي عليه السلام أّمّا رسولك فأراد أن يردد وجهي فرددته ، وأّمّا أمرك فلم أصغره .

قال : أّمّا بلّغت نحيي عن كلام أبي ذر ؟ قال : أو كلّما أمرت بأمر معصية أطعنك فيه ؟

(١) يريد بهما الكوفة والبصرة ، فقد كان واليه على الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخاً عثمان لأمه ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر وهو ابن خاله .

قال عثمان : أقد مروان من نفسك ، قال : ممّذا؟ قال : من شتمه وجذب راحلته . قال : أقما راحلته فراحتي بها ، وأقما شتمه إياي فواهلا لا يشتمني شتمة إلا شتمتك مثلها ، لا أكذب عليك ، فغضب عثمان وقال : لم لا يشتمك كأنك خير منه ؟ قال عليّ : إيه والله ومنك ، ثم قام فخرج^(١) .

٣ . قال الواقدي : ثم إنّ عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلّموه ، فمكث كذلك أيامًا ، ثمّ اتى به فوقف بين يديه . فقال أبو ذر : وبحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبا بكر وعمر ، هل هديك كهديهم ؟ أما إنك لتبطش بي بطش جبار ، فقال عثمان : أخرج عنا من بلادنا فقال أبو ذر : ما أبغض إلى جوارك فإلى أين أخرج ؟ قال : حيث شئت ، قال : أخرج إلى الشام أرض الجهاد ، قال : إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها أفارادك إليها ؟ فأخرج إلى العراق ؟ قال : لا ، إنك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولى شقة وطعن على الأئمة والولاة . قال : فأخرج إلى مصر ؟ قال : لا . قال : فإلى أين أخرج ؟ قال : إلى البادية قال أبو ذر : أصیر بعد الهجرة أعرابياً ؟ قال : نعم . قال أبو ذر فأخذ إلى بادية نجد ؟ قال عثمان : بل إلى الشرق الأبعد أقصى فأقصى ، امض على وجهك هذا فلا تدعون الربدة ، فخرج إليها^(٢) .

فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره ، إذ طلع عليه ابن أبي طالب رض ومعه إباه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمّار بن ياسر فاعتراض مروان فقال : يا عليّ إنّ أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيرة ويشيعوه ، فان كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك ، فحمل عليه عليّ بن أبي طالب بالسوط بين

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٧٥ ط مصر الأولى.

(٢) نفس المصدر ٢ / ٣٧٧ .

أذني راحلته وقال : تناخ نحّاك الله إلى النار ، ومضى مع أبي ذر فشيّعه ثم دعاه
وانصرف فلما أراد الانصراف بكى أبو ذر وقال : رحمكم الله أهل البيت إذا
رأيتكم يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله ﷺ .

ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر رض لما أخرج إلى الربذة : « يا أبا ذر إِنَّك
غضبت لله فارج من غضبت له ، إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَا هُمْ وَخَفْتُهُمْ عَلَى
دِينِكَ ، فَاتَّرَكَ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ، وَاهْرَبَ مِنْهُمْ بِمَا خَفْتُهُمْ عَلَيْهِ ، فَمَا
أَحْوَجُهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتُهُمْ ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعْوْكَ وَسَعْلَمْ مِنْ الرَّابِحِ غَدَّاً ،
وَالْأَكْثَرُ حَسَداً ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا عَلَى عَبْدِ رَتْقَاءِ ثُمَّ أَتَقَى اللَّهُ لَجْعَلَ
اللَّهُ مِنْهُمَا مَخْرِجاً ، لَا يُؤْنِسُكَ إِلَّا الْحَقُّ ، وَلَا يُوْحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ ، فَلَوْ قَبَّلَتَ
دُنْيَا هُمْ لَأَحْبَبَوكَ ، وَلَوْ قَرْضَتَ مِنْهَا لَأَمْنَوْكَ ... »^(١) . وإلى تمام الحديث في
النهاية المروعة .

وفي نهاية المطاف كانت مأساة وفاته بالربذة ، وحديثها فيما رواه ابن سعد
في طبقاته بسنده قال : « لِمَا نَفِي عَثْمَانَ أَبَا ذَرَ إِلَى الْرَّبِذَةِ وَأَصَابَهُ فِيهَا قَدْرَهُ ، وَلَمْ
يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا إِمْرَأَتُهُ وَغَلَامُهُ ، فَأَوْصَاهُمَا أَنْ أَغْسِلَا نِيَّةَ وَكَفَنَا نِيَّةَ وَضَعَا نِيَّةَ عَلَى
قَارِعَةَ الطَّرِيقِ ، فَأَوْلَ رَكْبَ يَمِّرَّ بِكَمْ فَقُولُوا هَذَا أَبُو ذَرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَعْيَنُونَا عَلَى دُفْنِهِ فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ ، ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةَ الطَّرِيقِ ، وَأَقْبَلَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرَاقِ عُمَّارًا فَلَمْ يَرْعِهِمْ إِلَّا بِالْجَنَازَةِ عَلَى
ظَهَرِ الطَّرِيقِ قَدْ كَادَتِ الإِبْلُ أَنْ تَطَأَهَا ، فَقَامَ إِلَيْهِ الْغَلَامُ فَقَالَ هَذَا أَبُو ذَرٍ صَاحِبُ
رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْيَنُونَا عَلَى دُفْنِهِ ، فَاسْتَهَلَ عَبْدُ اللَّهِ يَكْيِي وَيَقُولُ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ
تَمَشِّي وَحْدَكَ وَتَمَوتُ وَحْدَكَ وَتَبْعَثُ وَحْدَكَ ، ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَوَارُوهُ ،

(١) نفس المصدر / ٣٧٤ .

ثم حديثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك «^(١)».

٤ . وروى البلاذري : « ائنَّه لِمَا بَلَغَ عُثْمَانَ مَوْتَ أَبِيهِ ذَرَ بِالرِّبَذَةِ قَالَ : رَحْمَهُ اللَّهُ ، فَقَالَ عُمَّارُ بْنُ يَاسِرَ : نَعَمْ فَرَحْمَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ أَنفُسِنَا ، فَقَالَ عُثْمَانَ : يَا عَاصِ أَبِيهِ أَتَرَانِي نَدَمْتُ عَلَى تَسْيِيرِهِ ؟ وَأَمْرَ فَدْعُفَ فِي قَفَاهِ ، وَقَالَ : إِلْحَقْ بِمَكَانِهِ ، فَلَمَّا تَهِيَّأَ لِلْخُرُوجِ جَاءَتْ بَنُو مَخْزُومٍ إِلَى عَلَيِّ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَكْلُمَ عُثْمَانَ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلَيِّ : يَا عُثْمَانَ أَتَقْ أَنْهُ إِنَّكَ سَيِّرْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَهَلَكَ فِي تَسْيِيرِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ الآنَ تَرِيدُ أَنْ تَنْفِي نَظِيرَهُ وَجْرِي بَيْنَهُمَا كَلَامًا (؟) حَتَّى قَالَ عُثْمَانَ أَنْتَ أَحْقَ بِالنَّفِيِّ مِنْهُ ، فَقَالَ عَلَيِّ : رُمْ ذَلِكَ إِنْ شَئْتَ .

واجتمع المهاجرون فقالوا : إن كنت كلما كلمك رجل سيرته ونفيته ، فإن هذا شيء لا يسوع ، فكف عن عمار»^(٢) .

٣ . عُمَّارُ بْنُ يَاسِرَ :

(مَلِيءُ إِيمَانًا مِنْ قَرْنَهِ إِلَى قَدْمَهِ ، وَاخْتَلَطَ الإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ)^(٣) كَمَا في حديث ابن عباس عن النبي ﷺ . وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا : (إِنَّ عُمَارًا مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقِّ مَعَ يَدِورِ عُمَارَ مَعَ الْحَقِّ أَيْنَمَا دَارَ وَقَاتَلَ عُمَارَ فِي النَّارِ)^(٤) .

وروى البلاذري من حديث أبي مخنف بإسناده قال : كان في بيت المال بالمدينة سقط فيه حلبي وجواهر فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله ، فأظهر

(١) طبقات ابن سعد ٤ ق ١ / ١٧٣ .

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤٤ تَحْ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ بَيْرُوتٍ .

(٣) أنظر تفسير الرمخشري والرازي والخازن والبيضاوي واللوسي في تفسير قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِإِيمَانٍ﴾ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣ / ١٨٧ .

الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوا ، فخطب فقال :
لأنخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام .

وفي رواية البلاذري عن الزهري قال : هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه
من شئت ، فأرغم الله أనف من رغم . فقال عليٌّ . كما في حديث أبي مخنف
السابق . إذاً ثمّع من ذلك ويُحال بينك وبينه .

وقال عمّار بن ياسر : أشهد الله أنّي أول راغم من ذلك .

قال عثمان : أعلى يا بن المتكاء^(١) تحرئ ؟ خذوه ، فأخذ ودخل عثمان
فدعاه فضرره حتى غشي عليه ثمّ أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة زوج
رسول الله ﷺ فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب ، فلما أفاق توضأ وصلّى وقال :
الحمد لله ليس هذا أول يوم أوذينا فيه في الله .

وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي . وكان عمّار حليفاً لبني مخزوم .
قال : يا عثمان أّما علىٰ فاتقيته وبني أبيه . وأّما نحن فاجترأت علينا وضررت أخانا
حتى أشفيت به على التلف ، أّما والله لعن مات لأقتلن به رجلاً من بني أمية عظيم
السرّة . قال عثمان : وإنك له هنا يا بن القسرية ، قال : فإنّما قسّرتان . وكانت أمه
وجدته قسّرتين من بحيلة . فشتمه عثمان وأمر به فأخذ ، فأتى أم سلمة وإذا
هي غضبت لعمّار .

(١) المتكاء . البظراء فحش لا ينبغي لمثل عثمان في سنّه و شأنه أن يقوله ، ولكن ييدو أنّه
كان يستمرّ الفحش فقد مرّ قوله لعمّار أيضاً يا عاصي أيّر أبيه . وهذا يأبى التصديق
بما يصفه به علماء التفخيم ورواة المناقب بأنّه كان حيّاً فain الحباء من قائل هذا
الفحش ؟ ولقد أنكر الزهري حديث تستحي منه الملائكة فقد روى عبد الرزاق في
المصنف ١١ / ٢٣٣ حديث عائشة ودخول أبي بكر وعثمان متعاقبين وهي مع
النبي ﷺ في مطر واحد وانه ﷺ أصلح عليه ثيابه وجلس لما دخل عليه عثمان فسألته
عن ذلك فقال أن عثمان رجل حي قال الزهري : وليس كما يقول الكاذبون : ألا تستحي
من رجل تستحي منه الملائكة .

وبلغ عائشة ما صنع بعمّار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ
وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثم قالت : ما أسرع ما تركتم سنة نبّيكم وهذا شعره
وثوبه ونعله لم يبل بعد.

وفي رواية أبي هلال العسكري في كتابه الأول أكّها قالت له : «إنك بريء
من صاحب هذه الحجرات. فقال عثمان : من لي بهذه الحميراء ، أكّها من شر بيت
من قريش»^(١).

وقال عمرو بن العاص . كما في حديث الزهري . : «هذا منبر نبّيكم
وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبل فيكم وقد بدلتم وغيرتم فغضب عثمان
غضباً شديداً حتى مادرى ما يقول ، فارتّج المسجد وقال الناس سبحان الله
سبحان الله».

واغتنمها عمرو بن العاص وقد كان عثمان قال لعمرو قبل ذلك وقد عزله
عن مصر : إن اللقاح بمصر قد درت بعده أبداً ، فقال : لأنكم أعجفتم أولادها
فقال له عثمان : قملت جبتك مذ غزلت عن مصر ، فقال : يا عثمان إنك قد ركبت
بالناس نهابير وركبوها بك فإنما أن تعدل وإنما أن تعتزل ، فقال : يا بن النابغة وأنت
أيضاً تتكلم بهذا لأنني عزلتك عن مصر وتوعّدك.

قال أبو مخنف في حديثه : وبلغ عثمان مصر هشام بن الوليد ومن مشى معه
من مخزوم إلى أم سلمة وغضبها لعمّار فأرسل إليها : ما هذا الجمع ؟ فأرسلت إليه :
دع ذا عنك يا عثمان ولا تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون. واستقبح الناس
فعله بعمّار ، وشاع فيهم فاشتد انكارهم له^(٢).

(١) الأول / ١٣٣ ط دار المعرفة.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٣٧ . ٥٣٨ . ٥٨٠ و ٥٨١ .

وذكر الحبّ الطبرى في الرياض النصرة في الطعن الثاني عشر : «ان أصحاب رسول الله ﷺ اجتمع منهم خمسون رجلاً من المهاجرين والأنصار فكتبوا أحداث عثمان وما نقموا عليه في كتاب ، وقالوا لعمّار أوصل هذا الكتاب إلى عثمان ليقرأه فعله يرجع عن هذا الذي ينكر ، وخوّفوه فيه بآنه إن لم يرجع خلعوه واستبدلوا غيره.

قالوا : فلما قرأ عثمان الكتاب طرّه ، فقال له عمّار : لا ترم بالكتاب وانظر فيه فإنه كتاب أصحاب رسول الله ﷺ وأنا والله ناصح لك وخائف عليك ، فقال : كذبت يا بن سمية ، وأمر غلامنه فضريوه حتى وقع لجنبه وأغمي عليه وزعموا آنه قام بنفسه فوطأ بطنه وما ذاكيره حتى أصابه الفتى وأغمى عليه أربع صلوات ، فقضتها بعد الأفacaة واتخذ لنفسه تباناً تحت ثيابه ، وهو أول من لبس التبان لأجل الفتى ، فغضب لذلك بنو مخزوم وقالوا والله لئن مات عمّار من هذا لنقتلن من بني أمية شيخاً عظيماً يعنون عثمان ، ثمّ أن عمّاراً لزم بيته إلى أن كان من الفتنة ما كان ... اه»^(١).

وهذا ذكره أيضاً البلاذري في أنسابه بصورة مختصرة ، وذكر من أسماء الساخطين الذين كتبوا الكتاب مضافاً إلى عمّار المقداد وطلحة والزبير في عدة من أصحاب رسول الله ﷺ^(٢) ، وسنأتي على معرفة موافقهم بعد ذلك.

٤ . عائشة أم المؤمنين :

لعل الكثير من الناس الذين لا يعلمون سبب النفرة بين عائشة وعثمان ، وكلّ ما عرفوه عنهما ، أكانت تشّع عليه في حياته كثيراً ، ثمّ صارت مطالبة بدمه بعد موته.

(١) الرياض النصرة ٢ / ١٤٠ .

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٣٩ .

أمّا لماذا كانت قبل ذلك كذلك؟ ولماذا صارت بعد ذلك كذلك؟ فقد لا يعرفون جواب ذلك. وهو باختصار، إنّما هو المال أولاً وأخيراً. فقد كان عمر بن الخطاب قد فضل عائشة وحفصة وأم حبيبة على بقية نساء النبي ﷺ في العطاء ففرض للثلاثة في اثنى عشرة والباقية أمّهات المؤمنين ستة آلاف سيدة آلاف ولصفية وجويرية في خمسة آلاف خمسة آلاف^(١).

وهذا التفضيل لا يخلو من التدليل على مدى التوافق في السلوك المرضي لعمر ، خصوصاً إذا عرفنا أن عائشة وحفصة كانتا من حزب واحد على عهد رسول الله ﷺ كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه عن عائشة : «إنّ نساء النبي ﷺ كن حزبين ، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ ... اه»^(٢).

ولم يغب عن الذاكرة ما مرت في فترة بين عهدين عن المرأةتين من مواقف خدمت الخالفين بعد النبي ﷺ .

قال اليعقوبي في تاريخه : «وكان بين عثمان وعائشة منافرة ، وذلك أّنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب وصيّرها أسوة غيرها من نساء رسول الله ﷺ . ونادت يا معاشر المسلمين هذا جلبـاب رسول الله ﷺ لم يبل وقد أبلـى عثمان سنته. فقال عثمان : رب اصرف عني كيدهن إنّ كيدهن عظيم ... اه»^(٣).

(١) تاريخ اليعقوبي ١ / ١٣٠ ط الغري.

(٢) صحيح البخاري كتاب الهبة باب من أهدى إلى صاحبه وتحري بعض نسائه دون بعض ٣ / ١٥٦ ط بولاق.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٢ .

وقد مرّ بنا في معرفة الوسائل ما حکاه المجلسي عن تاريخ الطبری وتاريخ الثقفی أن عائشة جاءت إلى عثمان فقالت أعطني ما كان يعطیني أبي عمر ، قال : لا أجد له موضعًا في كتاب الله ولا في السنة ، ولكن كان أبوك عمر يعطيك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل . قالت : فاعطيني میراثي من رسول الله ﷺ ، قال : أو لم تجئ فاطمة تطلب میراثها من رسول الله ﷺ فشهدت أنت ومالك بن أوس النضري : أن النبي ﷺ لا يورث ، وأبطلت حصة فاطمة ، وجئتني تطلبني لا أفعل^(۱) . فكان تنقيص العطاء ، هو بدء العناء ، وبالتالي انتهى إلى مزيد من البلاء ، وهو مما حمل العقاد على نقد موقف عثمان في ذلك فقال : جاء الخطأ الأول في هذه السياسة من القائمين بالأمر في حكومة عثمان ، وكان خطأً عجيباً حقاً ، لأنه لا يفهم على وجهه من وجوه المصلحة ، ولا تدعوه إليه ضرورة من ضرورات الدولة ، وعني به نقص العطاء الذي كان مقدوراً للسيدة عائشة في عهد الفاروق ، أعدل من لاحظ العدل في تقسيم الأعطيه على حسب المراتب والحقوق أن نقص عطاء السيدة كان يكون سائغاً عندها وعنده المسلمين والمسلمات إذا دعت إليه حاجة في خزانة الدولة ، ولكنه لا يسوغ ولا تستريح إليه النفس ، والأموال تتتدفق على خزانة الدولة بالآلاف التي يحאר فيها الإحصاء ، وغناائم افريقية وحدها تبلغ مليونين ونصف مليون من الدنانير ، فيعطي خمسها لبنت الخليفة وزوجها مروان ابن الحكم ، وغير ذلك من القطاع والأعطيه التي يخص بها القرىات والقرىين ولا يضبط لها حساب^(۲) .

(۱) بحار الأنوار ۸ / ۳۲۰ ط الكمباني الحجري.

(۲) الصديقة بنت الصديق / ۱۳۸ سلسلة الـھلال.

والآن وقد عرفنا الجواب ، كان من الطبيعي أن تستغلّ عائشة الأحداث التي أديت فيها عثمان ، فيرتفع صوتها معلنًا سخطها تضامنًا مع الساخطين حتى صارت من أشدّ المحرّضين ، وإلى بعض مواقفها :

١ . لما استدعي ابن مسعود من الكوفة إلى المدينة فدخل المسجد وعثمان على المنبر فقال في ابن مسعود منكراً من القول ، وما كان ينبغي له ، قال : « وهي سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلخ ». فنادته عائشة : « أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ ، وقد مرّ بنا ذكر ابن مسعود في أول قائمة الساخطين .

٢ . موقفها في حادثة سكر الوليد بن عقبة والتي عثمان بالكوفة وخرج الشهود إلى عثمان يشكّونه فلم يشكّهم بل ضرب بعض الشهود أسواطاً ، فأتى الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان ، وأنه زيرهم فنادت عائشة : إن عثمان أبطل الحدود وتوعّد الشهود . كما مرّ في أسباب السخط . وإن الشهود إنما جاؤوا إلى بيت عائشة لأن عثمان توعّدهم بالتنكيل بهم .

فقد روى أبو الفرج في الأغاني عن الزهري قال : « خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد فقال : أكلّما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل ؟ لئن أصبحت لأنكليّن بهم . فاستجاروا بعائشة ، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة ، فقال : أما يجد مراق اهل العراق وفساقهم ملجاً إلا بيت عائشة فسمعت فرفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت : تركت سنة رسول الله ﷺ صاحب هذا النعل .

فتSAMع الناس فجأة حتى ملأوا المسجد ، فمن قائل : أحسنت ، ومن قائل ما للنساء لهذا ؟ حتى تachsenوا وتضاربوا بالنعال»^(١).
وقال البلاذري في حديثه : «إن عائشة أغاظت لعثمان ، وأغلظ لها وقال : وما أنت وهذا ؟ إنما أمرت أن تقرئي في بيتك . فقال قوم مثل قوله ، وقال آخرون : ومن أولى بذلك منها ، فاضطربوا بالنعال ، وكان ذلك أول قتال بين المسلمين بعد النبي ﷺ»^(٢).

٣ . موقفها من حادثة ضرب عمّار حتى أغمي عليه وفاته أربع صلوات
بلغ ذلك عائشة فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه
ونعلاً من نعاله ثم قالت : ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم
يبل بعده . كما مرّ في ذكر عمّار من الساخطين .

٤ . موقفها من حصار عثمان فقد روى البلاذري وقال : «وحاصر الناس
عثمان وأجلب محمد بن أبي بكر ببني تميم وغيرهم ، وأعانه على ذلك طلحة بن
عبيد الله ، وكانت عائشة تقرصه كثيراً»^(٣) .

٥ . موقفها وقد استنجد بها عثمان وهو محصور فارسل إليها مروان بن
الحكم وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فأتيها وهي تريد الحج فقال لها : لو
أقمت فلعل الله يدفع بك عن هذا الرجل ، فقالت : قد قررت ركابي وأوجبت
الحج على نفسي والله لا أفعل . فنهض مروان وصاحبها ومروان يقول :
حتى إذا أضطرمت أحذما وحرق قيس على بلاد

(١) الأغاني ٤ / ١٨٠.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٢٢.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٥٧.

فقالت عائشة : يا مروان وددت والله أنت في غرارة من غرائي هذه ، وأين طوّقت حمله حتى ألقيه في البحر. هذا ما رواه البلاذري في الأنساب^(١). إلا أن ابن سعد روى في الطبقات أن عائشة قالت : «أيتها المتمثل علىي بالأشعار وددت أنت وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كل واحد منكم رحى وأنكم في البحر ، وخرجت إلى مكة»^(٢).

٦ . موقفها مع ابن عباس وقد ولاه عثمان الموسم ، فقد روى البلاذري في الأنساب قال : «ومر عبد الله بن عباس بعائشة . وقد ولاه عثمان الموسم . وهي بمنزل من منازل الطريق فقالت : يا بن عباس إن الله قد آتاك عقلاً وفهمًا وبياناً ، فإياك أن تردد الناس عن هذا الطاغية»^(٣).

وفي حديث الطبرى في تاريخه قال : «فمر بعائشة في الصلصل فقالت : يا ابن عباس أنشدك الله فإنك قد أعطيت لساناً إزعاجاً. أي ذلك؟ أن تخذل عن هذا الرجل وأن تشکك فيه الناس ، فقد بانت لهم بصائرهم ، وأنجحت ورفعت لهم المنار ، وتحلّبوا عن البلدان لأمر قد حمّ. وقدرأيت طلحة بن عبيد الله قد اخذه على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح ، فان يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر.

قال : يا أمي لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا.

فقالت : إيها عنك ، إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتكم»^(٤).

٧ . موقفها في مكة المكرمة : قال البلاذري في الأنساب : «وكانت عائشة تؤلب على عثمان فلما بلغها أمره وهي بمكة أمرت بقبتها فضررت في

(١) نفس المصدر / ٥٦٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٥.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٦٥.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٤٠٧.

المسجد الحرام وقالت : إِنِّي أَرَى عُثْمَانَ سِيشَامَ قَوْمَهُ كَمَا شَاءَ أَبُو سَفِيَانَ قَوْمَهُ
يَوْمَ بَدْرٍ»^(١).

٨ . وَأَخْرِيًّا مَوْقِهَا فِي شَرَافِ فِي الطَّرِيقِ عَنْدَ عُودَتِهَا مِنَ الْحَجَّ وَقَدْ بَلَغَهَا
مَقْتُلُ عُثْمَانَ فَقَالَتْ : «بَعْدًا^(٢) لِعَثْلَ وَسَحْقًا ، وَقَالَتْ : أَبْعَدَهُ اللَّهُ ذَلِكَ بِمَا قَدِمَتْ يَدَاهُ
وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ^(٣) وَقَالَتْ : أَبْعَدَهُ اللَّهُ قَتَلَهُ ذَبْهَ وَأَقَادَهُ اللَّهُ بِعَمَلِهِ . يَا مُعْشَرَ قَرِيشٍ
لَا يَسُوْمِنُكُمْ قَتْلُ عُثْمَانَ كَمَا سَامَ أَحْمَرَ ثَمُودَ ...»^(٤) ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاقِفِ
الَّتِي أَثَارَتِ الْغَضَبَ عَلَى عُثْمَانَ حَتَّى أَكَّا فِيمَا رَوَى الرَّوَاةُ قَالُوا : «أَوْلُ مَنْ سَمِّيَ
عُثْمَانَ نَعْثَلًا عَائِشَةُ وَكَانَتْ تَقُولُ : اقْتُلُو نَعْثَلًا قُتْلَ اللَّهُ نَعْثَلًا»^(٥) .

بَقِيَ الْكَلَامُ عَنْ مَوْقِفِ طَلْحَةَ ، وَهَذَا سِيَّئَتِي فِي قَائِمَةِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ حَظِيُوا
مِنْ عُثْمَانَ بِالْحَبَاءِ وَالْعَطَاءِ وَلَمْ يَحْسِنُوا لِهِ الْجَزَاءِ .

أَمَّا الْكَلَامُ عَنْ مَوْقِفِ الْإِمَامِ عَلَيِّ عَلِيِّلًا فَكَذَلِكَ يَأْتِي فِي مَوْقِفِ بْنِ هَاشِمٍ
مِنْ عُثْمَانَ .

وَهَذِهِ هِيَ الْأَسْمَاءُ الْوَارِدَةُ فِي قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسِيبِ ، أَمَّا مَا وَرَدَ عَنْدَ غَيْرِهِ ،
فَقَدْ عَرَفْنَا مِنْ خَلَالِ مَعْرِفَةِ مَوَاقِفِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي ذَرٍ وَعُمَّارٍ وَعَائِشَةَ الْأَنْفَةَ
الَّذِي كُرِّبَ مُجْمُوعَةُ أَسْمَاءِ وَقَبَائِلِ سُخْطَتْ وَلَاهِيَةُ عُثْمَانَ وَوَلَاتِهِ .

فَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّ بْنِي هَذِيلَ وَبْنِي زَهْرَةَ وَبْنِي غَفَّارَ وَأَحْلَافَهُمَا كُلُّهُمَا غُضِبَتْ لَمَّا
جَرِيَ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي ذَرٍ .

(١) أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ ١ ق ٤ / ٥٨٣ .

(٢) أَنْظُرْ شِرْحَ النَّهَجِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ / ٧٧ .

(٣) نَفْسُ الْمَصْدَرِ .

(٤) نَفْسُ الْمَصْدَرِ .

(٥) نَفْسُ الْمَصْدَرِ .

وعرفنا أنّ بني مخزوم كذلك حنقت على عثمان لحال عمّار حتى قالوا لئن مات عمّار لنقتلن به رجلاً من بني أمية. وكانوا يعنون به عثمان.

وعرفنا سخط الشهود الوفادين من الكوفة يشهدون على الوليد أفعاله المكرونة وما لحقهم من وعید عثمان حتى استجاروا بعائشة.

وعرفنا ثمة سبعمائة وفداً أهل مصر جاءوا يشكرون ما يلقون من ظلم ابن أبي سرح.

وعرفنا ثمة أناس من أهل المدينة أيدوا عائشة في استنكارها فعل عثمان مع أهل العراق، واضطربوا بالنعال مع أنصار عثمان وكان ذلك أول قتال بين المسلمين.

وعرفنا سخط بني تيم وغيرهم من أجلب لهم محمد بن أبي بكر، وأعانه طلحة بن عبيد الله ومن ورائهم عائشة حيث كانت تقرص عثمان كثيراً.

وعرفنا أنّ المهاجرين اجتمعوا على عثمان فأنكروا عليه صنعه مع عمّار.

وعرفنا أنّ خمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار كتبوا أحداث عثمان وما نقموا عليه، منهم المقداد وطلحة والزبير.

وأخيراً عرفنا أنّ الناس استقبحوا ما فعله بعمّار وشاع فيهم فاشتد إنكارهم له.

ولم يكن الساخطون من ذكرناهم فقط، بل هناك آخرون كثيرون حتى جاء في حديث الواقدي : ولا ينكر ما يقال فيه إلا نفّير. وجاء في حديث المسعودي : وغير هؤلاء ممن لا يحمل كتاباً ذكره ، فلنقرأ ما قاله الواقدي والمسعودي.

قال الواقدي بإسناده : «لما كانت سنة ٣٤ كتب أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض يتشاركون سيرة عثمان وتغويره وتبديله ، وما الناس فيه من عماله ويكترون عليه ، ويسأل بعضهم أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد . ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يدفع عن عثمان ، ولا ينكر ما يقال فيه (إلا نفير منهم) ^(١) زيد بن ثابت وأبوأسيد الساعدي وكتب بن مالك بن أبي كعب منبني سلمة من الأنصار وحسان بن ثابت الأنباري» ^(٢) .

وقال المسعودي في مروج الذهب في حديث حصار الشوار ومقتل عثمان بداره : «وأحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان ، فأبى أن يتخلّى عنه ، وفي الناس بنو زهرة لأجل عبد الله بن مسعود لأنّه كان من أخلافها ، وهذيل لأنّه كان منها ، وبنو مخزوم وأخلافها لعمّار ، وغفار وأخلافها لأجل أبي ذر ، وتيم بن مرّة مع محمد بن أبي بكر وغير هؤلاء ممّن لا يحمل كتابنا ذكره» ^(٣) .

قال طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى عثمان : «فسياسة عثمان في العزل والتولية لم تكن ملائمة للعهد الذي أعطاه ، وليس من شك في أنّ الذين ضاقوا بهؤلاء العمال وثاروا عليهم ونقموا من عثمان توليتهم لم يكونوا مخطفين» ^(٤) .

فالآن إلى معرفة مواقف عثمان من الساخطين :

ونقتصر أولاً على ذكر موقفه من الصحابة ، ثم نتبعه بموقفه من بني هاشم ، أمّا موقفه من سائر الناس الساخطين فسيأتي عند ذكر مأساة الحصرين.

(١) في الطبرى وابن الأثير والنويرى.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤٩ ، و تاريخ الطبرى ٤ / ٣٣٦ .

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٥٣ تـ محمد محى الدين عبد الحميد ط مصر.

(٤) الفتنة الكبرى ١ / ١٨٩ ط دار المعارف.

مواقف سنّمارية من بعض الصحابة :

لقد كان من أسباب السخط على عثمان عزله كبار الصحابة عن مراكزهم القيادية ، وتوليتها أحداث بني أمية ، فتقم الناس ذلك عليه ، وزاد في الكراهيّة انقطاع درّ الحلوة عمّن كانوا يرتضونها حيث وفرة العطاء والإقطاع على حساب المسلمين ، ولما كان إحسان عثمان لمن أغدق عليهم في غير محلّه ، لذلك انقلب الحباء والعطاء إلى سخط وجفاء ، فقبول على ذلك بعدم الوفاء وهكذا تكون الخدمات مهدورة ، ما دامت الصحبة على غير تقى .

والآن إلى معرفة من جباهم وأعطاهم ، ثم قلاهم وتبصير أصح هم كافوه شرّ مكافأة :

أولاً . أبناء عمر بن الخطاب (عبيد الله . عبد الله . حفصة) :

ذكر ابن سعد في الطبقات : «فَلَمَّا ظنَ عُمَرَ رَأَيْهِ الْمَوْتَ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَمِيرَ أَنْظِرْنِي إِلَيْكُمْ مِنَ الدِّينِ؟ قَالَ: فَحَسِبَهُ، فَوُجِدَتْ سَتَةُ وَمِائَةٍ أَلْفَ دَرْهَمٍ، قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنْ وَقَيْتَ لَهَا مَالَ آلِ عُمَرَ فَأَذْهَبَهَا عَنِّي مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِنْ لَمْ تَفْتَحْ أَمْوَالَهُمْ فَاسْأَلْ فِيهَا بْنَ عَدَيْ بْنَ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْتَحْ أَمْوَالَهُمْ فَاسْأَلْ فِيهَا قَرِيشًا وَلَا تَعْدُهُمْ إِلَيْ غَيْرِهِمْ»^(١).

وكان عمر إذا احتاج إلى صاحب بيت المال فأستقرضه فربما أسرر فيأتيه صاحب بيت المال يتقادره فيلزمه فيحتال له عمر ، وربما خرج عطاوه فقضاه^(٢).

(١) راجع طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٢٤٤ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٧ ط الغري ، سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٢٨ ط دار الفكر بيروت ، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ٩١ ط الميرية وغيرها ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ط مصر الأولى ، وفتاح لابن أثيم ٢ / ٩١.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٤ ط بولاق .

فهذه الديون التي استدناها وأوصى ابنه بوفائها ، لم يذكر أن ابنه وفاهما إلى بيت المال ، بل المذكور في المصادر ذكر وصية عمر بها ، أمّا الوفاء فبقي في الحفاء ، ولا أظن إلا أن عثمان أغضى عن المطالبة ، فإنّ من يغضي عن دم عبيد الله بن عمر يهون عليه الإغصاء عن مال بذمة عمر. مع ان عمر . كما في الفتوح لابن أعثم . قال لابنه : «واجعل ذلك في بيت المال ، فإن سألك الخليفة من بعدي أن لا تأتيه بذلك المال فلا تفعل فإن وحبه لك فلا تقبل واذهب به حتى تضعه في بيت المال كما أخذته منه»^(١).

لقد مرّ بنا في أول مخالفات عثمان لأحكام الشريعة ، درء الحد عن عبيد الله بن عمر ، ومرّ بنا استنكار المسلمين لذلك فلم يعبأ عثمان بذلك ولم يكتف بدرء الحد عنه ، بل أنزله الكوفة وأقطعه داراً عرفت باسم (كوفة بن عمر) وفي ظني أن هناك تزوج بحريّة بنت هاني المرادي ، التي كانت معه حتى في صفين يوم قتل ، وهي التي استوحيت من جيش الإمام جشه ، فأعطوهها وحملتها إلى معاوية فصلّى عليها ودفنتها.

فعثمان بعد أن كان من أشدّ المنكرين لجريمة عبيد الله لم يعاقبه ثم لم يرض بذلك حتى أكرمه بإقطاعه في الكوفة ومع هذا الإحسان فلم نسمع عنه حضوراً فاعلاً في الكوفة أو في المدينة نفع به عثمان. فلأين كان؟ ولماذا سكت؟

أمّا أخوه عبد الله بن عمر فهذا كان مع عثمان حتى يوم الدار ، ولكنه لم يغن عنه شيئاً ، إذ لم يعرف المصلحة على حقيقتها . على أحسن تقدير . إذ غشه على أسوء تقدير . حين استشاره فيما أشار به المغيرة بن الأخفش ، وإليك

(١) الفتوح ٢ / ٩١

حديشه يقول : «قال لي عثمان وهو محصور في الدار : ماترى فيما أشار به على المغيرة بن الأحسن ؟ قال : قلت : وما أشار به عليك ؟ قال : إن هؤلاء القوم يريدون خلعي ، فان خلعت تركوني ، وإن لم أخلع قتلوني.

قال : قلت : أرأيت إن خلعت ترك مخدداً في الدنيا ؟ قال : لا ، قال : فهو يملكون الجنة والنار ؟ قال : لا : قال : فقلت : أرأيت ان لم تخلي هل يزيدون على قتلك ؟ قال : لا .

قال : فقلت : فلا أرى أن تسنّ هذه السنة في الإسلام ، فكـلما سخط قوم أميرهم خلعوه. لا تخلي قميصاً قمـصـكـهـ الله ... اه»^(١).

ولولا أنّ ابن عمر لـقـنـ عـثـمـانـ حـجـةـ قـمـيـصـ اللهـ ،ـ لـمـاـكـانـ فـيـ التـارـيـخـ قـمـيـصـ عـثـمـانـ.ـ فـلـوـ أـنـهـ أـخـذـ بـرـأـيـ المـغـيـرـةـ.ـ وـكـانـ لـهـ مـنـ النـاصـحـينـ.ـ فـخـلـعـ نـفـسـهـ لـتـفـادـيـ القـتـلـ ،ـ وـجـنـبـ الـمـسـلـمـينـ مـاـ حـاقـ بـهـمـ مـنـ شـرـورـ الـفـتـنـةـ الـكـبـرـىـ.ـ وـلـغـيـرـ وـجـهـ الـتـارـيـخـ.ـ غـيـرـ اـنـ اـبـنـ عـمـرـ أـشـارـ عـلـيـهـ أـنـ لـاـ يـخـلـعـ نـفـسـهـ وـلـفـنـهـ حـجـتـهـ لـاـ تـخـلـعـ قـمـيـصـاًـ قـمـصـكـهـ اللهـ ،ـ فـكـانـ عـثـمـانـ يـقـولـ :ـ «ـ لـاـ أـنـزـعـ قـمـيـصـاًـ أـلـبـسـنـيـهـ اللهـ عـجـلـ»^(٢).

وليتني كنت أدري كيف لم يـعـ قولـ أـيـهـ في قـتـلـ الـحـاـكـمـ إـذـ جـنـفـ !ـ روـيـ الطـبـرـيـ بـسـنـدـهـ عـنـ مـوـسـىـ بـنـ عـقـبـةـ يـحـدـثـ أـنـ رـهـطـاًـ أـتـواـ عـمـرـ فـقـالـواـ :ـ «ـ كـثـرـ الـعـيـالـ وـاشـتـدـتـ الـمـؤـونـةـ فـزـدـنـاـ فـيـ أـعـطـائـنـاـ قـالـ :ـ فـعـلـتـمـوـهـاـ ،ـ جـمـعـتـمـ بـيـنـ الـضـرـائـرـ ،ـ وـاتـخـذـتـمـ الـخـدـمـ فـيـ مـاـ اللـهـ عـجـلـ !ـ أـمـاـ وـالـلـهـ لـوـدـدـتـ أـنـيـ وـإـيـاـكـمـ فـيـ سـفـيـنـةـ فـيـ لـجـةـ الـبـحـرـ ،ـ تـذـهـبـ بـنـاـ شـرـقاًـ وـغـرـباًـ ،ـ فـلـنـ يـعـزـ النـاسـ أـنـ يـوـلـوـ رـجـلـاًـ مـنـهـمـ ،ـ فـانـ اـسـتـقـامـ اـتـبعـوـهـ وـإـنـ جـنـفـ قـتـلـوـهـ ،ـ فـقـالـ طـلـحـةـ :ـ وـمـاـ عـلـيـكـ لـوـ قـلـتـ :ـ إـنـ تـعـوـجـ عـزـلـوـهـ !ـ فـقـالـ :ـ لـاـ ،ـ الـقـتـلـ أـنـكـلـ مـنـ بـعـدهـ.

(١) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٤٥.

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٧٥ ط دار المعارف.

احذروا فتى قريش وابن كرمها الذي لا ينام إلا على الرضا ، ويضحك عند الغضب ، وهو يتناول من فوقه ومن تحته»^(١).

روى الذهبي قال : «ودخل ابن عمر على عثمان وهو محصور فقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن تعطيهما سلوكاً من وراء عتبة بابك غير أن لا تخلي نفسك فقال : دونك عطاياك . وكان واجداً عليه . فقال : ليس هذا يوم ذاك ، ثم خرج ابن عمر إليهم . الشوار . فقال : إياكم وقتل هذا الشيخ ... ولقد رأينا وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون نقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان»^(٢).

وهكذا بدأ ابن عمر يحتل مكانة عند الأمويين فينفحونه بعطائهم وينفحهم هو على بلايهم . ألم يرسل إليه معاوية مائة ألف لآراد البيعة لأبنه يزيد^(٣) ، فكانت هذه النفحة من معاوية هي التي أخرجت النفحة من ابن عمر فقال في بيعة يزيد : «إن كان خيراً رضينا وإن كان بلاءً صبرنا»^(٤).

وزاد في نفحة حين دعا بناته وجمعهم وذلك عند خلع أهل المدينة ليزيد فقال : «إنا بایعنًا هنالى الرجل . ويعني به يزيد فلا يخلعنّ أحدٌ منكم يزيد ولا يسرعنّ أحدٌ منكم في هذا الأمر ، فتكون الصيلم بياني وبينه»^(٥).

إذن فإن ابن عمر لم ينصر عثمان بما ينفعه يوم الدار فينجيه من القتل ، بل على أحسن تقدير كانت مشورته على عثمان بأن لا يخلع نفسه هي التي أودت بحياته عثمان ، ولا يبعد سيء الظن به في التقدير ، لو قال إنّه غشه في ذلك التدبير.

(١) نفس المصدر ٤ / ٢١٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ٦٠٤ ط دار الفكر.

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٤ ق ١ / ١٣٤ .

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

وأمّا أختهما حفصة بنت عمر فحسّبنا أن نعرف إلّا كانت المحرضة لأنّه عبيد الله على قتل المرمزان وجفينة كما مرّ في مخالفات أحكام الشريعة ، ثمّ إلّا هي التي أنكرت على عثمان ما كان منه من مخالفات.

فقد روى عبد الرزاق في المصنف من حديث أبي كعب الحارثي وهو ذو الأداة^(١) قال : «ثمّ أقيمت الصلاة فقدم عثمان فصلّى فلما كبر قامت امرأة من حجرتها فقالت : أيها الناس اسمعوا : قال : ثمّ تكلّمت فذكّرت رسول الله ﷺ وما بعده الله به ، ثمّ قالت تركتم أمر الله وخالقتم رسوله. أو نحو هذا. قال : ثمّ صمتت. فتكلّمت أخرى مثل ذلك ، فإذا هي عائشة وحفصة قال : فلما سلم عثمان قبل على الناس فقال : إن هاتان الفتاتان فتنتا الناس في صلاتهم ، وإلا تنتهيان أو لأسبّبكم ما حلّ لي السباب وإلّي لأصلّكم لعالم. فقال له سعد بن أبي وقاص أتقول هذا لحبيب رسول الله ﷺ ؟ قال : وفيما أنت وما ها هنا ؟ ... أخ»^(٢).

ثانياً . الزبير بن العوام :

كان حيناً من الدهر من أصهار عثمان على أخته لأمه أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط وتعدّ هذه من المردفات من قريش ، وإليك حديث هذه المصاهرة فهو غير معروف لدى كثير من الباحثين ، فضلاً عن غيرهم.

قال المدائني : «تزوجها . أم كلثوم . زيد بن حارثة ، ثمّ خلف عليها الزبير ابن العوام فحملت ، وكان الزبير شديداً على النساء ، فأقام عندها سبعة أيام ،

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٧٥ ط دار المعارف.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ١١ / ٣٥٥ هـ كذا النص والصواب : هاتين الفتاتين ... إن لا تنتهيما ، وقارن شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٩٤ ط مصر الأولى فيه إن هاتين لفتاتان.

فولدت له أبنة ، وقالت له حين ضرها المخاض ، طيب نفسي بتطليقة فطلقتها وخرج إلى الصلاة ، فلتحقه رجل فقال : قد ولدت أم كلثوم ، فقال : خدعني خدعاها الله : ولم يكن لها عليها رجعة ، وخطبها فأبىت أن تزوجه ، ويقال : أتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : قد مضى فيه القرآن ، ولكن إن شئت خطبها إلى نفسها .
قال : لا ترجع إلى أبداً .

قال المدائني وابنته من الزبير : زينب^(١) .

هذا بعض حديث المصاهرة ممّا يتعلّق بالزبير وسيأتي تامّه في عبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص .

وإذ عرفنا أنّ الزبير كان حيناً من الدهر من أصهار عثمان فلا غرابة إذا قرأتنا إنّ عثمان قضى له في خصومة له مع رافع بن خديج في مواليه أشتري الزبير أباهم ثمّ أعتقد ليخرج أبناءه من مال رافع و يجعلهم في ماله ، فاختصم إلى عثمان فقضى له بولائهم^(٢) .

ولا غرابة أيضاً لو قرأتنا أن عثمان نفعه أيام خلافته بستمائة ألف فنزل على أخواه بني كاهل فقال : أي المال أجود ؟ فقالوا : مال أصبهان قال : أعطوني من مال أصبهان^(٣) . فلا غرابة في ذلك فقد كان عثمان سخياً مع أقربائه وأنسابه ، كما لا غرابة في تصديقه له ولصمه الآخر عبد الرحمن بن عوف في زعمه أنّ النبي ﷺ أقطعه وعمر بن الخطاب أرض وكذا .

(١) نوادر المخطوطات . كتاب المرفات من قريش للمدائني ١ / ٦١ تـ عبد السلام هارون ط مصر سنة ١٣٧٠ الأولى .

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٩ / ٤١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٧٥ ط أفسط ليدن .

وقد اشتري الزيير نصيب آل عمر فقال عثمان : عبد الرحمن بن عوف جائز الشهادة له وعليه^(١).

ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء : «ان الزيير قدم الكوفة وعليها سعيد بن العاص فبعث إلى الزيير سبعمائة ألف فقبلها ، ولكن سرعان ما انقلب الأحوال حق آلت إلى شر مآل»^(٢).

فقد روى البلاذري في أنساب الأشراف عن ابن عباس قال : «تدارأ^(٣) عثمان والزيير في شيء ، فقال الزيير : أنا ابن صفيه.

قال عثمان : هي أدنتك من الظل ولو لا هي كنت ضاحياً»^(٤).

وروى أيضاً أن عثمان نازع الزيير فقال الزيير : «إن شئت تقاذفنا. فقال عثمان : بماذا ؟ بالبعر يا أبا عبد الله.

قال : لا والله ولكن بطمع خباب وريش المقعد.

قال : وكان خباب يطبع السيف ، وكان المقعد يريش السهام»^(٥).

وروى أيضاً : «ان الزيير جاء إلى عثمان فقال له : أن في مسجد رسول الله ﷺ جماعة يمنعون من ظلمك ويأخذونك بالحق ، فاخرج فخاخصم القوم إلى أزواج النبي ﷺ ، فخرج معه ، فوثب الناس عليه بالسلاح.

قال : يا زمير ما أرى أحداً يأخذ بحق ولا يمنع من ظلم. ودخل ومضى الزيير إلى منزله»^(٦).

(١) الرياض النصرة للطبراني ٢ / ٢٨٥ نقلاً عن أحمد.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥١٩ ط دار الفكر.

(٣) تدارأ القوم تدارأوا تدافعوا في الخصومة واختلفوا (قطر المحيط . درأ).

(٤) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٤٨٨ تر إحسان عباس.

(٥) نفس المصدر / ٤٩٩.

(٦) نفس المصدر / ٥٦٧.

وكانت للزبير مواقف في خذلان عثمان وتأليب الناس عليه لعل من آخرها وأقصاها قوله يوم الدار للثوار : «اقتلوه فقد بدّل دينكم». فقالوا : إن ابنك يحامي عنه بالباب. فقال : ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني ، إنّ عثمان لجيفة على الصراط غدًا»^(١).

ثالثاً . طلحة بن عبيد الله :

- ١ - روى البلاذري عن موسى بن طلحة قال : «أعطى عثمان طلحة في خلافته مائتي ألف دينار»^(٢).
- ٢ - وعن موسى بن طلحة أيضاً قال : «كان لعثمان على طلحة خمسون ألفاً ، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة قد تحيأ مالك فاقبضه قال : هو لك يا أبي محمد معونة لك على مروءتك»^(٣) ، وفي ذيل هذا عند ابن أبي الحديد نقلًا عن الطبرى : «فكان عثمان يقول وهو محصور : جزاء سنمار».
- ٣ - روى البلاذري بإسناده قال : «ولم يزل عثمان مكرماً لطلحة حتى حصر فكان طلحة أشد الناس عليه»^(٤).
- ٤ - روى الطبرى بسنته عن حكيم بن جابر قال : «قال عليٌّ لطلحة : أنشدك الله إلا ردت الناس عن عثمان ، قال : لا والله حتى تعطى بنو أمية الحق من أنفسها»^(٥).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٤٠٤ ط مصر الأولى.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٤٩٠ تـ إحسان عباس.

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ٤٠٥ .

(٤) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٠٦ تـ إحسان عباس.

(٥) تاريخ الطبرى ٤ / ٤٠٥ ط محققة ، ومصنف ابن أبي شيبة ١٥ / ٢١٠ ط باكستان.

٥ . وفي حديث أبي مخنف بإسناده قال أشرف عثمان على الناس فسمع بعضهم يقول : «لا نقتله ولكن نعزله . فقال : أمّا عزي فلا ، وأمّا قتلي فعسى ، وسلم على جماعة فيهم طلحة فلم يرددوا عليه فقال : يا طلحة ما كنت أرى أني أعيش إلى أن أسلم عليك فلا ترد علىَ السلام»^(١) .

٦- روى البلاذري أن مجمع بن جاري الأنصاري مرّ بطلحة بن عبيد الله فقال: «يا مجمع ما فعل صاحبك؟ قال: أظنكم والله قاتليه، فقال طلحة: فإن قتل فلا ملك مقرب ولا نبيّ مرسلاً»^(٢).

٧ - روی عبد الله بن أحمد بن حنبل في زيادات مسند أبيه بسنده عن زيد
ابن أسلم عن أبيه قال : « شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز . ولو ألقى
حجر لم يقع إلا على رأس رجل ، فرأيت عثمان أشرف من المخوحة التي تلي
مقام جبريل عليهما السلام فقال أيها الناس ، أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس
أفيكم طلحة ؟ فسكتوا ، ثم قال : أيها الناس أفيكم طلحة ؟ فقام طلحة بن عبيد الله
فقال له عثمان : ألا أراك ههنا ؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة تسمع ندائى
آخر ثلاث مرات ثم لا تجنينى ... »^(٣) .

٨. وقال ابن أبي الحديد : «وكان طلحة من أشد الناس تحريضاً عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك. روي ان عثمان قال : ويلي على ابن الحضرمية . يعني طلحة . أعطيته كذا وكذا بحارة ذهباً وهو يروم دمي يحرّض على نفسي اللهم لا تنتقم به ولله عوّاقب بعنه»^(٤).

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٦٧ تـ تح إحسان عباس.

(٢) نفس المصدر / ٥٦٥

٩١ / ٩ ، ومستدرک الحاكم / ٩٧ . ٩٨ .

(٤) شرح النهج لابن أبي الحميد ٢ / ٤٠٤

- ٩ - وروى الناس الذين صنفوا في واقعة الدار : «إِنْ طَلْحَةً كَانَ يَوْمَ قُتْلَ عُثْمَانَ مُقْتَنِعًا بِشَوْبٍ قَدْ اسْتَرَّ بِهِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ يَرْمِي الدَّارَ بِالسَّهَامِ»^(١).
- ١٠ - وروى البلاذري في حديث له قوله عثمان لطلحة : «يا بن الحضرمية ألبست علي الناس ودعوتهم إلى قتلي حتى إذا فاتك ما تريده جئت معذراً؟ لا قبل الله ممن قبل عذرك»^(٢).
- ١١ - وروى المدائني بسنده عن ابن سيرين قال : «لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ أشدّ على عثمان من طلحة»^(٣).
- ١٢ - وروى الطبرى في تاريخه بسنده عن ابن عياش المخزومي قال : «دخلت على عثمان فتحديث عنده ساعة فقال : يا بن عياش تعال فأخذ بيدي فاسمعني كلام من على باب عثمان ، فسمعنا كلاماً منهم من يقول ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول : انظروا عسى أن يراجع ، فيما أنا وهو وافقان إذ مر طلحة بن عبيد الله فوقف فقال أين ابن عديس؟ فقيل : ها هو ذا ، قال فجاءه ابن عديس فناجاه بشيء ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه : لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده : قال فقال لي عثمان : هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله ثم قال عثمان : اللهم أكفى طلحة بن عبيد الله ، فإنه حمل على هؤلاء وألهمهم ، والله إني لأرجو أن يكون منها الخلافة . صفرأً وأن يُسفك دمه ، انه انتهك مني ما لا يحل له ...»^(٤).
- ١٣ - وروى الواقدي بسنده عن محمد بن زيد في حديث له قال : «ولم يزل عثمان مكرماً لطلحة حتى حصر ، فكان طلحة أشد الناس عليه»^(٥).

(١) نفس المصدر / ٤٠٤ - ٢٢٠.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٦٩ تـاحسان عباس.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٧٢ ، والعقد الفريد ٤ / ٢٩٩ ط محققة.

(٤) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٧٩ ط محققة.

(٥) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٠٦.

١٤ . وفي حديث الطبرى بسنده عن ابن الزبير جاء في آخره : «فحصروه أربعين ليلة وطلحة يصلى بالناس»^(١).

١٥ . وفي حديث آخر عنده بسنده عن عبد الرحمن بن أبي زيد قال : «فوالله ما نسينا أن خرج سودان بن حمran فأسمعه يقول : أين طلحة بن عبيد الله ؟ قد قتلنا ابن عفان»^(٢).

رابعاً . عبد الرحمن بن عوف :

وهو صهر عثمان على أخته لأمه أم كلثوم بنت عمارة بن أبي معيط خلف عليها بعد الزبير فولدت له محمد وإبراهيم وحميد وإسماعيل^(٣) وهو واهب الخلافة لعثمان ليليها من بعده على ما جاء في قول الإمام علي عليه السلام . إنما آثرته بها لتناهياً بعده ، فلنقرأ ما رواه الشعبي وهو غير متهم على عبد الرحمن ولا عثمان وقد كان من المنحرفين عن الإمام.

فقد روى الشعبي في كتاب الشورى ومقتل عثمان قال : «فلمَا بايع عثماناً . أتاه عبد الرحمن بن عوف فاعتذر إليه وقال : إن عثمان أعطانا يده وعينيه ولم تفعل أنت ، فأحببت أن أتوثق لل المسلمين فجعلتها له . فقال : إيهأً عنك إنما آثرته بها لتناهياً بعده ، دق الله بينكما عطر منشم^(٤)»^(٥).

(١) الطبرى ٤ / ٣٧١ ط محققة.

(٢) نفس المصدر / ٣٧٩.

(٣) كتاب المرفات من قريش للمدائني . نوادر المخطوطات ١ / ٦١ تـ عبد السلام هارون ط مصر .

(٤) شرح النهج لابن أبي الحميد ٢ / ٤١١ ط مصر الأولى .

(٥) مثل يضرب للشمر . قال الأصمسي هي . منشم . امرأة كانت تبيع العطر وكانوا إذا قصدوا الحرب غمسوا أيديهم في طيبها وتحالفوا عليه . وقال ابن السكيت : العرب تكتفي عن الحرب بثلاثة أشياء : عطر منشم وثوب محارب ، وبرد فاخر جمهورة الأمثال لأبي هلال

وهذا ما حصل فعلاً، حيث استجابت دعوة الإمام ، كما تكشف المكتوب من السر المقصون في تداول الخلافة فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه : «ان عثمان اقتل عليه اشتدت به ، وكتب عهداً لمن بعده ، وترك موضع الاسم. ثم كتب بيده : عبد الرحمن بن عوف ، وربطه وبعث به إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فقرأه حمran في الطريق ، فأتى عبد الرحمن فأخبره.

فقال عبد الرحمن : وغضب غضباً شديداً : استعمله علانية ويستعملني سراً. ونمى الخبر وانتشر بذلك في المدينة ، وغضب بنو أمية ، فدعا عثمان بمحارن مولاه فضرره مائة سوط وسiere إلى البصرة. فكان سبب العداوة بينه وبين عبد الرحمن بن عوف. ووجه إليه عبد الرحمن بابنه فقال : قل له : والله لقد بايتك وإن في ثلاثة خصال أفضلك هنّ ، إني حضرت بدرأ ولم تحضرها. وحضرت بيعة الرضوان ولم تحضرها ، وثبت يوم أحد وانحرمت.

فلما أدى ابنه الرسالة قال : قل له : أمّا غيبي عن بدر فإني أقمت على بنت رسول الله صلى الله عليه (والله) وسلم فضرب لي رسول الله سهمي وأجري ، وأمّا بيعة الرضوان فقد صفق لي رسول الله بيمنه على شماله ، فشمال رسول الله خير من أيانكم ، وأمّا يوم أحد فقد كان ما ذكرت ، إلا ان الله قد عفا عنك ، ولقد فعلنا أفعلاً لا ندري أغفرها الله أم لا؟»^(١)

وفي هذا الخبر نقرأ اعتراف خطير ، وتعيير لا يحتاج إلى تفسير ، وثم اعتذار بعد إقراره. ثم ختام يدين صاحبه باللام. وأهم ما فيه عقدة النقص التي كانت

ال العسكري ١ / ٤٤٥ تحيى محمد أبو الفضل إبراهيم وبعد الجيد قطامش ط الأولى بمصر سنة ١٣٨٤ هـ.

وقال أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل : استجابت دعوة علي في عثمان وعبد الرحمن ، فما ماتا إلا متهاجرين متعددين.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٤٦ ط الغري سنة ١٣٥٨ هـ.

تساور عثمان حين يعيّرونه بأنه ليس من البدريين الذي اطّلع الله عليهم فقال لهم اعملوا ما شئتم. هكذا يزعمون من يفخّمون. وقد كان عثمان مصراً على زج نفسه معهم.

فقد روى الحبّ الطبرى في الرياض النصرة : «أن عبد الرحمن بن عوف مرض فأوصى بثلث ماله فصحّ فتصدق بذلك بيده نفسه. ثم قال يا أصحاب رسول الله كلّ من كان من أهل بدر له عليّ أربعمائة دينار فقام عثمان وذهب مع الناس فقيل له يا أبا عمر ألس غنياً؟ قال هذه وصلة من عبد الرحمن لا صدقة ... اه»^(١).

وقد تفسر على أن تلهمه كان ليحسب من أهل بدر ، وهذا ما كان يشعره بمركب النقص بين الصحاوة ومع ذلك فلم يجده نفعاً ، فقد بقي ابن عوف يعيّر عثمان بذلك كلما سُنحت له الفرصة ! فقد روى البزار . بإسناد جيد . : «أَتَهُ عُثْمَانُ . عَاتَبَ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ عَوْفٍ قَالَ لَهُ : لَمْ تُرْفِعْ صَوْتَكَ عَلَيَّ ؟ فَذَكَرَ الْأَمْوَالَ الْمُتَلَقَّبَةَ . فَأَجَابَهُ عُثْمَانُ بِنْ حَوْيَةَ مَا مَرَّ»^(٢).

قال طه حسين : «ويقول الرواة : إنّ عبد الرحمن بن عوف كان أول من اجترأ على عثمان ، فألفى بعض أمره وأطمع الناس فيه وذلك أن بعض السعاة أقبلوا بإبل الصدقة ، فوهبها عثمان لبعض أهل الحكم ، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن دعا بعض أصحاب النبي وأرسلهم فأستردوا له الإبل وقسمها بين الناس ، وعثمان في الدار لم يذكر ذلك ولم يغيّر ، بل لم يكلّم فيه عبد الرحمن وأصحابه ...

وقد جعل الناس بعد ذلك يظهرون إنكارهم لما يكرهون من سياسة عثمان ...

(١) الرياض النصرة / ٢٨٨ .

(٢) فتح الباري ٨ / ٦٠ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصر سنة ١٣٧٨ هـ .

ثم لم يتحرّج بعضهم من أن يواجه عثمان بالمعارضة على ملأ من الناس.

ولم يتحرّج بعضهم الآخر من أن يعصي أمر عثمان إذا صدر إليه»^(١).

أقول : ولم يتحرّج جبلة بن عمرو الساعدي . من الأنصار . أن يقوم إلى عثمان وهو على المنبر في المسجد فيقول له : «إنزل ندّرك عباءة ونحملك على شارف من الإبل إلى جبل الدخان»^(٢).

ولم يتحرّج جهجاه بن سعيد الغفارى ، أن يثب إلى عثمان وهو على المنبر في المسجد فياخذ العصا التي كانت بيده فيكسرها على ركبته فما رد أحد عليه ولا منعه^(٣) ، (ويقول علماء التفخيم : أصابت ركبته أكلة منذ ذلك اليوم).

ولم يتحرّج المسلمون يومئذ أن يشورووا بعثمان وبني أمية فتحاصروا وحصب عثمان حتى صرّ وحمل مغشياً عليه ...^(٤).

إذن فليتحمل عبد الرحمن بن عوف وزير تولية عثمان الخلافة ، ولি�تحمل وزر ما لحق به من نكير لسوء التدبير ، وليجنِ ثمار ما صنعت يداه.

فقد رروا : «أن عثمان لما بني داره بالزوراء وصنع طعاماً دعا الناس إليه ومنهم عبد الرحمن بن عوف ، فلما نظر إلى البناء والطعام قال : يا بن عفان لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك ، وإلي أستعيد بالله من يعتنك.

غضب عثمان وقال : أخرجه عني يا غلام ، فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض ، ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلمه فلم يكلمه حتى مات»^(٥).

(١) الفتنة الكبرى طه حسين ١ / ٢٠١.

(٢) نفس المصدر / ٢١١.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٣٧ و ٥٨٢ تـ احسان عباس.

(٤) الكامل لابن الأثير ٣ / ٦٧ ط بولاق.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٥ - ٦٦.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف بسنده عن عمرو بن دينار قال : «لما ذكروا من شأن عثمان الذي ذكروا ، أقبل عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحابه حتى دخلوا على عبد الله بن عمر فقالوا : يا أبا عبد الرحمن . ألا ترى ما قد أحدث هذا الرجل فقال : بخ بخ مما تأمروني ؟ تريدون أن تكونوا مثل الروم وفارس إذا غضبوا على ملك قتلوه ، قد ولاه الله الذي ولاه فهو أعلم ، لست بقائل في شأنه شيئاً»^(١).

وحاول الوليد بن عقبة التقرير بين الرجلين لكنه لم يفلح فقد جاء في
مسند أحمد عن شقيق قال : «لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له
الوليد مالي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان ؟
قال له عبد الرحمن : أبلغه أني لم أفرّ يوم عينيin . قال عاصم يقول : يوم
أحد . ولم أختلف يوم بدر ، ولم أترك سنة عمر .

فانطلق فخّير ذلك عثمان فرد عليه بنحو ما مرّ في الأولين ، ثمّ قال : إني لم أترك سنّة عمر إيني لا أطيقها ولا هو فاتّه فحدّثه بذلك»^(٢) .

وليس مزيد نكير على عثمان من قول عبد الرحمن بن عوف بعد وفاة أبي ذر بالربنة فتذكرة هو وعلى في فعل عثمان فقال علي: «هذا عملك». فقال عبد الرحمن: إذا شئت فخذ سيفك وأخذ سيفي، إنّه قد خالف ما أعطاني»^(٢). وثمة كلمة للإمام أمير المؤمنين علي عليهما السلام قالها عبد الرحمن بن عوف تصلح أن تكون جواباً له على ما مرت، فقد قال له: «يا بن عوف كيف رأيت صنيعك مع

(١) المصنف لابن أبي شيبة ١ / ٢٢٣

(٢) مسند أحمد ١ / ٢٤١ تَحْ أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤٦

عثمان؟ ربّ واثق حِجَلَ ، ومن لم يتتوخ عمله وجه الله عاد مادحه من الناس له ذاماً»^(١).

وليس بدون ذلك قوله . وقد ذكر عنده عثمان . في مرضه الذي توفي فيه : «عاجلوه قبل أن يتمادي ملكه ، فبلغ ذلك عثمان فبعث إلى بصرى كان يسكنها نعم عبد الرحمن بن عوف ، فمنعه إياها ، فقال عبد الرحمن : اللهم اجعل ماءها غوراً ، فما وجدت فيها»^(٢).

وأخيراً حلف أن لا يكلم عثمان ، وأوصى أن لا يصلى عليه ، فصلى عليه الزبير أو سعد بن أبي وقاص^(٣) . وقد يفاجأ القارئ بالفارق الكبیر إذا أخبرته أن عبد الله بن عوف أخا عبد الرحمن بقي مع عثمان يوم الدار ودافع عنه حتى قتل كما في أنساب الأشراف^(٤) ، وكلا الأخوان أسرف في أمر عثمان ، ولكن عبد الله أسرف من أخيه . وقد خلف من الأموال القناطير المقطورة بأرقام خيالية كماً وكيفاً ، وحسب القارئ أن يقرأ ما قاله المسعودي في مروج الذهب : «وفي أيام عثمان اقتني جماعة من الصحابة الضياع والدور منهم ...

وكذلك عبد الرحمن بن عوف الرهري ، ابني داره ووسّعها ، وكان على مربطه مائة فرس ، وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة من الغنم ، وبلغ ربع ثمن ماله : أربعة وثمانين ألفاً»^(٥).

وقال ابن سعد في الطبقات : «وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤ / ٥٥٨ ط مصر الأولى.

(٢) نفس المصدر / ٥٤٧.

(٣) نفس المصدر.

(٤) انظر أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٧١.

(٥) مروج الذهب ٢ / ٣٤٢ ط السعادة بمصر تتح محمد محى الدين عبد الحميد.

وقال : وَكَانَ فِيمَا خَلَفَهُ ذَهْبٌ قَطْعًا بِالْفَوْسِ حَتَّى مَجَلَتْ أَيْدِي
الرِّجَالِ مِنْهُ»^(١).

ومع هذا الشراء العجيب الغريب فقد وقف على رأسه سائل وبين يديه طبق
فيه عنب فأعطاه عنبة ، فقيل له : أَنِّي تقع هذه منه ؟ فقال : فيها مثاقيل ذَرَ كثير^(٢) ،
وليتني أدرى كيف نصدق بعد هذا ما يرويه له علماء التفخيم من أحاديث
سخائه الحاتمي ؟!

خامساً . سعد بن أبي وقاص :

وَلَّاهُ عُثْمَانَ الْكُوفَةَ سَتْ سَنِينَ فَعَمِلَ لَهُ سَنَةً وَأَشْهَرًا ثُمَّ عَزَّلَهُ لِأَنَّهُ اسْتَقْرَضَ
مَالًاً مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَلَمْ يُؤْدِهِ ، فَطَالَبَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَكَانَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ ، وَجَرِيَ
بَيْنَهُمَا كَلَامٌ تَسَاَبَّ فِيهِ ، وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى عُثْمَانَ فَعَزَّلَهُ وَوَلَّ أَخَاهُ لَأْمَهُ الْوَلِيدَ بْنَ
عَقْبَةَ الْفَاسِقَ بِنْصِ الْقُرْآنِ الْجَيِّدِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٢٦.

وقد روى البلاذري في فتوح البلدان : «أن عثمان أقطع سعداً قرية هرمز»^(٣).

وروى ابن زنجويه في كتاب الأموال عن موسى بن طلحة قال : «أقطع
عثمان سعد بن مالك وعدّ نفراً آخرين»^(٤).

وروى ابن سعد في الطبقات عن عائشة بنت سعد قالت : «أرسل سعد بن
أبي وقاص إلى مروان بن الحكم بزكاة عين ماله خمسة آلاف درهم وترك سعد
يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم»^(٥).

(١) طبقات ابن سعد ٣ / ٩٦.

(٢) راجع كتاب الأموال لابن زنجويه / ٧٧٠ تحد شاكر ذيب فياض.

(٣) فتوح البلدان / ٢٨٢.

(٤) الأموال / ٦٢٦.

(٥) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ١٠٥.

على أن عمر كان قد قاسم سعد ماله حين عزله عن العراق^(١) ، وإنما تسامي ماله في عهد عثمان الذي أقطعه مع آخرين الاقطاعات وحباه بجزيل المبادت. ومع ذلك المال الوفير كان على شفا جرف هار من البخل فانهار به. فقد وقف عليه سائل وبين يديه طبق عليه تمر ، فأعطاه تمرة فقبض يده فقال : إن الله تعالى يقبل منا الذرة والخردلة ، فكان في هذه . التمرة . مثاقيل ذر^(٢).

أمّا موقفه من عثمان فقد كان من الخاذلين ، فقد مر ذكر اسمه فيمن كتب كتاب الأحداث التي مارسها عثمان فأنكر الصحابة عليه ذلك. كما أنه ورد ذكره في حديث أبي كعب الحارثي وقد مر جزء منه فيما يتعلق بإنكار عائشة وحفظه في أول موقف عثمان من الصحابة ، فقد جاء فيه قول عثمان لعائشة وحفظه بعد أن أنكر عليه وأسمعا المسلمين استنكارهما ، وسماهما بالفتّاتين فقال مهداً لهما : «وإلا تنتهيان أو لا سبّنكم ما حلّ لي السباب ، وإني لأصلكم إلى عالم». فقال له سعد بن أبي وقاص : أتفقول هذا لبائب رسول الله ﷺ ؟ قال : وفيما أنت وما هاهنا ؟ قال : ثم أقبل على سعد عامداً إليه ليضرره قال : وانسل سعد فخرج من المسجد فاتبعه عثمان فلقى عليه بباب المسجد ، فقال له علي : أين تريد ؟ قال : أريد هذا الذي كذا وكذا . يعني سعداً . فشتمه.

فقال له علي : أيها الرجل دع هذا عنك». وستأتي بقية الحديث في موقف

عثمان منبني هاشم^(٣).

(١) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ١٠٥ ، روى البلاذري في فتوح البلدان / ٢٨٦ من حديث محمد بن إسحاق قال : اتخذ سعد بن أبي وقاص باباً مبوباً من خشب وخصن على قصره خصاً من قصب ، فبعث عمر بن الخطاب محمد بن سلمة الأنباري حتى أحرق الباب والخصن.

(٢) كتاب الأموال لابن زنجويه تح شاكر ذيب فياض ط مركز الملك فيصل للبحوث.

(٣) المصنف لعبد الرزاق ١١ / ٣٥٥ و ٣٥٦.

وقد روى الطبرى حديث دخوله على عثمان يوم قتل ثم خرج وهو يسترجع مما يرى على الباب فقال له مروان : «الآن تندم أنت أشهرته^(١) ...»^(٢).

ولم يكن ينكر ذلك فقد كتب إليه عمرو بن العاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله وتولى كبره ، فكتب إليه سعد : «إنك سألتني من قتل عثمان وإني أخبرك إنّه قتل بسيف سلطنه عائشة ، وصقله طلحة ، وسمّه ابن أبي طالب وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ، ولو شئنا دفعناه عنه ، ولكن عثمان غير وتغّير وأحسن وأساء ، فإن كنا أحسنا فقد أحسنا ، وإن كنا أساءنا فنستفغر^(٣).
الله»^(٤).

سادساً . عمرو بن العاص :

وقد كان صهراً لعثمان على أخته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط. وهذه المصاهرة ، قد لا يعلمها كثير من الباحثين فضلاً عن سائر القراء. وقد مررت منا الإشارة إلى أنّ أم كلثوم هذه من المردفات من قريش^(٤).

قال المدائني : «ثم تزوجها عمرو بن العاص فأخرجها معه إلى مصر ، فقالت يوماً لخباز عمرو : لا تهيء له اليوم طعاماً فإني قد هيأت له غداءه ، ودعا عمرو بالغداء ، فقال الخباز : أرسلت إليّ أم كلثوم : لا تتكلّف شيئاً فقد هيأت له غداءه.

(١) أي شهرته بالقول حتى صار كالبدنة التي يشعر جنبها علامه لها وكل ما أصنفته بشيء فقد أشهرته.

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٧٧ ط دار المعرف.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ / ٤٣ .

(٤) راجع رقم (٢) الزبير ، ورقم (٤) عبد الرحمن بن عوف من (مواقف سنمارية من بعض الصحابة).

قال : فغدّتنا ، فتغدّى ، فلمّا فرغوا وخرج من حضر قال لأم كلثوم : لا تعودي ،
فإني لم أتزوجك لطعميّني ، وإنما تزوجتك لأنّ عيّنك . فماتت عنده^(١) ، وسيأتي
في آخر حديث عند الطبرى : ففارقها حين عزله . يعني عثمان ..
ومهما يكن فلن نتفق هذه المصاهرة عثمان شيئاً ، فكلّ أصهاره . هؤلاء .
كانوا له أولاً أولياء ثم صاروا عليه أخيراً من الأعداء ، وقد مرت بعض مواقف
الزبير وأبن عوف معه .

أمّا عمرو بن العاص فهو الذي أوجد لعثمان مخرجاً من تبة قتل عبد الله
ابن عمر حين قتل الهرمزان فلقيه الحجة وقال له : «يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر
قد كان قبل أن يكون لك سلطان على الناس فأعرض عنه»^(٢).
ومرت بنا كلمات الإدانة والخيانة التي رواها ابن سعد. وفيها ، فلقته . عمرو
عن رأيه ، وفيها : لكن عمرو بن العاص كلام عثمان حتى تركه. حتى كان
موقف عثمان الخانع المائع بعد تصليبه مثار عجب الراوي فقال : عجبت لعثمان
حين ولّى كيف تركه ، ولكن عرفت أنّ عمرو بن العاص كان دخل في ذلك
فلقته عن رأيه.

فعمرو بن العاص فتح للخليفة باباً للخلاص من العتاب ، كما فتح باباً لل مجرمين للإفلات من العقاب ، ما دامت الجناية وقعت في زمان الحكم السابق ، ولم يتخذ إجراء العقوبة في حينه لموت الحكم ، فلا إصر على الحكم اللاحق لو عفا عن المجرمين إنما حجة غريبة وعجيبة تفتقت عنها ذهنية ابن النابغة ، لتهيئة عثمان من تبعه قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان وبقية الدماء البريئة.

(١) انظر كتاب المدفأة من قريش (نواود المخطوطات ٦١ / ٦١ تـ) عبد السلام محمد هارون).

(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ١٠ ط أفسٰت لیدن.

وما أدرى كيف تبدل بالمنطق المعكوس ما أحتاج به ولقنه لعثمان. فصار بعد ذلك يدين الإمام بدم عثمان لأنه لم يقتض من قتلته في حين كان قتله يوم لا سلطان للإمام ، ولكن ازدواجية ابن النابغة والأنهزائية بلا حدود جعلته في مرابع الصلال يغدو ويروح.

والآن إلى بعض مواقفه من عثمان :

فلنقرأ ما ذكره الطبرى من حديث الواقدي عن أبي عون مولى المسور قال : «كان عمرو بن العاص على مصر عاملاً لعثمان ، فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة ، واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج ، ثم جمعهما عبد الله بن سعد ، فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به. قال : يا بن النابغة ما أسرع ما قمِل جرْبَان جبَّاك ؟ إنما عهدي بالعمل عاماً أوّل ، أطعن علىي وتأتيني بوجه وتدبر عني باخر. والله لو لا أكلة ما فعلت ذلك.

قال : فقال عمرو : إن كثيراً ممّا يقول الناس وينقلون إلى ولاهم باطل ، فاتّق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك.

فقال عثمان : والله لقد استعملتك على ظلّعك وكثرة المقالة فيك.

فقال عمرو : قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ، ففارقني وهو عنِي راضٍ .

قال : فقال عثمان : وأنا والله لو آخذتك بما آخذك به عمر لأستقمت. ولكني لنُتُّ عليك فاجترأت علىّ ، أما والله لأنّا أعزّ منك نفراً في الجاهلية ، وقبل أن ألي هذا السلطان.

فقال عمرو : دع عنك هذا ، فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وهدانا به . قد رأيت العاص بن وائل ورأيت أبيك عقان ، فوالله لل العاص كان أشرف من أبيك .

قال : فانكسر عثمان . وقال : ما لنا ولذكر الجاهلية .

قال : وخرج عمرو ودخل مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين وقد بلغت مبلغاً يذكر عمرو بن العاص أبيك ، فقال عثمان : دع هذا عنك ، من ذكر آباء الرجال ذكروا آباء .

قال : فخرج عمرو من عند عثمان وهو معتقد عليه ، يأتي عليه مرة فيؤلبه على عثمان ، ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان ، ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان . ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان فلما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة ، حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع ، فنزل في قصر له يقال له العجلان وهو يقول : العجب ما يأتينا عن ابن عفان .

قال : فيينا هو جالس في قصره ذلك ومعه ابناه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي ، إذ مرّ بهم راكب فناداه عمرو : من أين قدم الرجل ؟ فقال من المدينة ، قال : ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان . قال : تركته محصورة شديداً بالحصار .

قال عمرو : أنا أبو عبد الله ، قد يضرط العبر والمكواة في النار^(١) .

فلم يربح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر . فناداه عمرو ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان . قال : قُتل . قال : أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها ، إن كنت لأحرض عليه ، حتى إني لأحرض عليه الراعي في غنميه في رأس الجبل .

قال له سلامة بن روح : يا عشر قريش إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتوه ، فما حملكم على ذلك ؟ فقال : أردنا أن نخرج الحق من حافرة

(١) مثل يضرب للرجل يخالف الأمر فيجزع قبل وفوعه . مجمع الأمثال ٢ / ٩٥ .

الباطل ، وأن يكون الناس في الحق شرعاً سواء. وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه ، أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، ففارقها حين عزله»^(١).

ذكر العقوبي في تاریخه في أحداث عثمان : «وقدم عليه أهل البلدان فتكلموا . وبلغ عثمان إنّ أهل مصر قدموا عليهم بالسلاح ، فوجّه إليهم عمرو بن العاص وكلّهم ، فقال لهم : إنّه يرجع إلى ماتحبون ، ثمّ كتب لهم بذلك وانصرفوا فقال لعمرو بن العاص : أخرج فأعذري عند الناس ، فخرج عمرو وصعد المنبر ونادى الصلاة جامعاً فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه ثمّ ذكر محمداً بما هو أهله وقال : بعثه الله رأفةً ورحمةً فبلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، أفليس ذلك كذلك ؟ قالوا : بلى فجزاه الله خير ما جری نبیاً عن أمته .

ثم قال : وولي من بعده رجل عَدْلٌ في الرعيَّةِ وحُكْمُ الْحَقِّ ، أَفَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ؟ قَالُوا : بَلِي فِي جَزَاهِ اللَّهِ خَيْرًا

قال : ثم ولي الأعسر الأحول ابن حتمة فأبتدت له الأرض أفالاذ كبدها ، وأظهرت له مكنون كوزها فخرج من الدنيا وما أنبأ عصاه ، أفلéis ذلك كذلك ؟ قالوا بلى فجزاه الله خيراً.

قال : ثمّ ولي عثمان فقلت و قال ، تلومونه ويغفر نفسـه ، أفلـيس ذلـك كذلك ؟
قالوا : بـلى.

قال : فاصبروا الله فان الصغير يكبر ، والهزيل يسمن ، ولعل تأخير أمر خير من تقليمه . ثم نزل .

(١) تاريخ الطبرى / ٤ / ٣٥٦ - ٣٥٧ ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠ م.

فدخل أهل عثمان عليه ، فقالوا له هل عابك أحد بمثل ما عابك به عمرو .
فلما دخل عليه عمرو قال : يا بن النابغة والله ما زدت أن حضرت الناس علىّ ، قال :
والله لقد قلت فيك أحسن ما علمت ، ولقد ركبت من الناس وركبوا منك
فأعتزل أن لم تعدل ، فقال : يا بن النابغة ، قمل درعك مذ عزلك عن مصر»^(١) .

وفي تاريخ الطبرى : «ان عمرو بن العاص قال ذلك حين استشاره عثمان
فيمن استشار من ولاته وقد جمعهم عنده فقال له ما رأيك ؟ قال : أرى أئك قد
ركبت الناس بما يكرهون ، فأعتزم أن تعدل ، فإن أبيت فاعتم أن تعدل ، فإن
أبيت فاعتم أن تعتزل فإن أبيت فاعتم عزماً وأمض قدمًا . فقال عثمان : مالك
قمel فرؤوك ؟ لهذا الجد منك ؟ فأسكت عنه دهراً . حتى إذا تفرق القوم قال عمرو :
لا والله يا أمير المؤمنين ، لأنك أعز علىي من ذلك ولكن قد علمت أن سيلغ
الناس قول كل رجل منا ، فأردت أن يبلغهم قولي فيثروا بي ، فأقود إليك خيراً ، أو
ادفع عنك شراً ... اه»^(٢) .

ولقد كذب فإنه كان مراوغًا في أمر عثمان وحسبنا ما كان يُعيّر به في
ذلك .

فقد قال له الإمام الحسن السبط عليه السلام في حديث طويل جاء فيه : «وأماما ما
ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً ثم لحقت بفلسطين ، فلما أتاك
قتله قلت : أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميها ، ثم ... وبالله ما نصرت عثمان
حجاً ، ولا غضبت له مقتولا»^(٣) .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥١ ط الغري ، وشرح النهج ٢ / ١٠٣ ، وجمهرة خطب العرب ٣ / ٢١ .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٣٤ ط دار المعارف .

(٣) رواه الزبير بن بكار في المواقف ٤٩٦ - ٤٩٧ ط الأوقاف بغداد بتفاوٍ يسير .

سابعاً . أبو موسى الأشعري :

روى البلاذري في فتوح البلدان : «إِنَّ عُمَرَ أَوْصَى الْقَائِمَ بِالْخِلَافَةِ بِتَوْلِيَةِ سَعْدِ الْكُوفَةِ ، وَتَوْلِيَةِ أَبِي مُوسَى الْبَصْرَةِ ، فَوْلَاهُمَا ثُمَّ عَزَّلَهُمَا»^(١).

روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن أبي بريدة قال : «لِمَا قَدِمَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيَ لِقَيَ أَبَا ذَرَ فَجَعَلَ أَبُو مُوسَى يَلْزَمُهُ . وَيَقُولُ أَبُو ذَرٍ إِلَيْكَ عَنِي ، وَيَقُولُ الْأَشْعَرِيَ مَرْحَباً بِأَخِي ، وَيَدْفَعُهُ أَبُو ذَرٍ وَيَقُولُ : لَسْتَ بِأَخِيكَ ، إِنَّا كَنَّا تَحْتَ أَخَاكَ قَبْلَ أَنْ تُسْتَعْمَلَ . وَلَأَبِي ذَرٍ قَوْلٌ مُثْلِذٌ لِمَعِ أَبِي هَرِيْرَةَ حِينَ أَتَيْمَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍ إِلَيْكَ عَنِي هَلْ كَنْتَ عَمِلْتَ لَهُؤُلَاءِ ؟ قَالَ نَعَمْ ...»^(٢).

روى الحب الطبراني في الرياض النضرة عن أبي موسى قال : «كنت إذا أتيت عمر بالمال والخلية من الذهب والفضة لم يلبث أن يقسمه بين المسلمين حتى لا يبقى منه شيء ، فلما ولي عثمان أتيت به فكان يبعث به إلى نسائه وبناته فلمّا رأيت ذلك أرسلت دمعي وبكيت . فقال لي ما يبكيك ؟ فذكرت له صنيعه وصنيع عمر فقال : رحم الله عمر كان حسنة وأنا حسنة ، وكل ما أكتسب . قال أبو موسى : إن عمر كان ينزع الدرهم الفرد من الصبي من أولاده فيرده في مال الله ويقسمه بين المسلمين ، فأراك قد أعطيت إحدى بناتك جمراً من ذهب مكلاً باللؤلؤ والياقوت ، وأعطيت الأخرى دررين لا يعرف كم قيمتهما . فقال : إن عمر عمل برائيه ولا يألو عن الخير ، وأنا أعمل برائي ولا آلو عن الخير ، وقد أوصاني الله تعالى بذوي قراباتي ، وأنا مستوص بجم أبربهم»^(٣).

(١) فتوح البلدان / ٣٣٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٤ ق ١ / ١٦٩.

(٣) الرياض النضرة ٢ / ١٣٨ ط النمساني بمصر.

وروى البلاذري في حديث أبي مخنف قال : «أنكر الناس على عثمان مع ما أنكر أن حمى الحمى وأن أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم من ألف ألف درهم حملها أبو موسى الأشعري وقال له هذا حقك»^(١).

ولم يحمد له معاوية موقفه من عثمان ، فقد قدم عليه ودخل عليه برسأسود فلما خرج من عنده قال : «قدم الشيخ لأولئك والله لا وليته»^(٢).

ثامناً . أبو هريرة الدوسي :

روى ابن كثير في البداية والنهاية قال : «لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال : أصبت ووقيت. أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن أشد أمري حبالي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ، يعملون بما في الورق المعلق) ، فقلت : أي ورق ؟ حتى رأيت المصاحف. قال : فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف وقال : والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديث نبيّنا ﷺ»^(٣).

وهنا استشعر أبو هريرة الضوء الأخضر بزخ الأحاديث من جرابه المنفوخ بعشرات الآلاف ، فكان يزعم لنفسه مقاماً يوم الدار في نصرة عثمان ، فقد روى ابن سعد عنه قال : «دخلت على عثمان يوم الدار فقلت يا أمير المؤمنين طاب أم ضرب ؟ فقال : يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإنك والله إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قُتل الناس جميعاً. قال : فرجعت ولم

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤٦.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٤٣.

(٣) البداية والنهاية ٧ / ٢١٦ ط السعادة بمصر.

أقاتل»^(١) هذا موقفه في نصرته بروايته ولি�تني أدرى كيف فقد سيفه يومئذ؟ وكيف انقطع مزوده المعلق بحقوه ما دام قد رجع ولم يقاتل^(٢).

(١) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ٤٨ ، و تاريخ خليفة بن خياط / ١٢٩ ، و سير أعلام النبلاء / ٣ ٦٠٨ ط دار الفكر.

(٢) و حدث المزود لا يخلو من طرافة للتسلي فـقد رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٠٥ ط دار الفكر : عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله بتمرات فأقلت أدع لي فيهن يا رسول الله بالبركة ، فقضى لهن ثم دعا فيهن بالبركة ثم قال : خذهن فاجعلهن في مزود ، فإذا أردت أن تأخذ منهن ، فادخل يدك فخذ ولا تشرهن ثراً . فقال : فحملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله ، وكنا نأكل ونطعم وكان المزود معلقاً بحقوي ، لا يفارق حقوي ، فلما قتل عثمان انقطع.

وهذا أخرجه أحمد في المسند ١٦ / ٢٥٨ تحـ أحمد محمد شاكر والترمذـي في سنته في المناقب باب مناقب لأبي هريرة وقال : هذا حديث حسن غريب . ونحن لا يهمـنا ذكر محرجيـه ، بقدر ما يهمـنا معرفـة مصـدقـيه . فـانـ أباـ هـرـيـرـةـ أـسـلـمـ عـامـ سـبـعـةـ لـلـهـجـرـةـ بـعـدـ فـتحـ خـيـرـ ، وـلاـ شـكـ أـنـهـ لـمـ يـأـتـ فـيـ ذـلـكـ التـارـيـخـ بـتـمـراتـهـ مـنـ الـيمـينـ يـطـلـبـ لـهـ الـبـرـكـةـ . وـهـوـ قـدـ خـرـجـ إـلـىـ الـبـحـرـيـنـ مـعـ الـعـلـاءـ الـحـضـرـمـيـ عـامـ ثـمـانـ وـلـمـ يـعـدـ إـلـىـ اـنـ أـسـتـدـعـاهـ عـمـرـ لـلـشـاهـدـةـ عـلـىـ قـدـامـةـ بـنـ مـظـعونـ عـامـ / ٢٠ أو ٢١ . فـلـابـدـ أـنـ تـكـونـ التـمـراتـ الـمـبارـكـاتـ أـتـىـ بـهـنـ فيما بـيـنـ سـنـةـ إـسـلـامـهـ وـسـنـةـ خـرـوجـهـ إـلـىـ الـبـحـرـيـنـ ، وـإـذـ عـرـفـنـ أـنـ الـبـرـكـةـ فـيـ مـزـودـ الـمـبـارـكـ دـامـتـ حـتـىـ قـتـلـ عـثـمـانـ سـنـةـ / ٣٥ فـتـكـونـ سـيـنـيـ الـبـرـكـةـ ٢٨ سـنـةـ أـوـ أـزـيـدـ مـنـ ذـلـكـ ، وـإـذـ نـظـرـنـاـ إـلـىـ بـرـكـةـ التـمـرـ حـتـىـ أـخـذـ مـنـهـ أـكـثـرـ مـنـ ٢٠٠ وـسـقـ كـمـاـ فـيـ روـيـةـ أـبـيـ رـيـةـ فـيـ شـيـخـ المـضـيـرـةـ / ٢٤ طـ الثـالـثـةـ دـارـ الـعـارـافـ بـصـرـ ، وـثـمـةـ تـحـقـيقـ حـولـ روـيـةـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ لـمـنـقـبـةـ الـمـزـودـ ، لـكـنـهـ لـمـ يـحـاسـبـهـ عـلـىـ الـأـوـسـاقـ فـإـنـ الـوـسـقـ سـتـونـ صـاعـاًـ وـحـلـ بـعـيرـ ، وـقـيـلـ الـوـسـقـ عـنـدـ أـهـلـ الـحـجـازـ / ٣٢٠ رـطـلـاًـ وـعـنـدـ أـهـلـ الـعـرـاقـ / ٤٨٠ رـطـلـاًـ (ـقـطـرـ الـحـيـطـ).ـ

فـإـذـ أـرـدـنـاـ حـسـابـ ذـلـكـ يـكـونـ مـاـ أـخـذـ مـنـهـ فـيـ كـلـ عـامـ أـكـثـرـ مـنـ ٢٢٤٠ رـطـلـاًـ بـحـسـابـ أـهـلـ الـحـجـازـ كـمـاـ نـفـتـرـضـ ذـلـكـ لـأـنـ الـمـبـارـكـ حـجـازـيـةـ وـحـصـةـ الـيـوـمـ الـوـاحـدـ مـنـ تـلـكـ الـبـرـكـةـ فـيـ حـدـودـ / ٧٥ رـطـلـاًـ يـاـ سـلـامـ .ـ فـمـاـ دـامـتـ الـبـرـكـةـ مـعـلـقـةـ بـحـقـوهـ فـلـاـ تـفـارـقـهـ حـضـرـاًـ وـسـفـرـاًـ لـمـاـذـاـ إـذـ كـانـ يـخـدـمـ عـثـمـانـ وـأـبـنـةـ غـرـزانـ عـلـىـ طـعـامـ بـطـنـهـ ، وـلـمـاـ يـقـولـ :ـ كـانـتـ لـيـ خـمـسـ عـشـرـةـ تـمـرـةـ فـأـفـطـرـتـ عـلـىـ خـمـسـ وـتـسـحـرـتـ بـخـمـسـ وـأـبـيـتـ خـمـسـاًـ لـفـطـرـيـ (ـتـارـيـخـ اـبـنـ كـثـيرـ ١١٢ـ /ـ ١ـ قـلـ)ـ (ـوـلـمـاـذـاـ؟ـ فـأـيـنـ عـنـهـ الـمـزـودـ ،ـ فـأـقـرـأـ وـلـكـ أـنـ لـاـ تـصـدـقـ الـمـزـاـيدـةـ بـالـمـزـودـ وـلـكـنـ لـاـ شـكـ أـئـهـ بـعـدـ مـقـتـلـ عـثـمـانـ حـسـنـتـ حـالـهـ وـكـثـرـ مـالـهـ فـقـدـ أـخـرـجـ اـبـنـ سـعـدـ فـيـ طـبـقـاتـ ٤ـ قـ ٥٣ـ طـ أـفـسـتـ لـيـدـنـ :ـ بـسـنـهـ عـنـ مـحـمـدـ قـالـ :ـ تـخـطـ أـبـوـ هـرـيـرـةـ وـعـلـيـهـ ثـوـبـ مـنـ كـهـانـ مـشـقـ ،ـ

تاسعاً . زيد بن ثابت الأنباري :

قال أبو عمر : «كان عثمان يحب زيد بن ثابت وكان زيد عثمانياً»^(١). ولعله المدافع الوحيد عن عثمان من الأنصار وقد مرّ بنا أن عثمان أعطاه مائة ألف من مال أتى به أبو موسى الأشعري ، ولقد ذكر الطبرى في تاريخه موقفه يوم الجمعة حين رجع المصريون ومعهم غلام عثمان والكتاب الذي فيه قتلهم : «خرج عثمان للصلوة وخطب مندداً بالشوار ، ومستشهاداً على ذلك من حضر. فقام محمد بن مسلمة فقال : أنا أشهد بذلك فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده ، فقام

فتمحط فيه ، فقال : بخ بخ يتمحط أبو هريرة في الكتان ، لقد رأيتني أخرّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة يجيء الجائي يرى أن بي جنوناً وما بي إلا الجموع ، ولقد رأيتني واني لأجير لابن عفان وابنة غزوan بطعم بطني وعقبة رحلي أسوق بهم إذا أرخلوا ، وأخدمهم إذا نزلوا. فقالت يوماً : لترذنه حافياً ولتركبته قائماً. تعنى البعير. قال : فزوجنها الله بعد ذلك فقلت لها : لترذنه حافية ، ولتركبته قائمة. ويبدو أنه بصص عينيه الأميرة يوم كان يخدمها فأعجبته وتمناها فصارت إليه ولكنّه لم يخف تشقّيقه منها.

روى البلاذري قال : وخلف أبو هريرة على فاختة بنت غزوan وهي بسرة فكان يقول كنت أجير ابن عفان بطعم بطني وعقبة رحلي ، أخدمهم إذا نزلوا وأسوق بهم إذا ركبوا ، فغضب عليّ يوماً فقال : لتمشين حافياً ، ثم تزوجت أمرأته (أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٩٣).

ولا تخفي لغة التشفي عند أبي هريرة بالرغم من إحسان الزوجين عثمان وأبنته غزوan إليه فلم يكن وفياً لهم ولا للأمويين بقدر ما كانوا لهم له في حياته كما مرّ ، وحتى بعد وفاته. فقد كان ولد عثمان هم الذين يحملون سريره. عند موته. ومن قصره بالحقيقة حتى بلغوا القيمة حفظاً لحقه بما كان من رأيه في عثمان (طبقات ابن سعد ٤ ق ٢ / ٦٣) وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية يخبره بموت أبي هريرة ، فكتب إليه أنظر من ترك فادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم ، وأفعل إليهم معروفاً ، فإنه كان من نصر عثمان وكان معه في الدار فرحمه الله (طبقات ابن سعد ٤ ق ٢ / ٦٣). وكل إباء بالذى فيه ينضح.

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ١ / ٥٣٤.

زيد بن ثابت فقال : أبغني الكتاب ، فشار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قتيرة فأقعده وقال : فأفظع ... وحصبو عثمان حتى صُرِعَ عن المنبر^(١).

وقد روى البلاذري من حديث أبي مخنف : «إنه أجتمع عليه الأنصار فقالوا : ماذا ترى يا أبي سعيد؟ فقال : أتطيعني؟ قالوا : نعم ان شاء الله ، فقال : إنكم نصرتم الله ونبيه فانصرموا خليفته ، فأجابه قوم منهم.

قال سهل بن حنيف : يا زيد أشبعك عثمان من عضدات المدينة . العضيدة نخلة قصيرة ينال حملها . فقال زيد : لا تقتلوا الشيخ ودعوه يموت فما أقرب أجله.

قال الحجاج بن غزية الأنصاري . أحد بنى النجار . : والله لو لم ييق من عمره إلا ما بين الظهر والعصر لتقربنا إلى الله بدمه^(٢).

وفي حديث الواقدي : «أنّ زيد بن ثابت أجتمع عليه عصابة من الأنصار وهو يدعوهم إلى نصرة عثمان فوقف عليه جبّة بن عمرو بن حبة المازني فقال له : وما يمنعك يا زيد أن تذبّ عنه؟ أعطاك عشرة آلاف دينار وحدائق من نخل لم ترث عن أبيك بمثل حدائق منها»^(٣).

وروى البلاذري عن رجاله قالوا : «لما أعطي عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلثمائة ألف درهم ، وأعطى زيد ابن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم . جعل أبو ذر يقول : بشر الكافرين بعذابٍ أليم ...».

وروى ابن أثيم في الفتوح : «أنّ زيد بن ثابت كان إلى جانب عثمان يوم أشرف على الناس وكلمهم ، فلمّا سكت عثمان تكلم زيد بن ثابت فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٣٥٣ ط دار المعرف.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٦٩ تـ إحسان عباس.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٢٥ ط مصر الأولى.

فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ^(١) فصاح به الناس
يا زيد ان عثمان قد أشبعك من أموال الأرامل ولا بد لك من نصره^(٢).

وروى المسعودي عن سعيد بن المسيب : «أنّ زيد بن ثابت حين مات
خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس ، غير ما خلف من الأموال
والضياع بقيمة مائة ألف دينار»^(٣).

ولم لا يخلف ذلك وقد كان خازن بيت المال ولاه عثمان بعد عزل عبد الله
ابن الأرقم وقال له يوماً ، وقد فضل في بيت المال فضلة خذها فهي لك فأخذها
زيد فكانت أكثر من مائة ألف ، فكم من فضلة حواها بلا كد ولا نصب وقس
على زيد بن ثابت حسان بن ثابت الذي كان عثمان محسناً إليه. كما يقول
المسعودي في المروج^(٤). وكان إحسان عثمان إلى حسان قد غمره حتى صيره
عثمانياً منحرفاً عن غيره ، وهو القائل فيما تخلف عن عثمان وخذه من الأنصار
وغيرهم ، وأuan عليه وعلى قتله :

خذلتـه الأنصـار إـذ حـضرـ المـوـ
أـيـنـ أـيـنـ الـوـفـاءـ إـذـ مـنـعـ المـاـ
مـنـ عـذـيرـيـ مـنـ الزـبـيرـ وـمـنـ طـلـحةـ
ثـمـ قـالـاـ أـرـادـ يـسـ تـبـدـ الـدـلـينـ
فـتـولـيـ مـحـمـدـ بـنـ أـيـ بـكـ
تـ وـكـانـتـ ثـقـاتـهـ الـأـنـصـارـ
ءـ فـدـتـهـ النـفـوسـ وـالـأـبـصـارـ
هـاجـالـهـ أـمـرـأـلـهـ إـعـصـارـ
اعـتـدـراـ وـلـأـمـورـ قـرـارـ
رـجـهـارـاـ وـبـعـدـهـ عـمـارـ ...ـ اـخـ.

(١) الأنعام / ١٥٩ .

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٤١ تج إحسان عباس.

(٣) مروج الذهب ٢ ط ٣ / ٣٤٢ تج محمد محى الدين عبد الحميد بمصر.

(٤) المصدر السابق ٢ / ٣٥٦ .

وهذه الأيات ذكرها ابن أعثم في الفتوح^(١) ، وورد منها الأول والثالث والخامس في مروج الذهب^(٢) ، ولم ترد في ديوان حسان المطبوع . فحسان لم ينصر عثمان بسوى اللسان ، لأنّه كان الجبان ، ويكتفيه شاهداً يوم الأحزاب حيث كان في أطّم مع النساء والصبيان^(٣) .

سخاء عثمان إلّا مع بنى هاشم !

فالأرض إلّا على ملاكها ساعدة والمال إلّا على أربابه ديم قال الدكتور طه حسين في الفتنة الكبرى (عثمان) : «والسياسة المالية التي اصطنعها عثمان منذ خض بالخلافة كلّها موضوع للنقدمة والإنكار من أكثر الذين عاصروا عثمان ، ومن أكثر الرواة والمؤرخين . وإن أصبحت فيما بعد موضوعاً للجدل بين المتكلمين يدافع عنها أهل السنة والمعزلة . وينكرها الشيعة والخوارج جميعاً ... اهـ»^(٤) .

(١) الفتوح / ٢ ٢٣٩ .

(٢) مروج الذهب / ٢ ٣٥٥ و ٣٥٦ بتفاوت .

(٣) ذكر الذهبي في ترجمة حسان في كتابه سير أعلام النبلاء ٤ / ١٣٥ ط دار الفكر قال : لما خلف رسول الله ﷺ نساءه في حصن فارع وفيهن صافية بنت عبد المطلب وخليف فيهن حسان ، فأقبل رجل من المشركين ليدخل عليهن فقالت صافية لحسان عليك الرجل ، فجبن وأبي عليهما فتناولت السيف فضررت به المشرك حتى قتله ، فقطعت رأسه ، وقالت لحسان قم فأطروحه على اليهود وهم تحت الحصن قال :

والله ما ذلك بي ، فأخذت هي رأسه فرمته به عليهم ، فقالوا : قد علمنا والله ، إن هذا لم يكن ليترك أهله خلوفاً ليس معهم أحد ففرقوا . وذكر أيضاً أن صافية قالت لحسان قم فأسلبه فإني امرأة وهو رجل ، فقال : ما لي بسلبه يا بنت عبد المطلب من حاجة . وهذا مروي في سيرة ابن هشام ومستدرك الحكم وتاريخ دمشق وغيرها . ولا عجب ، إنما العجب من الذهبي أن يذكره في سير أعلام النبلاء ، وكان عليه أن يجعله في (سير أعلام الجناء) ولعل الرجل لم يجد لحسان ثانياً في الجنـ.

(٤) الفتنة الكبرى ١ / ١٩٠ .

فمن بواعث النقمـة علـى عثمان بعـشرة الأمـوال بـسخـاء هـنا وهـنـاك فـي غـير
مـسـتحقـيـها ، ثـمـ حـرـمان نـاـقـديـه حـتـى مـن عـطـائـهـم كـمـا مـرـّ فـي صـنـعـهـ ذـلـكـ مـعـ أـبـيـ ذـرـ
وـابـنـ مـسـعـودـ ، وـلـاـكـانـ بـنـوـ هـاشـمـ وـعـلـى رـأـسـهـمـ الإـمـامـ عـلـيـ عـلـيـلـاـ وـعـمـهـ العـبـاسـ
وـابـنـهـ عـبـدـ اللـهـ مـنـ جـمـلـةـ النـاصـحـينـ لـعـثـمـانـ فـي تـطـيـعـ سـيـرـتـهـ مـعـ السـاخـطـينـ ، فـقـدـ
غـاظـهـ أـنـ يـكـونـواـ مـنـ النـاقـدـيـنـ فـصـنـعـ مـعـهـمـ مـاـ وـسـعـهـ أـنـ يـفـعـلـ بـهـمـ وـمـعـهـمـ ، فـلـمـ
يـمـنـحـهـمـ إـقـطـاعـاـًـ ، وـلـمـ يـنـفـحـهـمـ إـشـبـاعـاـًـ ، بـلـ كـانـ تـفـوـيقـاـًـ وـتـرـشـيـفـاـًـ كـسـائـرـ النـاسـ وـكـانـ
ذـلـكـ مـاـ أـحـنـقـهـمـ عـلـيـهـ ، كـيـفـ وـهـمـ يـرـوـنـ فـيـأـهـمـ فـيـ غـيرـهـمـ مـتـقـسـمـاـًـ وـأـيـدـيـهـمـ مـنـ
فـيـئـهـمـ صـفـرـاتـ وـحـسـبـنـاـ فـيـ المـقـامـ قـوـلـ الإـمـامـ : «إـنـ بـنـيـ أـمـيـةـ لـيـفـوـقـونـيـ تـرـاثـ
مـحـمـدـ عـلـيـلـهـ عـلـيـلـهـ تـفـوـيقـاـًـ ، لـأـنـفـضـنـهـمـ نـفـضـ الـلـحـامـ الـوـذـامـ التـرـبـةـ»^(١).

قـالـ الشـرـيفـ الرـضـيـ : «وـقـولـهـ عـلـيـلـاـ : (ليـفـوـقـونـيـ)ـ أـيـ : يـعـطـونـيـ مـنـ المـالـ قـلـيلـاـ
قلـيلـاـ كـفـوـاـقـ النـاقـةـ ، وـهـوـ الـحـلـبـةـ الـواـحـدـةـ مـنـ لـبـنـهـاـ ، وـالـوـذـامـ : جـمـعـ وـذـمـةـ وـهـيـ : الـحـزـةـ
مـنـ الـكـرـشـ أوـ الـكـبـدـ تـقـعـ فـيـ التـرـابـ فـتـنـفـضـ».

قـالـ اـبـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ : «إـعـلـمـ أـنـ أـصـلـ هـذـاـ خـبـرـ قـدـ روـاهـ أـبـوـ الفـرجـ عـلـيـ بـنـ
الـحـسـينـ الـأـصـفـهـانـيـ فـيـ كـتـابـ الـأـغـانـيـ بـإـسـنـادـ رـفـعـهـ إـلـىـ الـحـرـبـ بـنـ جـيـشـ قـالـ :
بعـثـيـ سـعـيدـ بـنـ الـعـاصـ وـهـوـ يـوـمـئـذـ أـمـيـرـ الـكـوـفـةـ مـنـ قـبـلـ عـثـمـانـ بـهـدـاـيـاـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ ،
وـبـعـثـ مـعـيـ هـدـيـةـ إـلـىـ عـلـيـ عـلـيـلـاـ ، وـكـتـبـ إـلـيـهـ إـنـيـ لـمـ أـبـعـثـ إـلـىـ أـحـدـ أـكـثـرـ مـاـ بـعـثـ
بـهـ إـلـيـكـ إـلـاـ إـلـىـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ ، فـلـمـ أـتـيـتـ عـلـيـاـ عـلـيـلـاـ وـقـرـأـ كـتـابـهـ قـالـ : لـشـدـ مـاـ يـحـظـرـ
عـلـيـ بـنـوـ أـمـيـةـ تـرـاثـ مـحـمـدـ عـلـيـلـهـ ، أـمـاـ وـالـلـهـ لـأـنـفـضـنـهـاـ نـفـضـ الـقـصـابـ الـتـرـابـ الـوـذـمـةـ.
قـالـ أـبـوـ الفـرجـ وـهـذـاـ خـطـأـ إـنـاـ هـوـ الـوـذـامـ التـرـبـةـ. قـالـ : وـحـدـثـنـيـ بـذـلـكـ أـمـدـ بـنـ عـبـدـ

(١) شـرحـ نـجـاحـ الـبـلـاغـةـ ١ / ١٢٣ شـرحـ مـحـمـدـ عـبـدـهـ.

العزيز الجوهري عن أبي يزيد عمر بن شبة بساند ذكره في الكتاب أن سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبي عائشة مولاه إلى عليّ بن أبي طالب عليهما السلام بصلة ، فقال عليّ عليهما السلام : والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرمدة ، والله لئن بقيت لأنفضناها نفض القصّاب الودام التربة»^(١).

ولقد بحثت كثيراً عسى أجد خبراً يذكر فيه منحةً من عثمان لأحد الهاشميين ولو مرة واحدة ، فلم أقف على ذلك إلا في خبر رواه البلاذري في أنسابه قال : «وكان ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شريك عثمان في الجاهلية ، فقال العباس بن ربيعة بن الحارث لعثمان : أكتب إلى ابن عامر يسلفي مائة ألف درهم ، فكتب له فأعطاه مائة ألف درهم صلة ، وأقطعه دار العباس بن ربيعة فهي تعرف به»^(٢).

فهذا هو الوحيد الذي نال صلة ابن عامر أته رمية من غير رام ، من غير كدٍ وجهد ، ولم يكن قد أستجدى من عثمان أو عامله ابن عامر ، بل طلب أن يسلفه ابن عامر ، إلا أنّ ابن عامر هرته الأريحية فسخاله بمائة ألف درهم من بيت المال وزاد على ذلك أقطعه داراً فهيا تعرف به ؟ وستأتي روایة الزبير بن بكار وفيها إرسال عثمان على الإمام علي عليهما السلام وقت الهاجرة فأتاه وبين يديه مال دثر صرتان من ورق وذهب ، فقال دونك خذ من هذا حتى تملأ بطنك فقد أحرقني . فأبى أن يأخذ منه لأنّه من مال المسلمين وليس لعثمان حقّ بعترته كيف شاء . فانتظر تمام الحديث في محله .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٦٣ ط مصر الأولى.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٢٨.

مواقف عثمان مع بنى هاشم :

والآن وبعد مسيرة مع جانب من الأحداث عبر أكثر من عقد من الزمن طالت أيام حكومة عثمان ، فقد رأينا كيف استطالت فيها أعناق رجال لم يكونوا لولاه إلا في غيابات التاريخ ، ومع لعنت الذكر السيء ، وقد جعلوا من حكومة عثمان - الواهي المستضعف أمام نزواتهم وشهواتهم . حكومة سلط وجبرية ، بينما هم من اللعناء والطلاقاء والفساق ، فساموا المسلمين سوء العذاب قتلاً وتشریداً وتطریداً ونحبأ بلا خوف من عثمان ، بل على رضى منه أحياناً ، فارتفع النكير والتشهير ، وبدت نذر الشر المستطير ، لأنّ عثمان أول من آثر القرابة والأولياء كما مرّ ذلك عن الشيعاني . ورأينا أيضاً إلى جانب ما سبق كيف تنكر لعثمان بعض المتنعرين به ، ممن كانوا ينعمون بعطائه ويحبونه جزيل حبائمه ، لكنهم أسوأ إليه إساءة لا تغفر بمعيار الأخلاق العربية وهم جيعاً من أبنائهما ، فضلاً عن الشريعة الإسلامية وكلهم يعيشون في أجوائهما . فكانوا من أشدّ المحرّضين عليه كطلحة والزبير وعائشة وغيرهم من جازوه جزاء سنمار .

ثم رأينا من خلال تلك الأحداث إطالة لبني هاشم ، فقرأنا اسم عليّ واسم العباس واسم ابنه عبد الله في أسباب السخط وأسماء الساخطين ، وهذا يحملنا على الاعتقاد في تصنيفهم بالرأي مع الساخطين ، إذ لم يكونوا يوماً ما من النفعين .

وهذا ما يلزمنا أيضاً بال الوقوف عنده لقراءة بعض النصوص قراءة تدبر وتحقيق لنعرف لماذا كانوا رأياً مع الساخطين ؟ فهل نالمهم عثمان بأذاته كما نال أبا ذر وابن مسعود وعمّار وأضرابهم من نفي أو ضرب فأعلنوا سخطهم لما لحقهم من الأذى ؟

أم أكْهُمْ أفقدهم عثمان منافعهم الشخصية ، فأثار ذلك حفاظهم عليه ، فاعلنوا سخطهم لفقدانهم منافعهم. أم أكْهُمْ كانوا ضحية الاستجابة لسماع شكاوى المحروميين الذين لحقهم حيف وعسف عثمان وولاته ، فأخندوا من بني هاشم جأ وكهفًا لرفع الضيم عنهم ، فأعلنوا هم سخطهم تضامناً مع المحروميين ؟

رِبَّما كان ذلك كله مجتمعاً ، وإن كان تأثير آخرها أقوى من تأثير البعض الآخر ، مضافاً إلى التداعيات التي تجمعت في خزين ترات التراكمات ، فصارت النفرة بين الطرفين معلنة دون حجاب ، حتى أسفرت بينهما بمواجهة الخطاب ، ومع ذلك فتبقى الفوارق بين المواقف حسب تصرفات عثمان أزاء الأقطاب الثلاثة ، فهو على ما وصفه علماء التجليل بالحياء والدعة في السلوك والسلوك ، إلا أنه كانت له مواقف متباينة بل ومتمنية مع الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فمن المتظر أن تكون مواقف الإمام ماثلة ، إلا إنما لدى المقارنة بجدالين وسلامة الطوية والنصح له أكثر شواهد من الشدة من جانب الإمام.

أمّا موقف عثمان من العباس وابنه فإنه كان مع الأب أكثر أدباً وألين عريكة رِبَّما لأنّه من أخواله ، وليس يعني ذلك تخلصه من عقدة النقص التي كانت قريش تشعر بها. ومنهم عثمان . أزاء بني هاشم حيث يرون أسباب الفضل بأيديهم ، وهذا الشعور الموروث عند عامة القرشيين وعند الأمويين خاصة ، لم تمحه الأيام ، فكان يشير كaman أحقادهم فيظهرونه عند مواثة الفرص. كما ستأتي كلمات عثمان المسورة التي تم عن حقد دفين.

فلنقرأ بعض النصوص الجارحة من عثمان له وعليه أزاء بني هاشم وفي مقدمتهم الأقطاب الثلاثة خصوصاً الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ لنعرف مدى المعاناة التي كانوا يعيشونها :

١ . أخرج الميثمي في مجمع الزوائد عن سعيد بن المسيب قال : «كان لعثمان آذن فكان يخرج بين يديه للصلوة . قال : فخرج يوماً فصلى والأذن بين يديه ثم جاء . فجلس الآذن ناحية . ولف عثمان . رداءه فوضـعه تحت رأسه وأضطجع ووضع الدرة بين يديه ، فأقبل على في إزار ورداء وبيده عصاً ، فلما رأه الآذن من بعيد قال : هذا على قد أقبل فجلس عثمان فأخذ عليه رداءه ، فجاء على حتى قام على رأسه فقال : اشتريت ضيعة آل فلان ولوقف رسول الله ﷺ في مائتها حق؟ أما إني قد علمت أنه لا يشتريها غيرك .

فقام عثمان وجرى بينهما كلام ، حتى ألقى الله عزوجل العباس فدخل بينهما ، ورفع عثمان على الدرة ، ورفع على على عثمان العصا ، فجعل العباس يسكتهما ويقول لعلي : أمير المؤمنين ، ويقول لعثمان : ابن عمك . فلم يزل حتى سكتهما ، فلما أن كان من الغدرأيتهما وكل واحد منهم آخذ بيد صاحبه وهما يتحدثان ... اه» .

قال الميثمي : «رواه الطبراني في الأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم»^(١) .

٢ . أخرج الميثمي في مجمع الزوائد عن ابن عباس قال : «كان رسول الله ﷺ أعطانا نصيباً من خير ، وأعطناه أبو بكر ، فلما كان عمر وكثر عليه الناس ، أرسل إلينا ثم قال : إن الناس قد كثروا على وإن شئتم أن تعطونكم مكان نصيبيكم من خير مالاً؟ فنظر بعضنا إلى بعض ، فقلنا : نعم ، فطعن عمر ولم يعطنا شيئاً ، فأخذها عثمان فأتي بآن يعطينا وقال : قد كان عمر أخذها منكم» .

(١) مجمع الزوائد ٧ / ٢٦٦ .

قال الهيثمي : «رواه البزار وفيه حكيم بن جبير وهو متوك»^(١)^(٢).

٣. أخرج عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن أبي إسحاق قال : «جاء أبو ذر إلى عثمان فعاب عليه شيئاً ثم قام. فجاء عليّ معتمدأ على عصاً حتى وقف على عثمان ، فقال له عثمان : ما تأمننا في هذا الكذاب على الله وعلى رسوله؟ فقال عليّ : أنزله منزلة مؤمن آل فرعون ﴿إِنْ يَكُنْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾^(٣).

فقال له عثمان : أسكت في فيك التراب.

فقال عليّ : بل في فيك التراب^(٤) إستأمرتنا فأمرناك^(٥).

أقول : لئن ستر عبد الرزاق أو أحد رواته فلم يذكر ما عاب به أبو ذر على عثمان ، فلا نعد من ذكره بأمانته ، ممّن لا يخشى بطش عثمان وبطانته.

فقد روى عبد الله بن أبي عمارة الأنباري قال : «لما قدم أبو ذر على عثمان قال : أخبرني أيّ البلاد أحب إليك؟ قال : مهاجري ، قال : لست بمجاوي.

(١) نفس المصدر ٦ / ٦.

(٢) من المضحك . وشر البلية ما يضحك . أن حكيم بن جبير من رجال الصحاح كما رمز له الذهبي في ميزان الاعتدال ١ / ٥٨٣ وفي نظري إنما جرحه بالترك والضعف ونكران الحديث ، لأنّه روى بسنده عن سلمان قلت يا رسول الله إن الله لم يبعث نبياً إلا بين له من يلي بعده ، فهل بين لك؟ قال : نعم ، عليّ.

و كذلك روى بسنده عن عليّ : أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، راجع ميزان الاعتدال ١ / ٥٨٤ ولذا ونحوه قال فيه أبو حاتم : ضعيف الحديث له رأي غير محمود نسأل الله السلامة غال في التشيع ، تحذيب التهذيب ٢ / ٤٤٦ .

(٣) غافر / ٢٨.

(٤) لقد مرت شتيمة مماثلة متبادلة بين عثمان أو عمرو وبين عليّ في مخالفات شرعية في مسائل الحج في أكل الحرم الصيد فراجع.

(٥) المصنف لعبد الرزاق ١١ / ٣٤٩ .

قال : فألحق بحرم الله فأكون فيه ؟ قال : لا ، قال : فالكوفة أرض بها أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، قال : فلست بمختار غيرهنّ ، فأمره بالمسير إلى الريذنة . فقال : إنّ رسول الله ﷺ قال لي أسمع وأطع وأنقد حيث قادوك ولو بعد جنبي مخدوع ، فخرج إلى الريذنة ، فأقام هناك مدة ، ثم دخل المدينة فدخل على عثمان والناس عنده سماطين . فقال : يا أمير المؤمنين إنك أخرجتني من أرض ليس لي بها زرع ولا ضرع إلّا شويهات ، وليس لي خادم إلّا ممرة (كذا) ولا ظل يظلي إلّا ظل شجرة ، فأعطي خادماً وغنيمات (أعيش) فيها ، فحوال وجهه عنه ، فتحول إلى السماط الآخر فقال : مثل ذلك .

فقال حبيب بن سلمة : لك عندي يا أبي ذر ألف درهم وخمسمائة شاة ، قال أبو ذر : أعط خادمك ألفك وشويهاتك من هو أحوج إلى ذلك مني ، فإني إنما أسأل حقي في كتاب الله .

فجاء على عليه السلام فقال له عثمان : ألا تغنى عنا سفيهك هذا . قال : أي سفيه ؟ قال : أبو ذر .

قال على : ليس بسفيه سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أظلمت الخضراء ولا أقلت الغبراء على أصدق هجة من أبي ذر ، أنزله منزلة مؤمن آل فرعون ﴿إِنَّ يَكُوْنُ كَذِيْبَهُ كَذِيْبَهُ وَإِنْ يَكُوْنُ صَادِقًا يُصِبِّكُمْ بَعْضُ الَّذِيْنِ يَعِدُّهُم﴾^(١) . قال عثمان : التراب في فيك ، قال على عليه السلام : بل التراب في فيك ، أنسد الله من سمع رسول الله ﷺ يقول ذلك لأبي ذر ؟ فقام أبو هريرة وعشرة فشهادوا بذلك على قول على^(٢) .

(١) غافر / ٢٨ .

(٢) بحار الأنوار ٨ / ٣٤٦ ط الكمباني على الحجر نقاً عن أمالي الطوسي .

٤ . روى الثقفي في تاريخه بإسناده عن ابن عباس قال : «استأذن أبو ذر على عثمان فأبى أن يأذن له ، فقال لي : استأذن لي عليه ، قال ابن عباس : فرجعت إلى عثمان فاستأذنت له ، قال : إله يؤذيني ، قلت : عسى أن لا يفعل ، فأذن له من أجلني ، فلما دخل عليه قال له : اتق الله يا عثمان ، فجعل يقول : اتق الله وعثمان يتوعده قال أبو ذر : إنّه قد حدثني نبي الله إنّه يجاء بك وب أصحابك يوم القيمة فتبطحون على وجوهكم فتمر عليكم البهائم فتطأكم كلما مرت أخراها ردت أولاها حتى يفصل بين الناس»^(١).

٥ . وذكر الثقفي في تاريخه عن ثعلبة بن حكيم قال : «بِنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ عُثْمَانَ وَعِنْدَهُ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَغَيْرِهِمْ ، فَجَاءَ أَبُو ذَرٍّ يَتَوَكَّلُ عَلَى عَصَاهِ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَ : اتَّقُ اللَّهَ يَا عُثْمَانَ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَذَا وَكَذَا وَتَصْنَعُ كَذَا وَكَذَا . وَذَكَرَ مَسَاوِيهِ . فَسَكَتَ عُثْمَانَ حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ قَالَ : مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ هَذَا الَّذِي لَا يَدْعُ مَسَاةً إِلَّا ذَكَرَهَا؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأُرْسَلَ إِلَيْهِ فَجَاءَ فَقَامَ مَقَامَ أَبِي ذَرٍّ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسْنَ مَا تَرَى أَبَا ذَرٍّ لَا يَدْعُ لِي مَسَاةً إِلَّا ذَكَرَهَا.

فَقَالَ : يَا عُثْمَانَ أَتَيْتُ أَهْنَاكَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، يَا عُثْمَانَ أَهْنَاكَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، أَتَرَكَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُؤْمِنِ آلِ فَرْعَوْنَ ﴿إِنَّ يَأْكُلُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبَهُ وَإِنَّ يَأْكُلُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾^(٢) قَالَ لِهِ عُثْمَانَ : بِفِيكَ التَّرَابُ ، قَالَ لَهُ عَلَيْيَ : بِلِ بِفِيكَ التَّرَابِ ثُمَّ انصَرَفَ»^(٣).

(١) نفس المصدر / ٣١٦.

(٢) غافر / ٢٨.

(٣) بحار الأنوار ٨ / ٣٤٦ ط الكمباني.

٦ . وذكر الثقفي في تاريخه عن عبد الملك ابن أخي أبي ذر . وذكر حديث أبي ذر بالشام ثم جلبه إلى المدينة وما لاقاه من عنيف المسير . : «ثم حجبه عثمان جمعة وجمعة حتى مضت عشرون ليلة أو نحوها وأفاق أبو ذر ثم أرسل إليه وهو معتمد على يدي ، فدخلنا عليه وهو متكيء فاستوى قاعداً ، فلما دنا أبوه ذر منه قال عثمان :

فقال له أبو ذر : فوالله ما سَمِّيَ اللَّهُ بِعَمَّ رَوَ عَيْنَاهُ
على العهد الّذِي فارقت عليه رسول الله ﷺ مَا غَيَّرَتْ وَلَا بَدَّلتْ ، فقال له عثمان :
كذبت ، لقد كذبتك على نبينا ، وطعنت في ديننا ، وفارقتك رأينا ، وضاغت قلوب
المسلمين علينا ثم قال لبعض غلمانه : ادع لي قريشاً ، فانطلق رسوله ، فما لبثنا أن
امتنأ البيت من رجال قريش فقال لهم عثمان : إنا أرسلنا إليكم في هذا الشيخ
الكذاب الّذِي يكذب على نبينا وطعن في ديننا وضاغت قلوب المسلمين علينا.
وإليّ قد رأيت أن أقتله وأصلبه أو أنفيه من الأرض. فقال بعضهم : رأينا لرأيك
تبع وقال بعضهم : لا تفعل فإنه صاحب رسول الله ﷺ وله حق ، فما منهم أحد
آذى الذي عليه ، فبيانا لهم كذلك اذ جاء عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ يتوكل على عصاً
سرًا ، فسلم عليه ونظر ولم يجد مقعدًا ، فأعتمد على عصاه. فما أدرى أخْلَفَ
عمداً ؟ أم يظن به غير ذلك. قال عليّ : فيم أرسلتم إلينا ، فقال عثمان : أرسلنا إليكم
في هذا الشيخ الّذِي قد كذب على نبينا وطعن في ديننا وخالف رأينا ، وضاغت
قلوب المسلمين علينا ، وقد رأينا أن نقتله أو نصلبه أو ننفيه من الأرض.



قال عليّ : أفلأ أدلّكم على خير من ذلكم وأقرب رشدًا ؟ تتركونه بمنزلة مؤمن آل فرعون ﴿إِنْ يَكُنْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبَةٌ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِبُّكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾^(١).

قال له عثمان : بفيك التراب ، فقال له عليّ : بل بفيك التراب ، وسيكون ، فأمر بالناس فاخروا»^(٢).

٧ . وذكر النقفي في تاريخه عن المعرور بن سويد قال : «كان عثمان يخطب ، فأخذ أبو ذر بحلقة الباب فقال : أنا أبو ذر من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا جندي سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إِنَّمَا مُثُلَ أَهْلَ بَيْتِي مُثُلَ سَفِينةٍ نَوْحٍ فِي قَوْمٍ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ ، وَمَنْ رَكِبَهَا نَجَا).

قال له عثمان : كذبت.

فقال له عليّ عليه السلام : إنما كان عليك أن تقول كما قال العبد الصالح ﴿إِنْ يَكُنْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبَةٌ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِبُّكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾^(٣) فما أتم حتى قال عثمان : بفيك التراب.

فقال عليّ عليه السلام : بل بفيك التراب»^(٤).

أقول : يبدو أن شتم عثمان للإمام «بفيك التراب» ورد الإمام عليه بمثلها ، كانت في مواطن عديدة ، فقد مرت آنفًا في مخالفات شرعية في مسائل الحج في أكل الحرم الصيد فراجعاً. وجاءت أيضًا قريباً ففي المسجد وفي بيت عثمان مكرراً.

(١) غافر / ٢٨ .

(٢) بحار الأنوار ٨ / ٣١٧ ط الكمباني على الحجر نقلًا عن تاريخ النقفي.

(٣) غافر / ٢٨ .

(٤) بحار الأنوار ٨ / ٣١٧ ط الكمباني.

٨ - أخرج عبد الرزاق في المصنف بسنده إلى أبي كعب الحارثي وهو ذو الأداة . وقد مرّ بعض حديثه في حفصة وسعد بن أبي وقاص . قال : «فلقي عثمان . علياً بباب المسجد فقال له عليّ أين تريد ؟ قال : أريد هذا الذي كذا وكذا . يعني سعد بن أبي وقاص فشتمه . فقال له عليّ : أيها الرجل دع هذا عنك .

قال : فلم يزل بهما الكلام حتى غضب عثمان فقال : ألسنت المخالف عن رسول الله ﷺ يوم تبوك (!؟) .
قال عليّ : ألسنت الفار عن رسول الله ﷺ يوم أحد قال : ثم حجز بينهما الناس»^(١) .

أقول : إن من السخرية بمكان ، أن يقول ذلك عثمان ، وهو يعلم أن ذلك كان من قول المنافقين في يوم تبوك^(٢) كما يعلم هو وغيره أن ذلك كان سبب قول النبي ﷺ عليّ يومئذ : (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا آنه لا نبي بعدي) فعرف ذلك بحديث المنزلة ، وقد أستوفى ابن عساكر طرقه في تاريخه .

وقال : وقد رواه جمّع كثير من الصحابة والأنصار والتلابين ، وذكر من رواته عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص بطرق عنه كثيرة ، ثم ذكر أسماء ما يزيد على عشرين صاحبياً ممن روى الحديث المذكور^(٣) .

(١) المصنف لعبد الرزاق / ١١ / ٣٥٦ .

(٢) جاء في كتاب الإمام الحسن الزكي عليه السلام قال معاوية وأصحابه : أنسدكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ أستخلفه على المدينة في غزوة تبوك ولا سخطه ذلك ولا كرهه ، وتكلّم فيه المنافقون ... (بحار الأنوار ٤٤ / ٧٨ ط الإسلامية ، وراجع الاحتجاج للطبرسي) .

(٣) تاريخ مدينة دمشق (ترجمة الإمام) ١ / ٣٦٤ - ٢٨١ ط بيروت .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب في أوائل ترجمة الإمام بعد أن ذكر الحديث : « هو من ثبت الآثار وأصحها رواه عن النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص ، وطرق حديث سعد فيه كثيرة جداً ، وقد ذكرها ابن أبي خثيمه وغيره ، ورواه ابن عباس وأبو سعيد الخدري وأم سلمة وأسماء بنت عميس وجابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة يطول ذكرهم »^(١).

هذا الحديث أخرجه جميع أصحاب الصاحب الستة كما أخرجه الكثيرون من المحدثين والمؤرخين وأرباب السير ، ومنهم ابن سعد في الطبقات بسنته عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالا : « لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب : إنّه لا بدّ من أن أقيّم أو تقىي فخلفه ، فلما نصّل رسول الله ﷺ غازياً قال ناس : ما خلف علىّا إلا لشيء كرهه منه ، فبلغ ذلك علىّا فاتّبع رسول الله ﷺ حتى انتهى إليه فقال له : ما جاء بك يا علىّ؟ قال : لا يا رسول الله إلا إني سمعت ناساً يزعمون أنك إنما خلفتني لشيء كرهته مني ! فتضاحك رسول الله ﷺ وقال : (يا علىّ أما ترضى أن تكون ممني كهارون من موسى غير أنك لست بنبيّ؟ قال : بل يا رسول الله قال : فإنه كذلك)»^(٢).

وذكر ابن سعد الحديث برواية سعد بن أبي وقاص وفيه : « فأدبر علىّ مسرعاً كأني أنظر إلى غبار قدميه يسطح»^(٣).

ولا يبعد من مناوئي الإمام من العثمانيّة أنهم أختلفوا لعثمان تجهيز جيش العسرة في مقابل حديث المنزلة يومئذ. هذا عن تعير عثمان للإمام بخلافه يوم

(١) الاستيعاب ٢ / ٤٥٩ ط حيدر آباد.

(٢) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ١٥.

(٣) نفس المصدر.

تبوك. أمّا عن جواب الإمام وتعييره لعثمان بفراه يوم أحد فهو مّا ثبت عنه وكان يعيّر به دائمًا ولم يستطع إنكاره مرة واحدة بل كان يقول لمن عيّره به كعبد الرحمن بن عوف : أتعيّرني بذنب قد عفا الله لي عنه. فهو من المنهزمين في يوم أحد ولم يعد إلاّ بعد ثلاثة أيام ذكر الرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلُّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّكَا اسْتَرَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِعَضٍ مَا كَسَبُوا﴾^(١) : «إنّ من المنهزمين عمر ... ومنهم عثمان أهزم مع رجلين من الأنصار يقال لهم سعد وعقبة ، اخزموا حتى بلغوا موضعًا بعيدًا ثمّ رجعوا بعد ثلاثة أيام»^(٢).

٩ . وروى البلاذري في الأنساب قال : «حدثني عباس بن هشام عن أبيه عّمن حدثه عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن أبيه عن عبد الله بن عباس : ان عثمان شكا عليه إلى العباس فقال له : يا خال إنّ عليًّا قد قطع رحبي وألب الناس علىّ ، والله لئن كنتم يابني عبد المطلب أقررتم هذا الأمر في أيديبني تيم وعدني فبنو عبد مناف أحقر أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليه.

قال عبد الله بن العباس : فأطرق أبي طويلاً ثمّ قال : يا ابن أخت لئن كنت لا تحمدُ عليًّاً فما نحمدك له ، وإن حفّك في القرابة والإمامية للحقّ الذي لا يُدفع ولا يُجحّد ، فلو رقيت فيما نطاً ، أو تطأطأت فيما رقى تقاربتما ، وكان ذلك أوصل وأجمل.

قال : قد صيرت الأمر عن ذلك إليك فقرب الأمـر بيننا.

(١) آل عمران / ١٥٥

(٢) راجع أيضًا الإصابة لابن حجر في ترجمة رافع بن المعلّى الأنصاري وسعيد بن عثمان الأنصاري فقد ذكر نزول الآية في الرجلين ومعهما عثمان بن عفان.

قال : فلما خرجنا من عنده دخل عليه مروان فأزاله عن رأيه ، فما لبثنا أن جاء أبي رسول عثمان بالرجوع إليه فلما رجع قال : يا خال أحب أن تؤخر النظر في الأمر الذي أقيت إليك حتى أرى من رأي .

فخرج أبي من عنده ثم التفت إلي فقال : يا بُني ليس إلى هذا الرجل من أمره شيء . ثم قال : اللهم أسبق بي الفتن ولا تبقي إلى ما لا خير لي في البقاء إليه . فما كانت جمعة حتى هلك^(١) .

١٠ - وروى الزبير بن بكار في كتابه الموقفيات عن عبد الله بن عباس قال : «ما سمعت من أبي شيئاً قط في أمر عثمان يلومه فيه ولا يعذرها ، ولا سأله عن شيء من ذلك مخافة أن أهجم منه على ما لا يوافقه ، فأنا عنده ليلة ونحن نتعشى إذ قيل هذا أمير المؤمنين عثمان بالباب ، فقال أئذنا له ، فدخل فأوسع له على فراشه وأصاب من العشاء معه ، فلما رفع قام من كان هناك وثبت أنا ، فحمد الله عثمان وأثنى عليه ثم قال :

أّما بعد يا خال فإني قد جئتكم أستدرك من ابن أخيك عليّ سبني وشهر أمري وقطع رحمي وطعن في ديني ، وإن أعود بالله منكم يا بني عبد المطلب إن كان لكم حق ترعمون أنكم غلبتم عليه فقد تركتموه في يدي من فعل ذلك بكم ، وأنا أقرب إليكم رحماً منه ، وما ملت منكم أحداً إلا عليّاً ، ولقد دعيت أن أبسط عليه فتركته لله والرحم وأنا أخاف أن لا يتركني فلا أتركه .

قال ابن عباس : فحمد أبي الله وأثنى عليه ثم قال : أّما بعد يا بن أخي فإن كنت لا تحمد عليّاً لنفسك فإليّ لأحمدك لعليّ وما علىّ وحده قال فيك بل

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٤٩٨ .

غیره ، ولو أَنْكَ أَحْمَتْ نَفْسَكَ لِلنَّاسِ أَهْمَمُ النَّاسِ أَنْفُسَهُمْ لَكَ ، ولو أَنْكَ نَزَلتْ مَمَّا رَقِيتْ وَأَرْتَقْتُوا مَمَّا نَزَلُوا فَأَخْذَتْ مِنْهُمْ وَأَخْنَوْتْ مِنْكَ مَا كَانَ بِذَلِكَ بِأَبْسٍ .

قال عثمان : فذلك إليك يا خال وأنت بيوني وبيتهم . قال : أفادك لهم ذلك عنك ؟ قال : نعم ، وأنصرف . فما لبثنا أن قيل : هذا أمير المؤمنين قد رجع بالباب ، قال أبي : أئذنوا له فدخل فقام قائماً ولم يجلس وقال : لا تعجل يا خال حتى أؤذنك . فنظرنا فإذا مروان بن الحكم كان جالساً بالباب ينتظره حتى خرج فهو الذي ثناه عن رأيه الأول .

فأقبل عليَّ أبي وقال : يا بني ما إلى هذا من أمره شيء ، ثم قال : يا بني أملك عليك لسانك حتى ترى ما لا بد منه . ثم رفع يديه فقال : اللهم اسبق بي ما لا خير لي في إدراكه ، فما مرت جمعة حتى مات عليه السلام^(١) .

١١ - وروى البلاذري في أنساب الأشراف بإسناده عن صهيب مولى العباس : «ان العباس قال لعثمان : أذكري الله في أمر ابن عمك وابن خالك وصهرك وصاحبك مع رسول الله ﷺ فقد بلغني أنك تزيد أن تقوم به وبأصحابه. فقال : أول ما أحجيك به أين قد شفعتك ، إن علياً لو شاء لم يكن أحد عندي إلا دونه ولكن أني إلا رأيه.

ثم قال لعليّ : مثل قوله لعثمان فقال عليّ : لو أمرني عثمان أن أخرج من داري خرجت»^(٢).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد / ٢ . ٣٩٧ . وهذه الواقعة غير التي سبقتها وان عاصرتها زماناً ففي الأولى كانت الشكوى في دار عثمان والعباس حاضر عنده . أمّا هذه فهي في دار العباس وعثمان حاضر عنده ، ولا مانع من تعددهما إذا عرفناا تخطّي طبيعة السياسة يومئذ في معالجة مشاكل الناس وأستحوذ مروان على عثمان في تدبير أموره .

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٤٩٨ و ٤٩٩ .

١٢ . روى الواقدي في كتاب الشورى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «شهدت عتاب عثمان على عليه السلام يوماً فقال له في بعض ما قاله : نشدتك الله أن تفتح للفرقة بأباً فلعمدي بك وأنت تطيع عتيقاً وابن الخطاب طاعتك لرسول الله صلوات الله عليه وسلام ولست بدون واحد منها ، وأنا أمسك بك رحماً وأقرب إليك صهراً ، فإن كنت تزعم أن هذا الأمر جعله رسول الله صلوات الله عليه وسلام لك ، فقد رأيناك حين توفي نازعت ثم أقررت ، فإن كانا لم يركبا من الأمر جداً فكيف أذعنتم لهما بالبيعة وبخعث بالطاعة ، وإن كانا أحسنا فيما وليا ولم أقصر عنهم في ديني وحسبي وقرارني فكن لي كما كت لهما .

فقال على عليه السلام : أمّا الفرقة فمعاذ الله أن أفتح لها بأباً وأسهّل إليها سبلاً ، ولكنني أنهاك عمّا ينهاك الله ورسوله عنه ، وأهديك إلى رشدك . وأمّا عتيق وابن الخطاب فان كانوا أخذوا ما جعله رسول الله صلوات الله عليه وسلام لي فأنت أعلم بذلك والمسلمون ، وما لي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين .

فأمّا أن لا يكون حقي بل المسلمين فيه شرع فقد أصاب السهم الثغرة ، وأمّا أن يكون حقي دونهم ، فقد تركته لهم طبت به نفساً ، ونفشت يدي عنه استصلاحاً .

وأمّا التسوية بينك وبينهما فلست كأحدهما ، إِنَّمَا ولِيَ هَذَا الْأَمْرُ فَطَلَقَ اَنفُسَهُمَا وَأَهْلَهُمَا عَنْهُ . وَعُمِّتَ فِيهِ وَقَوْمِكَ عَوْمَ السَّابِعِ فِي الْلِّجَةِ ، فَارْجَعْ إِلَى اللَّهِ أَبَا عَمْرُو وَانظُرْ هَلْ بَقَى مِنْ عُمْرَكِ إِلَّا كَظَمَ الْحَمَارَ فَحَتَىٰ مَتَىٰ وَإِلَى مَتَىٰ ؟ أَلَا تَنْهَى سَفَهَاءَ بْنَيْ أُمِّيَّةَ عَنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ وَأَبْشَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ؟ وَاللَّهُ لَوْ ظَلَمَ عَالِمٌ مِّنْ عَمَالِكَ حِيثُ تَغْرِبُ الشَّمْسُ لَكَانَ أَثْمَهُ مُشْتَرِكًا بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ .

قال ابن عباس : فقال عثمان : لك العتبى ، وافعل وأعزل من عمالي كل من تكرهه ويكرهه المسلمون . ثم أفترقا فصده مروان بن الحكم عن ذلك ، وقال يجتريء عليك الناس فلا تعزل أحداً منهم»^(١) .

١٣ - وروى الزبير بن بكار في كتابه الموقيات بسنته عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : «أرسل إلى عثمان في الهاجرة فتقنعت بشوبي وأتيته ، فدخلت عليه وهو على سريره وفي يده قضيب وبين يديه مال دثر ، صبرتان من ورق ذهب . فقال : دونك خذ من هذا حتى تملأ بطنك فقد أحقرتني ، فقلت : وصلتك رحم إن كان هذا المال ورثته أو اعطيكه معط أو أكتسبته من تجارة . كنت أحد رجلين إما آخذ وأشكرا ، أو أOffer وأجهد ، وإن كان من مال الله وفيه حق المسلمين واليتيم وابن السبيل ، فوالله مالك أن تعطينيه ، ولا لي أن آخذه . فقال أبیت والله إلا ما أبیت ، ثم قام إلى بالقضيب فضربني ، والله ما ردت يده حتى قضى حاجته ، فتقنعت بشوبي ورجعت إلى منزلي ، وقلت : الله بياني وبينك إن كنت أمرتك بمعرفة ونحيت عن منكر»^(٢) .

١٤ - وروى الزبير بن بكار في كتاب الموقيات عن ابن عباس عليه السلام قال : «صليت العصر يوماً ثم خرجت فإذا أنا بعثمان في أيام خلافته في بعض أزقة المدينة وحده ، فأتيته إجلالاً وتوقيراً لمكانه ، فقال لي : هل رأيت علياً؟ قلت : خلفته في المسجد ، فإن لم يكن الآن فيه فهو في منزله . قال : أمّا منزله فليس فيه فابغه لنا في المسجد ، فتوجهنا إلى المسجد ، وإذا على عليه يخرج منه .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٩٨ ط مصر الأولى.

(٢) نفس المصدر .

قال ابن عباس : وقد كنت أمس ذلك اليوم عند عليٍ فذكر عثمان وتجرمـه عليه ، وقال : أما والله يا بن عباس أن من دوائـه لقطع كلامـه وترك لقائه ، فقلـت له يرحمـك الله كيف لك بهذا ، فإن تركـته ثم أرسـل إليـك فـما أنت صانـع ؟ قال : أعتـلـ واعتـلـ فمن يضرـنـ ؟ قال : لا أحد .

قال ابن عباس : فلمـا تراءـ ينالـه وهو خارـج من المسـجد ظهرـ منه من التـفات والـطلب للـأنصراف ما أـستـبان لـعـثمان ، فـنظر إـليـ عـثمان وـقال : يا بن عـباس أما تـرى ابنـ خـالـنا يـكـره لـقاءـنا ؟ فـقلـت : وـلـمـ وـحقـكـ الـزمـ وهو بالـفضل أـعلمـ . فـلـمـا تـقارـبـ رـماـه عـثمان بـالـسـلامـ فـرـدـ عـلـيـهـ ، فـقالـ عـثمانـ : إنـ تـدـخـلـ فـإـيـاكـ أـرـدـناـ ، وإنـ تـمـضـ فـإـيـاكـ طـلـبـناـ . فـقالـ عـلـيـ : أيـ ذـلـكـ أحـبـيتـ قـالـ : تـدـخـلـ ، فـدـخـلـ وأـخـذـ عـثمانـ يـدـهـ فـأـهـوـيـ بـهـ إـلـىـ الـقـبـلـةـ فـقـصـرـ عـنـهـاـ وـجـلـسـ قـبـلـهـاـ ، فـجـلـسـ عـثمانـ إـلـىـ جـانـبـهـ ، فـنـكـصـتـ عـنـهـمـاـ ، فـدـعـوـانـيـ جـمـيعـاـ فـأـتـيـهـمـاـ .

فـحـمـدـ اللـهـ عـثـمـانـ وـأـئـنـيـ عـلـيـهـ وـصـلـىـ عـلـىـ رـسـولـهـ ثـمـ قـالـ : أـمـاـ بـعـدـ ياـ بـنـيـ خـالـيـ وـابـنـيـ عـمـيـ فـإـذـ جـمـعـكـمـاـ فـيـ النـداءـ فـاسـتـجـمـعـكـمـاـ فـيـ الشـكـاـيـةـ عـلـىـ رـضـائـيـ عـنـ أـحـدـكـمـاـ وـوـجـدـيـ عـلـىـ الـآخـرـ ، إـلـيـ أـسـتـعـذـرـكـمـاـ مـنـ أـنـفـسـكـمـاـ وـأـسـأـلـكـمـاـ فـيـأـتـكـمـاـ وـأـسـتـوـهـبـكـمـاـ رـجـعـكـمـاـ ، فـوـالـلـهـ لـوـ غـالـبـنـيـ النـاسـ مـاـ أـنـتـصـرـتـ إـلـاـ بـكـمـاـ ، وـلـوـ تـحـضـمـونـيـ مـاـ تـعـزـزـتـ إـلـاـ بـعـزـّمـاـ ، وـلـقـدـ طـالـ هـذـاـ الـأـمـرـ بـيـنـنـاـ حـتـىـ تـحـوـفـتـ أـنـ يـجـوزـ قـدـرـهـ وـيـعـظـمـ الـخـطـرـ فـيـهـ . وـلـقـدـ هـاجـنـيـ الـعـدـوـ عـلـيـكـمـاـ وـأـغـرـانـيـ بـكـمـاـ ، فـمـنـحـنـيـ اللـهـ وـالـرـحـمـ مـمـاـ أـرـادـ ، وـقـدـ خـلـوـنـاـ فـيـ مـسـجـدـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ إـلـيـ جـانـبـ قـبـرـهـ ، وـقـدـ أـحـبـتـ أـنـ تـظـهـرـاـ لـيـ رـأـيـكـمـاـ وـمـاـ تـنـطـوـيـانـ لـيـ عـلـيـهـ وـتـصـدـقـاـ فـانـ الصـدـقـ أـنـجـىـ وـأـسـلـمـ وـأـسـتـغـفـرـ اللـهـ لـيـ وـلـكـمـاـ .

قال ابن عباس : فأطرق علىٰ عَيْلًا وأطرقت معه طويلاً . أَمّا أنا فأجلته أَن أتكلّم قبله وأَمّا هو فآراد أن أجيب عنّي وعنّه ، ثم قلت له : أَتتكلّم أم أتكلّم أنا عنك ؟

قال : بل تكلّم عنّي وعنك .

فحمدت الله وأثنيت عليه ، وصلّيت علىٰ رسوله ثم قلت : أَمّا بعد يا بن عمّنا وعمتنا فقد سمعنا كلامك لنا وخلطك في الشكایة بيننا علىٰ رضاك . زعمت . عن أحدنا ووجدك على الآخر ، وسنفعل في ذلك فندمك ونحمدك ، اقتداء منك ب فعلك فيما ، فانا نذم مثل تهمتك إيانا على ما أتهمتنا عليه بلا ثقة إلّا ظناً ، ونحمد منك غير ذلك من مخالفتك عشيرتك ، ثم نستعذرك من نفسك استعذراك إيانا من أنفسنا ، ونستوّهبك فيأتلك استيهابك إيانا فيأتنا ، ونسألك رجعتك مسألتك إيانا رجتنا ، فإننا معاً أيمّا حمدت وذمت منا كمثلك في أمر نفسك ، ليس بيننا فرق ولا اختلاف ، بل كلانا شريك صاحبه في رأيه وقوله ، فوالله ما تعلمنا غير معذرين فيما بيننا وبينك ، ولا تعرفنا غير قانتين عليك ولا تحدنا غير راجعين إليك ، فنحن سألك من نفسك مثل ما سألتنا من أنفسنا .

وأَمّا قولك : لو غالبتي الناس ما انتصرت إلّا بكمأ أو تحضّموني ما تعزّزت إلّا بعزمكما ، فأين بنا وبك عن ذلك ونحن وأنت كما قال أخوه كنانة :

بـدا بـخـير مـا رـام نـال وـان يـرم نـخـض دـونـه غـمـرا مـن اللـغـر رـائـمه
لـنا وـلـهم مـنـا وـمـنـه عـلـى العـدـى مـرـاتـب عـزـ مـصـدـعـات سـلـالـه
وأَمّا قولك في هيج العدو إياك وإغرائه لك بنا ، فوالله ما أتاك العدو من ذلك شيئاً إلّا وقد أثناها بأعظم منه فمنعناه ما أراد ما منعك من مراقبة الله والرحم ،

وما أبقيت أنت ونحن إلّا على أدياننا وأعراضنا ومروآتنا ، ولقد لعمري طال بنا وبك هذا الأمر حتى تخوّفنا منه على أنفسنا وراقبنا منه ما راقت.

وأمّا مسأءلك إيانا عن رأينا فيك وما ننطوي عليه لك ، فإننا نخبرك إن ذلك إلى ما تحيّب لا يعلم واحد منا من صاحبه إلّا ذلك ، ولا يقبل منه غيره ، وكلانا ضامن على صاحبه ذلك وكفيل به ، وقد برأت أحدنا وزكيته وأنطقت الآخر وأسكته ، وليس السقيم مما ماكرحت بأنطق من البري فيما ذكرت ، ولا البري مما ممّا سخطت بأظهر من السقيم فيما وصفت ، فإما جمعتنا في الرضا وإما جمعتنا في السخط ، لنجازيك بمثل ما تفعل بنا في ذلك مكايلة الصاع بالصاع ، فقد أعلمناك رأينا وأظهرنا لك ذات أنفسنا وصدقناك ، والصدق . كما ذكرت . أنجى وأسلم ، فأجب إلى ما دعوت إليه ، وأجلل عن النقص والعذر مسجد رسول الله ﷺ وموضع قبره ، وأصدق تنج وتسليم ونستغفر الله لنا ولك .

قال ابن عباس : فنظر إلى علي عليهما السلام نظر هيبة ، وقال : دعه حتى يبلغ رضاه فيما هو فيه . فوالله لو ظهرت له قلوبنا وبدت له سرائرنا حتى رأها بعينه كما يسمع الخبر عنها بإذنه ما زال متجرّماً منتقمًا ، والله ما أنا ملقى على وضمة ، وإنني لمانع ما وراء ظهيري ، وإن هذا الكلام مخالفة منه وسوء عشرة . فقال عثمان : مهلاً أبا حسن فوالله إنك لتعلم ان رسول الله ﷺ وصفني بغير ذلك يوم يقول وأنت عنده : إن من أصحابي لقوماً سالمين لهم وان عثمان لمنهم انه لأحسنهم بهم ظناً وأنصحهم لهم حبّاً .

فقال علي عليهما السلام : فصدق قوله ﷺ بفعلك ، وخالف ما أنت الآن عليه ، فقد قيل لك ما سمعت وهو كاف إن قيلت ، قال عثمان : تشق يا أبا الحسن ؟ قال : نعم أثق ولا أظنك فاعلاً .

قال عثمان : قد وثبتت وأنت من لا يخفر صاحبه ولا يكذب لقيله.

قال ابن عباس : فأخذت بأيديهما حتى تصافحا وتصالحا وتمازحا ، ونحضرت عنهما فتشاورا وتأمرا وتذاakra ، ثم افترقا : فوالله ما مررت ثلاثة حتى لقيني كل واحد منهمما يذكر من صاحبه ما لا تبرك عليه الإبل ، فلعلت أن لا سبيل إلى صلحهما بعدها»^(١).

١٥ . وروى الزبير بن بكار في كتاب المواقفيات عن عمّه عن عيسى بن داود عن رجاله قال : «قال ابن عباس رض : لما بني عثمان داره بالمدينة أكثرا الناس عليه في ذلك فبلغه ، فخطبنا في يوم الجمعة ثم صلى بنا ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وسلم على رسوله ثم قال :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ النِّعْمَةَ إِذَا حَدَثَتْ حَدَثَ لَهَا حَسَادٌ حَسَبُهَا وَأَعْدَاءُ قَدْرُهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَحْدُثْ لَنَا نَعْمًا لَيَحْدُثْ لَهَا حَسَادٌ عَلَيْهَا وَمُنَافِسُونَ فِيهَا ، وَلَكِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ بَنَاءِ مَنْزِلَنَا هَذَا مَا كَانَ أَرَادَهُ جَمْعُ الْمَالِ فِيهِ وَضْمُ القَاصِيَةِ إِلَيْهِ . فَأَتَانَا عَنْ أَنَاسٍ مِنْكُمْ أَهْمَّهُمْ يَقُولُونَ أَخْذَ فِيَّا وَأَنْفَقَ شَيْئًا وَاسْتَأْثَرَ بِأَمْوَالِنَا ، يَمْشُونَ خَمْرًا ، وَيَنْطَقُونَ سَرًّا ، كَأَنَا غَيِّبٌ عَنْهُمْ ، وَكَأَهْمَّهُمْ يَهَا بُونَ مَوَاجِهَنَا ، مَعْرِفَةٌ مِنْهُمْ بِدَحْوَضِ حَجَتِهِمْ ، فَإِذَا غَابُوا عَنِّا يَرُوحُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَذْكُرُنَا ، وَقَدْ وَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ أَعْوَانًا مِنْ نَظَرِهِمْ وَمَؤَازِرِينَ مِنْ شَبَهَائِهِمْ ، فَبُعْدًا بُعْدًا ، وَرَغْمًا رَغْمًا ، ثُمَّ أَنْشَدَ بَيْتَيْنِ كَأَنَّهُ يَوْمَيْهِمَا إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام :

تَوَقَّدَ بَنَارُ أَيْنَمَا كُنْتَ وَأَشْتَاعِلُ فَلَسْتَ تَرَى مَمَّا تَعْالِجُ شَافِيًّا
تَشَطَّطُ فِي قُصْبِيِّ الْأَمْرِ دُونَكَ أَهْلَهُ وَشَيْكًا وَلَا تَدْعُ إِذَا كُنْتَ نَائِيًّا

(١) نفس المصدر ٢ / ٣٩٩ .

ما لي ولفيئكم وأخذ مالكم ، ألسنت من أكثر قريش مالاً وأظهارهم من الله نعمة ؟ ألم أكن على ذلك قبل الإسلام وبعده ؟ وهبوني بنيت منزلة من بيت المال أليس هو لي ولكم ؟ ألم أقم أمركم ، واني من وراء حاجاتكم ؟ فما تفتقدون من حقوقكم شيئاً ؟ فلم لا أصنع في الفضل ما أحببت ؟ فلِمَ كنت إماماً إذا ؟ ألا وإن من أعجب العجب أنّه بلغني عنكم أنّكم تقولون : لنجعل به ولنفعلن ، فبمن تفعلون ؟ لله آباءكم ، أبنقـد البـقاع أم بـقـعـ القـاع ؟ ألسـت أحـراـكم إـن دـعاـنـ يـحـابـ ؟ وأـقـمـنـكـمـ إـنـ أـمـرـأـنـ يـطـاعـ ؟ لـهـيـ عـلـىـ بـقـائـيـ فـيـكـمـ بـعـدـ أـصـحـايـ ، وـحـيـاتـيـ فـيـكـمـ بـعـدـ أـتـرـابـيـ ، يـاـ لـيـتـيـ تـقـدـمـتـ قـبـلـ هـذـاـ ، لـكـنـيـ لـأـحـبـ خـلـافـ ماـأـحـبـهـ اللـهـ لـيـ عـرـجـلـ . إـذـاـ شـئـتـ ، فـاـنـ الصـادـقـ الـمـصـدـقـ مـحـمـداـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ قد حـدـثـيـ بـمـاـهـوـكـائـنـ مـنـ أـمـرـيـ وـأـمـرـكـمـ ، وـهـذـاـ بـدـءـ ذـلـكـ وـأـولـهـ ، فـكـيـفـ الـهـرـبـ مـمـاـ حـتـمـ وـقـدـرـ ، أـمـاـ اـنـهـ عَلَيْهِ الْمَدْحُورُ قد بشـرـيـ فيـ آخرـ حـدـيـثـ بـالـجـنـةـ دـوـنـكـمـ إـذـاـ شـئـتـ فـلـاـ أـفـلـحـ مـنـ نـدـمـ .

قال : ثم هم بالنزول ببصر علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعه عمّار بن ياسر عَلَيْهِ السَّلَامُ وناس من أهل هوا يتناجون فقال : أيها أيها أسراراً لا جهاراً ، أما والذى نفسي بيده ما أحقق على جرة ولا أوتى على ضعف مرة ، ولو لا النظر لي ولكم والرفق بي وبكم لعاجلتكم فقد أغترتم ، وأقلتم من أنفسكم ، ثم رفع يديه يدعوا ويقول : اللهم قد تعلم حبي للعافية فألبسنيها ، وإيثاري للسلامة فاتنيها.

قال : فتفرق القوم عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وقام عدي بن الحيار فقال : أتم الله عليك يا أمير المؤمنين النعمة وزادك في الكرامة ، والله لأن تحسد أفضل من أن تحسد ، ولأن ثنافس أجل من أن تنافس ، أنت والله في حبنا الصميم ومنصبنا الكريم ، إن دعوت أجبت ، وأن أمرت أطعت ، فقل ن فعل وادع نجـبـ . جـعـلـتـ الخـيـرةـ والـشـورـىـ إـلـىـ أـصـحـابـ رـسـوـلـ اللـهـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ ليختاروا لهم ولغيرهم ، وانهم ليرون مكانك

ويعرفون مكان غيرك ، فاختاروك منيدين طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ، ما غيرت ولا فارقت ولا بدلت ولا خالفت ، فعلام يقدمون عليك ، وهذا رأيهم فيك ، أنت والله كما قال الأول :

اذهب إلىك فما للحسود طلابك تحست العشار
حكمك بالحق بادي المدار حكمت فما جئت في خلدة
فإن يسبوك قسراً وقد جئرت بسيفك كل الجمار
قال : ونزل عثمان فاتى منزله ، وأتاه الناس وفيهم ابن عباس فلما أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عباس فقال : مالي ولكم يا ابن عباس ؟ ما أغراكم بي وأولعكم بتعقب أمري ؟ أتنقرون علىي أمر العامة أتيت من وراء حقوقهم أم أمركم ، فقد جعلتهم يتمنون منزلكم ، لا والله لكن الحسد والبغى وتشویر الشر وإحياء الفتن والله لقد ألقى النبي ﷺ إلى ذلك ، وأخرين عن أهله واحداً واحداً ، والله ما كذبت ولا أنا بمكذوب .

فقال ابن عباس : على رسلي يا أمير المؤمنين ، فوالله ما عهديتك جهراً بسرك ولا مظهراً ما في نفسك فما الذي هيحك وثورك ؟ إنما لم يولعننا بك أمر ، ولم تتعقب أمرك بشيء ، أتيت بالكذب وتسويق عليك بالباطل ، والله ما نقمنا عليك لنا ولا للعامة ، قد أتيت من وراء حقوقنا وحقوقهم ، قضيت ما يلزمك لنا ولهم ، فأما الحسد والبغى وتشویر الفتن وإحياء الشر فمتي رضيت به عترة النبي وأهل بيته ، كيف وهم منه واليه ، على دين الله يشوروون الشر ؟ أم على الله يحيون الفتن ؟ كلا ليس البغي ولا الحسد من طباعهم ، فاتهد يا أمير المؤمنين وأبصر أمرك وأمسك عليك ، فان حالتك الأولى خير من حالتك الأخرى ، لعمري إن كنت

لأثيراً عند رسول الله وإن كان ليفضي إليك بسره ما يطويه عن غيرك ولا كذبت ولا أنت بكم ذنب ، أحسىء الشيطان عنك ولا يركبك ، وأغلب غضبك ولا يغلبك ، فما دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك ؟

قال : دعاني إليه ابن عمك عليّ بن أبي طالب.

فقال ابن عباس : وعسى أن يكذب مبلغك ؟

قال عثمان : إله ثقة.

قال ابن عباس : إنه ليس بثقة من بلغ وأغرى.

قال عثمان : يا بن عباس الله إنك ما تعلم من عليّ ما شكوت منه ؟

قال : اللهم لا ، إلا أن يقول كما يقول الناس ينقم كما ينقمون ، فمن أغراك به وأولعك بذكره دونهم ؟

فقال عثمان : إنما آفتي من أعظم من الداء الذي ينصب نفسه لرأس الأمر وهو على ابن عمك ، وهذا والله كله من نكده وشؤمه.

قال ابن عباس : مهلاً أستشن يا أمير المؤمنين قل إن شاء الله.

فقال : إن شاء الله ، ثم قال : إنني أنشدك يا بن عباس الإسلام والرحم فقد والله غالبتك وباتليت بكم والله لسودت أن هذا الأمر كان صار إليك دوبي ، فحملتموه عني وكنت أحد أعدوانكم عليه ، إذا والله لوجدتوني لكم خيراً مما وجدتكم لي . ولقد علمت أن الأمر لكم ولكن قومكم دفعوكم عنه وأخترلوكم دونكم ، فوالله ما أدرى أرفعوه عنكم ، أم رفعوكم عنه ؟

قال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين فانا نشدق الله والإسلام والرحم مثل ما نشدقنا أن تطمع فينا وفيك عدواً ، وتشمت بنا وبك حسوداً ، ان أمرك إليك ما

فَأَمَّا صَرْفُ قَوْمِنَا عَنِ الْأَمْرِ فَعِنْ حَسْدٍ قَدْ وَاللَّهُ عَرَفَتْهُ، وَبَغْيٍ قَدْ وَاللَّهُ عَلِمَتْهُ، فَاللَّهُ يَبْيَنُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا.

وأَمَّا قُولُكَ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي أَرْفَعُوهُ عَنِّا أَمْ رَفَعُونَا عَنْهُ ، فَلَعْمَرِي إِنَّكَ لِتَعْرِفَ إِنَّهُ لَوْ صَارَ إِلَيْنَا هَذَا الْأَمْرُ مَا ازْدَدْنَا بِهِ فَضْلًا إِلَى فَضْلِنَا ، وَلَا قَدْرًا إِلَى قَدْرِنَا ، وَإِنَّا لَأَمْلَى الْفَضْلَ وَأَهْلَ الْقَدْرِ ، وَمَا فَضْلٌ فَاضْلٌ إِلَّا بِفَضْلِنَا ، وَلَا سَبْقٌ سَابِقٌ إِلَّا بِسَبْقِنَا ، وَلَوْلَا هَدَيْنَا مَا أَهْتَدَى أَحَدٌ ، وَلَا أَبْصَرُوا مِنْ عُمَىٰ وَلَا قَصْدُوا مِنْ خُورٍ .

فقال عثمان : حتى متى يا بن عباس يأتيني عنكم ما يأتيني ، هبوني كنت بعيداً ما كان لي من الحق عليكم أن أرقب وأن أناظر ، بلى ورب الكعبة ، ولكن الفرقة سهلت لكم القول في وتقدمت لكم إلى الإسراع إلى والله المستعان.

قال ابن عباس : مهلاً حتى ألقى علياً ثم أحمل إليك على قدر ما أرى.

قال عثمان : افعل فقد فعلت ، وطلما طلبت فلا أطلب ولا أجاب ولا أعتب.

قال ابن عباس : فخرجت فلقينت علياً وإذا به من الغضب والتلاظي أضعاف ما بعثمان ، فأردت تسكينه فامتنع ، فأتيت منزلي وأغلقت بابي وأعتزلتهما . بلغ ذلك عثمان فأرسل إلى فأتيته وقد هدأ غضبه ، فنظر إلى ثم ضحك وقال : يا بن عباس ما أطأ بك عنا ؟ إن تركك العود إلينا لدليل على ما رأيت عند صاحبك ، وعرفت من حاله فالله يبيننا وبينه حذ بنا في غير ذلك .

قال ابن عباس : فكان عثمان بعد ذلك إذا أتاه عن عليٍ فأرداه التكذيب
عنه يقول : ولا يوم الجمعة أبطأنا عننا وتركنا العود إلينا ، فلا أدرى كيف أردّ
عليه ... اه»^(١).

١٦ - وروى الزبير بن بكار أيضاً في الموقفيات عن ابن عباس رض قال : «خرجت من منزلي سحراً أسبق إلى المسجد وأطلب الفضيلة فسمعت خلفي حسأً وكلاماً فتسمعته فإذا حس عثمان وهو يدعوا ولا يرى أن أحداً يسمعه ويقول : اللهم قد تعلم بيتي فأعفي عليهم ، وتعلم الذين أبتليت بهم من ذوي رحمي وقربتي فأصلحني لهم وأصلحهم لي .

قال : فقضّت من خطّوي واسرع في مشيّته فألتقينا فسلّم فرددت عليه .
فقال : أي خرجت ليتنا هذه أطلب الفضل والمسابقة إلى المسجد ، فقلت : إنه
آخر جنٍ ما أخرجك ، فقال : والله لئن سابت إلى الخير إنك من سابقين
مباركين ، وإنني لأحبكم وأنقرب إلى الله بمحكم .

فقلت : يرحمك الله يا أمير المؤمنين إنا لنجبك ونعرف سعادتك وسنرك
وقرباتك وصهرك .

قال : يا بن عباس فما لي ولأبن عمك وابن خالي ، قلت : أى بني عمومتي
وبني أخوالك ؟ قال : اللهم غفراً تسأل مسألة الجاهل ، قلت : إنّ بني عمومتي من
بني خؤلتك كثير فأيهم تعني ؟ قال : أعني عليّاً لا غيره. فقلت لا والله يا أمير
المؤمنين ما أعلم منه إلّا خيراً ولا أعرف له إلّا حسناً.

قال : والله بالحري أن يستر دونك ما يظهره لغيرك ، ويقبض عنك ما يبسط
به إلى سواك.

(١) نفس المصدر.

قال : ورمينا بعمّار بن ياسر فسلم فرددت عليه سلامه ثم قال : من معك ؟
قلت أمير المؤمنين عثمان . قال نعم وسلم بكتبه ولم يسلم عليه بالخلافة فرد
عليه .

ثم قال عمّار : ما الذي كنت فيه فقد سمعت ذروأ منه ؟ قلت : هو ما سمعت ،
فقال عمّار : رب مظلوم غافل وظالم متဂاھل . قال عثمان : أما إنك من شنانتنا
وأتباعهم ، وأيم الله إن اليد عليك منبسطة ، وإن السبيل إليك لسهلة ، ولو لا إيشار
العافية ولم الشعث لزجرتك زجة تكفي ما مضى وقمع ما بقي .

فقال عمّار : والله ما أعتذر من حبي علياً وما اليد منبسطة ولا السبيل بسهله ،
إني لازم حجة ومقيم على سنة ، وأما إيشارك العافية ولم الشعث فلازم لك ذلك ،
وأما زجري فأمسك عنه فقد كفاك معلمي تعليمي .

فقال عثمان : أما والله إنك ما علمت من أعون الشر الحاضرين عليه الخذلة
عند الخير والمبطين عنه .

فقال عمّار : مهلاً يا عثمان فقد سمعت رسول الله ﷺ يصفني بغير ذلك .
قال عثمان : ومتى ؟

قال يوم دخلت عليه منصرفه عن الجمعة وليس عنده غيرك وقد ألقى ثيابه
وقد في فضله فقبّلت صدره ونحره وجبهته .

فقال : يا عمّار إنك لتحبّنا وإننا لنحبّك ، وانك من الأعون على الخير
المبطين عن الشرّ .

فقال عثمان : أجل ولكنك غيرت وبذلك .

قال : فرفع عمّار يده يدعو وقال : أمن يا بن عباس : اللهم من غير فغير به .
ثلاث مرات .

قال : ودخلنا المسجد ، فأهوى عمّار إلى مصلاه ومضيت مع عثمان إلى القبلة فدخل المحراب وقال : تلبت علىي إذا أنصرنا .. فلما رأى عمّار وحدي أتاني فقال : أما رأيت ما بلغ بي آنفًا.

قلت : أما والله لقد أصعبت به وأصعب بك وان له لسته وفضله وقرباته.

قال : إنّ له ذلك ، ولكن لا حقّ لمن لا حقّ عليه. وانصرف ، وصلّى عثمان وأنصرفت معه يتوكأ علىي. فقال : هل سمعت ما قال عمّار؟ قلت : نعم فسرّني ذلك وسأئني ، أمّا مساءته ايابي فما بلغ بك وأمّا مسرته لي فحملك واحتمالك. فقال : إنّ عليّاً فارقي منذ أيام على المقاربة ، وان عمّاراً آتىه فقائل له وقائل ، فابدره إليه فإنّك اوّل منه وأصدق قوله فأول الأمر إليه على وجهه. قلت : نعم وأنصرفت أريد عليه عثيلًا في المسجد فإذا هو خارج منه ، فلما رأى تفجّع لي من فوت الصلاة وقال : ما أدركتها؟ قلت : بلى ولكنني خرجت مع أمير المؤمنين ، ثمّ أقصصت عليه القصة.

قال : أما والله يا بن عباس إنّه ليعرف قرحة ليحورنّ عليه ألمها.

قلت : إن له سنّه وسابقته وقرباته وصهره.

قال : إن ذلك له ولكن لا حقّ لمن لا حقّ عليه. قال : ثمّ رهقنا عمّار في بشّ به علىي وتبسم في وجهه وسأله ، فقال عمّار : يا بن عباس هل أقيمت إليه ما كنا فيه؟ قلت : نعم ، قال : أما والله إذاً لقد قلت بسان عمّار ونطقت بهواه. قلت : ما عدوات الحقّ جهدي ، ولا ذلك من فعلي وانك لتعلم أيّ الحظرين أحبب إلّي ، وأيّ الحظرين أوجب عليّ.

قال : فظنّ عليّ إنّ عند عمّار غير ما أقيمت إليه ، فأخذ بيده وترك يدي ، فعلمت إنّه يكره مكانٍ فتخلّفت عنهما وأنشّعب بما الطريق فسلّkah ولم يدعني ،

فأنطلقت إلى منزلي ، فإذا رسول عثمان يدعوني فأتيته ، فأجد ببابه مروان وسعيد ابن العاص في رجال من بني أمية ، فأذن لي وألطفني وقرّبني وأدى مجلسي ثم قال : ما صنعت ؟ فأخبرته الخبر على وجهه وما قال الرجل وقلت له وكتمنه قوله إله ليعرف فرحة ليحورن عليه ألمها ، إبقاءً عليه وإجلالاً له ، وذكرت مجيء عمار وبشّ عليّ له وظن عليّ أن قبّله غير ما أقيت عليه ، وسلوكهما حيث سلكا . قال : وفعلا ؟ قلت : نعم . فأستقبل القبلة ثم قال : اللهم رب السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أصلح لي عليّاً وأصلحني له ، أمن يا بن عباس ، فأمنت ، ثم تحدثنا طويلاً وفارقته وأتيت منزلي ... اه»^(١) .

١٧ - ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة وابن عبد ربه في العقد الفريد : «وكان عليّ كلما اشتكي الناس إليه أمر عثمان أرسل أبنه الحسن إليه ، فلما أكثر عليه قال له : إن أباك يرى أن أحداً لا يعلم ما اعلم ، ونحن أعلم بما نفعل ، فكفّ عننا ، فلم يبعث عليّ ابنه في شيء بعد ذلك .

وذكروا أن عثمان صلى العصر ثم خرج إلى عليّ يعوده في مرضه ومروان معه ، فرأه ثقيلاً ، فقال : أما والله لولا ما أرى منك ما كنت أتكلم بما أريد أن أتكلّم به ، والله ما أدرى أي يوميك أحبت إلى أو أبغض ؟ أيام حياتك ؟ أو يوم موتك ؟ أما والله لئن بقى لا أعدم شامتاً يعذّك كهفاً ، ويتحذّك عضداً ، ولئن مت لأفجعنّ بك ، فحظي منك حظّ الوالد المشفق من الولد العاق ، إن عاش عّقه ، وإن مات فجعه ، فليتك جعلت لنا من أمرك لنا علماً نقف عليه ونعرفه ، إما صديق مسلم ، وإما عدو معاين ، ولا تجعلني كالمحتنق بين السماء والأرض ، لا يرقى بي

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٣٩٦ .

ولا يهبط برجل ، أما والله لئن قلتلك لا أصيّب منك خلفاً ، ولئن قلتني لا تصيب
مني خلفاً ، وما أحب أن أبقى بعده .

قال مروان : إِي والله وأخْرَى إِنَّه لَا يَنْسَالْ مَا وَرَاءَ ظُهُورَنَا حَتَّى تَكَسَّرْ رِمَاحُنَا
وَتَقْطَعْ سِيَوفُنَا ، فَمَا خَيْرُ الْعِيشِ بَعْدُ هَذَا . فَضَرَبَ عُثْمَانَ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ : مَا
يَدْخُلُكَ فِي كَلَامِنَا ؟

فَقَالَ عَلَيَّ : إِنِّي وَاللهِ فِي شَغْلٍ عَنْ جَوَابِكُمَا وَلَكُنِي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو
يُوسُفَ ﴿فَصَبَرْ جَيْلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾^(١) .

١٨ . ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسَ : أُرْسَلَ إِلَيَّ
عُثْمَانَ فَقَالَ لِي : إِكْفَنِي ابْنُ عَمِّكَ . فَقَلَتْ : إِنَّ ابْنَ عَمِّي لَيْسَ بِالرَّجُلِ يُرَىَ لَهُ
وَلَكُنَّهُ يُرَىَ لِنَفْسِهِ فَأَرْسَلْنِي إِلَيْهِ بِمَا أَحْبَبْتَ . قَالَ : قُلْ لَهُ فَلَيَخْرُجَ إِلَى مَا لَهُ يَبْنَعُ فَلَا
أَغْتَمْ بِهِ وَلَا يَغْتَمْ بِي ، فَأَتَيْتُ عَلَيَّاً فَأَخْبَرْتَهُ ، فَقَالَ : مَا اخْتَدَنِي عُثْمَانَ إِلَّا نَاضَحًا ثُمَّ
أَنْشَدَ يَقُولُ :

فَكَيْفَ بِـهِ أَنِّي أَدَوِيْ جَرَاحَـهِ فَيَدُوِيْ فَلَا مُلَـلَ الدَّوَاءِ وَلَا الدَّاءِ
أَمَا وَاللهِ أَنَّهُ لِيَخْتَبِرَ الْقَوْمَ ، فَأَتَيْتُ عُثْمَانَ فَحَدَثَتْهُ الْحَدِيثُ كَلَّهُ إِلَّا الْبَيْتُ
الَّذِي أَنْشَدَهُ وَقَوْلُهُ أَنَّهُ لِيَخْتَبِرَ الْقَوْمَ . فَأَنْشَدَ عُثْمَانَ :

فَكَيْفَ بِـهِ أَنِّي أَدَوِيْ جَرَاحَـهِ فَيَدُوِيْ فَلَا مُلَـلَ الدَّوَاءِ وَلَا الدَّاءِ
وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا رَحِيمَ أَنْصَرِيْ ، يَا رَحِيمَ أَنْصَرِيْ .

قَالَ : فَخَرَجَ عَلَيَّ إِلَى يَبْنَعَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانَ حِينَ أَشْتَدَ الْأَمْرُ : أَمَا بَعْدَ فَقَدْ
بَلَغَ السِّيلَ الرُّبْيَ ، وَجَاؤَ الزَّامَ الطَّبِيْبِينَ ، وَطَمَعَ فِيْ مَنْ كَانَ يَضْعُفُ عَنْ نَفْسِهِ .

(١) الإِمامَةُ وَالسِّيَاسَةُ ١ / ٣٠ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ طُ لِجَنْهَةِ التَّالِيفِ وَالتَّرْجِمَةِ وَالنَّشْرِ بِمَصْرَ ،
وَالآيَةُ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ / ١٨ .

فإِنَّكَ لَمْ يُخْرِيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٌ وَلَمْ يُغْلِبْكَ مُثْلُ مَغْلُوبٍ
فَأَقْبَلَ إِلَيَّ عَلَى أَيِّ أَمْرٍ يُكَوِّنُ حُبَّتِيْكَ ، وَكَنْ لِيْ أَمْ عَلَيِّ ، صَدِيقًا كَنْتَ أَمْ
عَلَوًا :

فَإِنْ كَنْتَ مَا كُوَلَّا فَكَنْ خَيْرٌ أَكْلٌ وَإِلَّا فَأَدْرَكَنِي وَلِمَا أَمْرَزَنِي^(١)
١٩ . روى الشريف الرضي في نهج البلاغة قال : «وَمَنْ كَلَامٌ لَهُ عَلَيْهِ قَالَ
لَعْبَدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَقَدْ جَاءَهُ بِرْسَالَةٍ مِنْ عُثْمَانَ وَهُوَ مُحْصُورٌ يَسْأَلُهُ فِيهَا الْخُرُوجَ
إِلَى مَالِهِ بِيَنْبَعِ لِيَقْلُ هَتْفَ النَّاسِ بِأَسْمَهِ لِلخِلَافَةِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَهُ مُثْلُ ذَلِكَ مِنْ
قَبْلِهِ . فَقَالَ عَلَيْهِ :

يَا بْنَ عَبَّاسٍ مَا يَرِيدُ عُثْمَانَ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْغَرْبِ ، اَقْبَلَ
وَأَدْبَرَ ، بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدِمَ ، ثُمَّ هُوَ الآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ،
وَاللَّهُ لَقَدْ دَفَعَتْ عَنِّي حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثَمًا»^(٢) .

مظاهر الحب والبغض بين قريش وبين بنى هاشم :

لا شك أن الحب والبغض لهما من المظاهر ما لا يخفى أثره مهما حاول
صاحبها الكتمان ومنها الرضا والسطح ، كما أن لها نوازع نفسية تدفع ب أصحابها
إلى تلك المظاهر.

(١) العقد الفريد ٤ / ٣٠٩ .

وجاء في أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٦٨ تحـ إحسان عباس بيروت عن يحيى بن سعيد قال : كان
طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار فبعث عثمان عبد الله بن الحارث بن نوفل
بن الحارث بن عبد المطلب إلى عليـ بهذا البيت . وذكر في حديث أبي مخنف قال صلى
عليـ بالناس يوم النحر وعثمان محصر ببعث عثمان ببيت المزق ... وسيأتي تمام
الحديث في محله .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ٢٨٢ ط مصر الأولى .

فمن كانت نوازعه خيّرة كانت مظاهره كذلك تدعو إلى الخير . والعكس بالعكس ..

وإذا أردنا أن نعرف مدى صحة ذلك عندبني هاشم وسائر الناس ومنهم قريش ، نجد لبني هاشم ضوابط أخلاقية من قبل الإسلام حددتها وثيقة حلف المطيّين ووثيقة حلف الفضول ، وزادت في توثيق عراها تعاليم الإسلام التي جاءهم بها النبي الكريم ﷺ وهو منهم ، فكانت موازين الحب والبغض . كما في حديث ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً . قال : « عاد في الله ، ووال في الله . فإنه لا ينال ولادة الله إلا بذاته ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثر صلاته وصيامه حتى يكون كذلك »^(١) ، وعلى ضوء ذلك كانت مظاهر حبهم وسخطهم .

أمّا عن قريش سواء الحاكمين منهم والمحكومين ، عدا بني المطلب . كما مرّ ويأتي ، فإنّهم كانوا وبني هاشم يداً واحدة في الجahiliyah وفي الإسلام . فإنّهم كانوا يبغضون بني هاشم بدءاً من الرسول الكريم ﷺ ومروراً بأقرب الناس إليه وانتهاءً بأحفاده وذراريه من بعده .

فالنبي ﷺ صاحبخلق الرفيع آذوه في بدء الدعوة ولم يقف أذاهم حتى يوم وفاته ، وما حديث الكتف والدواء وبعث أسامة ولعن من تحلى عنه من القارئ بعيد .

ومع ذلك كله فقد كان يريدهم أن يكونوا كما أراد الله يسيروا على هديه فتركهم وسائر أمته على المحجة البيضاء ليهلكنها . فهو لهم من الناصحين ، ولكن قريشاً لا تحب الناصحين .

(١) كنز العمال ١ / ٢٨٨ ط مؤسسة الرسالة في حلب .

ثُمَّ عَلَيْكُمْ كَذَلِكَ أَحَبُّهُمْ مَا أَحَبَّهُمْ الَّذِي هُمْ نَبِيُّونَ وَلَكُنْهُمْ مَا أَحَبَّوْهُ بِلِ
أَبْغَضَوْهُ ، وَلَهُمْ تَبَرِيرَاتٍ سَيِّئَاتٍ ذَكْرُهَا ، وَخَذْ بَعْدُ سَائِرَ وُجُوهِ بْنِي هَاشِمٍ كَالْعَبَاسِ
وَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَصْرَابَهُما ، مِنْ أَحَبَّوْهُ لِقَرِيشٍ الْخَيْرِ وَلَكِنْ قَرِيشًا كَانَتْ تَكُونُ
بَعْضَهَا ، وَتَظَاهَرُهُ حِينَ تَوَفَّيهَا الْفَرَصَةُ . فَيَعْمَلُ ذَلِكَ فِي تَبَدِّلِ الْمَظَاهِرِ ، فَيَكُونُ
السُّخْطُ وَتَكُونُ النَّقْمَةُ . وَالآن لَا بَدْ لَنَا مِنْ مَعْرِفَةِ دُورِ الْهَاشِمِيِّينَ فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ مِنْ
أَحَادِثِهِ ، فَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْقَرْشَيِّينَ ، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْخَالِفِينَ فَهُوَ كَانَ عَلَيْكُمْ مِنَ
السَّاخِطِينَ وَمَعَ السَّاخِطِينَ ؟

وَهُلْ كَانَتْ كَذَلِكَ بَقِيَّةُ الْهَاشِمِيِّينَ ؟

سَؤَالٌ يُفَرَّضُ نَفْسَهُ حِينَ نَقْرَأُ تَناقضَاتِ قَرْشَيَّةٍ مُبَعَّثَةٍ هُنَا وَهُنَاكَ .
وَلِإِجَابَةِ عَلَى السَّؤَالِ عَلَيْنَا أَنْ نَقْرَأُ بَعْضَ مَا مَرَّ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْلَ
الْمَوْضُوعِ ، فَإِنَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَهُ تَحْذِيرُتُ الْأَصْوَلِ ثُمَّ تَنَامَتْ مَعَ الزَّمْنِ الْفَرَوْعُ ،
فَأَثْمَرَتْ مُرَّاً بَعْدَ وَفَاتَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَلَمْ يَزُلْ أَهْلُ الْبَيْتِ يَتَجَرَّعُونَ مَرَّةً إِلَيْهِمْ
عَنْ مَرَاتِبِهِمُ الَّتِي رَتَبَهُمُ اللَّهُ فِيهَا ، مَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَطْفٍ وَحَنَانٍ
عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ وَقَرِيشٍ مِنْهَا ، ثُمَّ هُوَ الَّذِي فَضَّلَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْعَرَبِ . فَكَانُوا
يَفْخَرُونَ بِذَلِكَ ، لَكِنْ قَرِيشًا تَأْبِي أَنْ تَخْضُعَ لِبَنِي هَاشِمٍ فَتَقْرَرَ لَهُمْ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِمْ .
فَإِلَى تَلْكَ النَّصْوَصِ :

أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ بِسِنْدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَارِثَةَ أَنَّهُ قَالَ : «لِمَا قَدِمَ
صَفَوَانُ بْنُ أَمِيَّةَ بْنُ خَلْفَ الْجَمْحِيِّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَلَى مَنْ نَزَّلْتَ يَا أَبَا
وَهْبٍ) ؟ قَالَ : نَزَّلْتَ عَلَى الْعَبَاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُوبِ .
قَالَ : (نَزَّلْتَ عَلَى أَشَدَّ قَرِيشٍ لِقَرِيشٍ حَبَّاً)»^(١).

(١) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٤ ق ١ / ١٥ .

وقد مرّ بنا في ترجمة العباس موقفه في فتح مكة وأتى أنه بأبي سفيان حتى أسلم بعد جهدٍ من العباس. فلنقرأ ماذا كان جزاؤه من قريش ! وهو الذي كان كما في حديث رواه الحاكم في المستدرك : « قال ﷺ : (العباس عم نبيكم أجود قريشاً كفأً وأحنانه عليكم)»^(١)، وفي لفظ آخر : (أوصلها لها).

فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه : «أن العباس دخل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ من أغضبك ؟ قال : يا رسول الله ما لنا ولقریش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة ، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك. قال : غضب رسول الله ﷺ حتى أحمر وجهه وحتى أستدر عرق بين عينيه . وكان إذا غضب أستدر . فلما سرّي عنه قال : والذي نفسي محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله . ثم قال : أيها الناس من آذى عمي العباس فقد آذاني ، إن عم الرجل صنو أبيه»^(٢).

ولم يقف بغضهم عند حدٍ حتى كان رجل من المهاجرين يلقى العباس فيقول له يا أبا الفضل أرأيت عبد المطلب بن هاشم والغيطلة كاهنة بني سهم جمعهما الله جميعاً في النار ، فصفح عنه ، ثم لقيه الثانية فقال له مثل ذلك فصفح عنه ، ثم لقيه الثالثة فقال له مثل ذلك ، فرفع العباس يده فوجأ أنفه فكسره ، فأنطلق الرجل كما هو إلى النبي ﷺ فلما رأه قال : ما هذا ؟ قال : العباس ، فأرسل إليه فجاءه فقال : ما أردت إلى رجل من المهاجرين ؟ فقال : يا رسول الله والله لقيني فقال . وذكر مقالته . فصفحت عنه مراراً ، ثم والله ما ملكت نفسي ، وما إياه أراد ولكنه أرادني .

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ٣٢٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢ / ١٠٨ ط باكستان ، وقارن سنن الترمذى (المناقب) ، ومستدرك الحاكم ٣ / ٣٣٣ .

فقال ﷺ : (ما بال أحدكم يؤذى أخاه في الأمر ...) ^(١) ، وكأن المهاجرين لم يسمع قوله ﷺ : (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء) ^(٢).

ولئن تكتم الرواية على اسم الرجل من المهاجرين في هذا الحديث ، إلا أن قتادة نمّ على استحياء على اسمه فقال : كان بين عمر وبين العباس قول فأسرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبي ﷺ فقال : «ألم تر عباساً فعل بي كذا وفعل فأردت أن أجيبه فذكرت مكانه منك فكشفت عنه ، فقال : يرحمك الله إن عم الرجل صنو أبيه» ^(٣).

وفي حديث آخر كشف العباس السبب في تعمّر الوجه عند ملاقتهم فقال : «يا رسول الله إنا لنرى وجوه قوم من وقائع أوقعها فيهم. فقال النبي ﷺ : (لن يصيروا خيراً حتى يحبوكم الله ولقرابتي. ترجو سلائف شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب)» ^(٤).

والآن فقد تبيّن سبب انقباض قريش من بني هاشم فكانت تلقيهم بوجوه عليها غيرة ترهقها قترة. لأن النبي ﷺ أوقع فيهم وقائع أورثتهم البغضاء وملاّت قلوبهم الشحناة.

وإذا رجعنا إلى تاريخ تلك الواقعة نجد الإمام علي عليه السلام هو فارسها المقدّم في جميع الحروب فبداء من وقعة بدر وهي التي أعز الله بها المسلمين وأذل قريش المشركين ، نجد النبي ﷺ ندب عمّه الحمزة وعيادة بن الحارث من بني

(١) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ١٦.

(٢) مجمع الزوائد ٨ / ٧٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٣ ق ١ / ١٧.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ١٢ / ١٠٩ ، وتحذيب ابن عساكر لابن بدران ٧ / ٢٣٩. وسلائف حي من أحياء العرب.

المطلب وابن عمّه عليّ بن أبي طالب فكانوا أول المجاهدين من المسلمين في تلك الواقعة وقد قتلوا ثلاثة من صناديد قريش وكلّهم من بني أمية ، وهم عتبة وشيبة والوليد ، وفي هذه الواقعة مات عبيدة مرثاً بجراحه ، وبقي الحمزة وعليّ ، حتى إذا كان يوم أحد واستشهد الحمزة بتحريض هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وأم معاوية فقد أغرت وحشياً على أن يقتل لها أحد الثلاثة محمدأً أو الحمزة أو عليّ ، فأصاب الحمزة ، ومثلت به هند حتى استخرجت كبده فلاكتها ، وبقي عارها عليها وعلى ابنها معاوية فكان يعيّر بابن آكلة الأكباد ، فبنو حرب لم ينسوا ما كان من حمزة وعليّ وعبيدة في يوم بدر ، كما ان بني هاشم لم ينسوا ما كان من هند يوم أحد ، وبعد يوم أحد لم يبق من الثلاثة الذين عصدوا النبي ﷺ من بني هاشم يوم بدر إلا عليّ ، فكان يخوض غمار الواقع فكان النبي ﷺ كلما فجرت فاغرة للمشركين قذف أخاه في لهواتها ، فلا يكفيه حتى يطأ صماعها بأحصنه مكروداً دوباً في سبيل الله ، فانتظر تاريخ الواقع في الأحزاب ، وخابر وحنين وغيرها تجد شواهد الصدق ، فلتكم هي الواقع التي أورثت الأضغان في القرشيين ، فكانوا لا يحبون الماشييين ، ومنهم رسول الله ﷺ فكانوا وهم يظهرون الإسلام ويخرجون مع النبي ﷺ في حربه ، إلا أئمّهم يسرّون حسواً في أرتقاء ، وما درجة الدباب ليلة العقبة إلا دليل ذلك الحقد الدفين والكافش عن النفاق.

ففي صحيح مسلم بسنده عن أبي الطفيل قال : «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدك الله كم كان أصحاب العقبة ؟ فقال له القوم : أخبره إذ سألك.

قال : كنا نجد أئمّهم أربعة عشر ، فإن كنت فيهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن إثنين عشر منهم حرب الله ولرسوله ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر

ثلاثة ، وقالوا : ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم ، وقد كان في حربة فمشى فقال : إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد ، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ»^(١) فأنجاه الله مما مكروا وأرادوا به كيداً فجعلهم الأخسرين.

(١) جاء في هامش صحيح مسلم ٨ / ١٢٣ قوله عليه السلام في أمتي اثنا عشر منافقاً وهم الذين قصدوا قتل النبي عليه السلام ليلة العقبة مرجعه من تبوك ، حين أخذ النبي عليه السلام مع عمّار وحذيفة طريق الثناء والقسم بطريق الوادي ، فطمع اثنا عشر رجلاً في المكر به فاتبعوه ساترين وجوههم غير أعينهم ، فلما سمع رسول الله خشافة القوم من ورائه أمر حذيفة أن يرددّهم ، فخوّفهم الله حين أبصروا حذيفة ، فرجعوا مسرعين على أعقابهم حتى خالطوا الناس ، فادرك حذيفة النبي عليه السلام فقال لحذيفة : هل عرفت أحداً منهم ؟ قال : لا فإنّم كانوا متلذتين ، ولكن أعرف رواحلهم ، فقال عليه السلام : إن الله أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وساخرتك بهم إن شاء الله عند الصباح ، فمن ثمة كان الناس يراجعون حذيفة في أمر المنافقين ، قيل : أسره النبي أمر هذه الفتنة المشؤومة لثلاثة من الفتنة من تشميرهم ... أمه مبارك . ولم يرق لابن حزم ذلك فقال : وأما حديث حذيفة فساقط ، لأنّه من طريق الوليد ابن جمیع وهو هالك ولا نراه يعلم من وضع الحديث ، فإنه قد روی أخباراً فيها أن أبا بكر عمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما أرادوا قتل النبي ﷺ والقاءه من العقبة في تبوك . وهذا هو الكذب الموضوع الذي يطعن الله واضعه .

أقول : وما ذكره ابن حزم في توهين الوليد بن جمیع إنما هو دفع بالتصور وليس بشيء ، ويفيد التشنج في كلامه واضحاً حيث رماه بالهلكة وليس هو كذلك ، فقد ذكره رجال الجرح والتعديل من العامة فأنثوا عليه وقالوا : هو الوليد بن عبد الله بن جمیع الزهيري وقد ينسب إلى جده . قال ابن سعد كان ثقة له أحاديث قال أ Ahmad وأبو داود : ليس به بأس ، وقال ابن معین والعلجي : ثقة ، وقال أبو زرعة : لا بأس به ، وقال أبو حاتم صالح الحديث . وقال عمرو بن علي : كان يحيى بن سعيد لا يحدثنا عنه ، فلما كان قبل موته بقليل حدثنا عنه . وذكره ابن حبان في الثقات قال ابن حجر : وذكره أيضاً في الضعفاء وقال : ينفرد عن الأثبات بما لا يشبه حديث الثقات فلما فحش ذلك منه بطل الإحتجاج به .

وقال البزار : أحتملوا حديثه وكان فيه تشیع ، وقال العقيلي في حديثه أضطراب ، وقال الحاکم : لم يخرج له مسلم لکان أولی . راجع میزان الاعتدال ٤ / ٢٢٧ ، وتحذیب التهذیب . ١٣٨ / ١١

أقول : فتبین بعد عرض هذه الأقوال ان الرجل لم يكن من المالكين كما قال ابن حزم ، كما لم يكن فحش تفہم ببطل الأحتجاج به كما قال ابن حبان في الضعفاء ، وإنما

تكلم قريش ^{الّي} كانت تتوجههم في وجوه أهل البيت ، وهي ^{الّي} ظهرت وظاهرة بالعداوة لهم في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ، كل ذلك لما أصابها من خذلان وخسران في الواقع على يد الإمام أمير المؤمنين علیہ السلام قال علیہ السلام : (ما لي ولقريش ، والله لقد قاتلتهم كافرين ، ولأقاتلهم مفتونين ، وإنني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم) ^(١).

(اللّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قَرِيشٍ وَمَنْ أَعْنَاهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحْمِي ، وَصَرَّعُوا عَظِيمَ مَنْزِلِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مَنَازِعِي أَمْرًا هُوَ لِي ، ثُمَّ قَالُوا : إِلَّا إِنِّي فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَنِي ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَرْكَنِي).

قال الشيخ محمد عبده في شرحه : «ثم قالوا ... أي أئمّة أعرفوا بفضله ، وأنّه أجدرهم بالقيام به ففي الحق أن يأخذه ، ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره ، عقدوا له الأمر وقالوا للإمام : في الحق أن تتركه ، فتناقض حكمهم بالحقيقة في القضيتين ، ولا يكون الحق في الأخذ إلّا ملن تتوفرت فيه الشروط» ^(٢).

وقال علیہ السلام :

تكلم قريش تمنياني لقتلني فلا ورتك ما برروا وما ظفروا

قال ذلك . فيما أحسب . لأنّه يروي حديث حذيفة وأمثال ذلك مما فيه أسماء رموز القرشيين ، ثم ما قاله الحاكم لم يخرج له مسلم لكن أولى ، أفلا عطف على مسلم أبا داود والترمذني والنسيائي فكلّهم أخرج له في سنته ، فالرجل معذوب من رجال الصلاح ، الذين قالوا بوثاقتهم حبي على الفلاح ، فليس هو بمالك وحديثه يصبح أعتبره من المدارك . وقد أخرجته أحاديث في مسنده عن أبي الطفيلي ورواه المishمسي في جمجم الزوائد وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . فسقط التعلق به والحمد لله رب العالمين .

أنظر المخلوي لابن حزم ١١ / ٢٢٤ . ٢٢١ وراجع منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد

٥ / ٩١ نقلًا عن ابن أبي شيبة في المصنف .

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ١ / ٧٧ ط الإستقامة .

(٢) نفس المصدر ٢ / ١٠٣ وفي بعض الروايات اللهم إني أستعديك على قريش .

فإن هلكت فرهن ذمتي لهم بذات روقين ما يعفو لها أثر^(١)
 وقد مرت بعض كلمات عمر مع ابن عباس وتأتي كاملة في صفحة
 احتجاجاته ، وفيها أقواله المعربة عن كراهية قريش للإمام نحو قوله : «ولكن
 قريش لا تحتمله» ، قوله : «و QUISH لما قد وترها» ، قوله : «وبغض قريش له».
 وقد ردّ ابن عباس على عمر أقواله كأنها فمن ذلك قوله : «وأَمَّا بغض قريش
 له ، فهو الله ما يبالي ببغضهم له بعد أن جاهدتهم في الله حين أظهر الله دينه ، فقصص
 أقرانها ، وكسر آهتها ، وأنكل نسائها في الله ، لامه من لامه»^(٢).
 وإن أبلغ تمثيل قاله عمر في تصوير منتهى حقد قريش وكراهيتهم للإمام
 وتصوирه : «إن قريشاً ينظرون إلى الإمام نظر الثور إلى جازره» ، ولم أقف على
 هذا التشبيه عند غيره ، وهو تشبيه بالغ الدقة في التصوير والتعبير . فهو قد جزر
 منهم سبعين.

قال عمر بن الخطاب لابن عباس. في حديث سيأتي بطوله في صفحة
 احتجاجاته . : «ما منع قومكم منكم ؟

قال : لا أعلم يا أمير المؤمنين ، قال : اللَّهُمَّ اغفر لِّقَوْمِكُمْ كَرْهُوا أَنْ يجتمع
 لَكُمُ الْنَّبُوَةُ وَالخِلَافَةُ فَتَذَهَّبُونَ فِي السَّمَاوَاتِ بِذَنْخًا وَشَمْخًا ، لِعُلَمَّا تَقُولُونَ : إِنَّ أَبَا بَكْرَ
 أَرَادَ الْإِمْرَةَ عَلَيْكُمْ وَهُضْمَكُمْ ، قَالَ : لَكُنْهُ حَضْرَهُ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَحْزَمَ مَمْا فَعَلَ ،
 وَلَوْلَا رَأَيَ أَبِي بَكْرَ فِي بَعْدِ مَوْتِهِ لِأَعْادَ أَمْرَكُمْ إِلَيْكُمْ ، وَلَوْ فَعَلَ مَا هَنَأُكُمْ مَعَ
 قَوْمَكُمْ ، إِنَّهُمْ لَيَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الثُّورِ إِلَى جَازِرِهِ»^(٣).

(١) الفائق للزمخشري (روق) وذات الـروقين أي الـداهية العظيمة قال أبو عثمان المازني : لم يصح عنـدـنا أنـ عـلـيـاً تـكـلمـ منـ الشـعـرـ بشـيءـ إـلـاـ هـذـيـنـ الـبـيـتـيـنـ.

(٢) فرائد السقطين ١ / ٣٣٥ تـحـ المـحـمـودـيـ.

(٣) شـرحـ النـهجـ لـابـنـ أـبـيـ الحـدـيدـ ١ / ٦٣ طـ مصرـ الأولىـ.

ولايتهم عمر في ذلك على قريش وهو منهم ، أمّا عثمان فهو الأوهن من عمر عند الناس ، لكنه الأكثر شدة مع بني هاشم.

فاقرأ ما قاله عثمان لابن عباس . في حديث سيأتي بطوله في صفحة احتجاجاته . : «الله إِنّكَ مَا تعلَمْ مِنْ عَلَيٍّ مَا شَكُوتْ مِنْهُ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ لَا إِلَّا أَنْ يَقُولَ كَمَا يَقُولُ النَّاسُ ، يَنْقِمُ كَمَا يَنْقِمُونَ فَمَنْ أَغْرَاكَ بِهِ وَأَوْلَعَكَ بِذِكْرِهِ دُونَهُمْ؟ فَقَالَ عُثْمَانٌ : إِنّمَا آفَتِي مِنْ أَعْظَمِ الدَّاءِ الَّذِي يَنْصَبُ نَفْسَهُ لِرَأْسِ الْأَمْرِ وَهُوَ عَلَيِّ ابْنِ عَمِّكَ . وَهَذَا وَاللَّهُ كَلَّهُ مِنْ نَكْدَهُ وَشَوْمَهُ .

قال ابن عباس : مهلاً استشن يا أمير المؤمنين قل ان شاء الله . فقال : إن شاء الله ثم قال إني أنسدك يا بن عباس الإسلام والرحم فقد والله غالبٌ وابتليت بك ، والله لو ددت ان هذا الأمر كان صار إليكم دوني فحملتموه عني ، وكنت أحد أعوانكم عليه ، اذا والله لو جدتموني لكم خيراً مما وجدتكم لي . وقد علمت أن الأمر لكم ولكن قومكم دفعوك عنده وأخترلوه دونكم ، فهو والله ما أدرى أرفعوه عنكم أم رفعوك عنده ؟

قال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين فإننا ننسدك الله والإسلام والرحم مثل ما نشدتنا أن تطمع فيها وفيك عدواً ، وتشمت بنا وبك حسوداً ، إن أمرك إليك ما كان قوله ، فإذا صار فعلاً فليس إليك ولا في يديك ، وإنما والله لنخالفن إن خلفنا ، ولننازعن إن نوزعنا ، وما تمييك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلا أن يقول قائل منها ما يقوله الناس ، ويعيّب كما عابوا .

فأمّا صرف قومنا عنّا الأمر فعن حسد قد والله عرفته ، وبغي قد والله علمته ، فالله بيننا وبين قومنا .

وأَمّا قولك : إِنّك لَا تدري أَرْفَعُوهُ عَنَا أَمْ رَفَعُونَا عَنْهُ ؟ فَلَعْمَرِي إِنّك لَتَعْرِفُ أَنّه لَوْ صَارَ إِلَيْنَا هَذَا الْأَمْرُ مَا أَزَدَنَا بِهِ فَضْلًا إِلَى فَضْلِنَا ، وَلَا قَدْرًا إِلَى قَدْرِنَا ، وَإِنَّا لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ ، وَمَا فَضْلٌ فَاضْلٌ إِلَّا بِفَضْلِنَا ، وَلَا سَبْقٌ سَابِقٌ إِلَّا بِسَبْقِنَا ، وَلَوْلَا هَدَيْنَا مَا أَهْتَدَى أَحَدٌ ، وَلَا أَبْصَرُوا مِنْ عَمَى ، وَلَا قَصْدُوا مِنْ خَورٍ.

فَقَالَ عُثْمَانٌ : حَتَّى مَتَّ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ يَأْتِيَنِي عَنْكُمْ مَا يَأْتِيَنِي هَبُونِي كَنْتَ بَعِيدًاً مَا كَانَ لِي مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكُمْ أَنْ أَرَأَقُبُ وَأَنْ أَنَاظِرُ ، بَلِّي وَرَبُّ الْكَعْبَةِ وَلَكِنَّ الْفُرْقَةَ سَهَّلَتْ لَكُمُ الْقَوْلَ فِيَّ ، وَتَقْدَمْتُ إِلَى الإِسْرَاعِ إِلَيَّ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَ»^(١).

وَرَوَى أَبُو سَعْدُ الْآبِيَّ فِي كِتَابِهِ^(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : «وَقَعَ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلَيِّ عَلَيْهِ الْأَيْمَانُ كَلَامُ عُثْمَانٍ : مَا أَصْنَعَ إِنْ كَانَتْ قَرِيشٌ لَا تَحْبِبُكُمْ وَقَدْ قُتِلْتُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعِينَ كَأْنَ وَجْهَهُمْ شَنُوفٌ^(٣) الْذَّهَبُ تَصْرُعُ أَنْفُهُمْ قَبْلَ شَفَاهَهُمْ»^(٤).

وَمِنْ حَقِّ السَّائِلِ أَنْ يَسْأَلَ عُثْمَانَ وَشَيْعَتَهُ عَنِ الْمُقْتُولِينَ بِيَدِ الْأَيْمَانِ كَانُوا مُسْتَحْقِينَ لِلْقَتْلِ ؟ فَإِنْ كَانُوا فَمَا ذَنَبُ مَنْ قُتِلَهُمْ مَا دَامُوا كُفَّارًا وَالْإِسْلَامُ أَمْرٌ بِقُتْلِهِمْ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ جَاءُوا لِحَرْبِهِ ؟

ثُمَّ مَا بَالَ عُثْمَانَ يَتْحَرِّقُ . وَهُوَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ . لِقَتْلِ الْكَافِرِينَ ، ثُمَّ يَصْفُهُمْ وَصَفَ الْمُتَلَهِّفِ عَلَيْهِمْ ؟ إِنَّ ذَلِكَ مُعِيبٌ عَلَيْهِ لَكِنَ الرَّجُلُ لَمْ يَتَخَلَّ عَنِ أُمُورِهِ وَتَعَصَّبَ لِقَوْمِهِ جَمِيعًا كَافِرُهُمْ وَمُسْلِمُهُمْ ، مَيْتُهُمْ وَحَيْهُمْ ، فَهُوَ يَحْقُدُ عَلَى

(١) نفس المصدر ٢ / ٣٩٥ - ٣٩٦ ط الأولى بمصر.

(٢) اسم كتابه نشر الدرر وقد طبع منه سابقًا ببعض مصر وطبع حديثاً في بيروت على ما بلغني.

(٣) الشنوف والشَّنف وهو القرط الأعلى ، أو معلاق في قوف الأذن ، أو ماعلق في أعلىها ، وأمّا ما علق في أسفلها فقرط (قطر المحيط . شنف).

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٤٠٠.

من قتل الكافر منهم كما يحقد على من عاب عليه من نصحه في عميته مع قومه الأحياء حتى تمنى لو بيده مفاتيح الجنة لأدخل جميع بنـي أمية فيها^(١).

وما قريش الـّتي لا تحبـ علىـاً ولا بـنـيـ هـاشـمـ وـيـنـظـرـونـ إـلـيـهـ نـظـرـ الشـورـ إـلـىـ جـازـرـهـ كـمـاـ مـرـ عنـ عـمـرـ إـلـاـ وـهـمـ قـرـيـشـ الـّـتـيـ ذـكـرـهـ عـثـمـانـ بـقـوـلـهـ لـعـلـيـ :ـ «ـ مـاـ أـصـنـعـ إـنـ كـانـتـ قـرـيـشـ لـاـ تـحـبـكـمـ ...ـ اـخـ»ـ.ـ رـوـاهـ أـبـوـ نـعـيمـ فـيـ كـتـابـهـ مـعـرـفـةـ الصـحـابـةـ وـلـفـظـهـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ :ـ «ـ قـالـ عـثـمـانـ لـعـلـيـ ﷺـ :ـ مـاـ ذـنـيـ إـنـ لـمـ يـحـبـكـ قـرـيـشـ وـقـدـ قـتـلـتـ مـنـهـ سـبـعينـ رـجـلـاـ كـأـنـ وـجـوهـهـ سـيـوـفـ الـذـهـبـ»ـ^(٢).

وأحسب أن المعنى لعثمان أولاً وأخراً هو الإمام علي عليه السلام لأنـهـ قـاتـلـ المـشـرـكـينـ وـالـكـفـارـ ،ـ فـأـورـدـهـمـ النـارـ وـأـلـزـمـ آخـرـهـمـ العـارـ.ـ لـذـلـكـ عـظـمـتـ بـلـيـتـهـ ،ـ فـكـانـتـ قـرـيـشـ بـجـمـيعـ بـطـوـنـهـاـ وـمـنـهـمـ بـنـوـ أـمـيـةـ تـحـقـدـ عـلـىـ بـنـيـ هـاشـمـ وـبـنـيهـاـ.ـ كـمـاـ مـرـ عنـ عـمـرـ ذـلـكـ.ـ وـلـاـ تـحـبـهـمـ.ـ كـمـاـ قـالـ عـثـمـانـ.ـ فـكـانـ سـهـمـ الإـمـامـ عـظـيمـاـ كـعـظـمـتـهـ ،ـ وـكـثـيرـاـ كـثـرةـ جـهـادـهـ.

روى ابن عساكر بسنده : «أن رجلا سأله بن حبـلـ عـنـ قـوـلـ النـبـيـ ﷺـ :ـ (علـيـ قـسـيمـ النـارـ)ـ فـقـالـ :ـ هـذـاـ حـدـيـثـ يـضـطـرـبـ طـرـيـقـهـ عـنـ الـأـعـمـشـ وـلـكـنـ الـحـدـيـثـ الـذـيـ لـيـسـ عـلـيـهـ لـبـسـ قـوـلـ النـبـيـ ﷺـ :ـ (ـيـاـ عـلـيـ لـاـ يـحـبـكـ إـلـاـ مـؤـمـنـ وـلـاـ يـغـضـبـكـ إـلـاـ مـنـافـقـ)ـ وـقـالـ اللـهـ عـزـوجـلـ :ـ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فـيـ الـدـرـكـ الـأـسـفـلـ مـنـ النـارـ﴾ـ^(٣)ـ ؟ـ فـمـنـ أـبـغضـ عـلـيـاـ فـهـوـ فـيـ الدـرـكـ الـأـسـفـلـ مـنـ النـارـ»ـ^(٤).

(١) مسند أحمد ١ / ٢١٧ ط محققة ، ١ / ٦٢ ط أفسـتـ مصرـ الأولىـ.

(٢) معرفـةـ الصـحـابـةـ ١ / ٣٠٠ ط الأولىـ أـطـرـوـحةـ دـكـتـورـاهـ تـحـ دـمـحـمـدـ رـاضـيـ بـنـ حاجـ عـثـمـانـ سـنـةـ ١٤٠٨ـ .ـ

(٣) النساء / ١٤٥ .ـ

(٤) تاريخ مدينة دمشق (ترجمـةـ الإـمـامـ عـلـيـ)ـ ٢ / ٢٥٣ .ـ

ومن راجع كتاب (السفينية) للجاحظ و (النزاع والتناحص) للمقرizi وأضرابهما يجد جذور العداوة بينبني أمية وهم من قريش وبينبني هاشم ضارة في أصولها متنامية في فروعها ، ولم يخف ذلك على الباحثين من قدامى ومحدثين.

فإلى ما قاله واحد منهم وهو محمد بن سليمان^(١) حاجب الحجاب ، وهذا الرجل لم يكن يتغصب لمذهب بعينه كما قال ابن أبي الحديد وقد رأه ، فلنقرأ ما يقول : «قد سأله جعفر بن مكي الحاجب عما عنده في أمر عليٍّ وعثمان فقال : هذه عداوة قديمة النسب بين عبد شمس وبينبني هاشم ، وقد كان حرب بن أمية نافر عبد المطلب بن هاشم ، وكان أبو سفيان يحسد محمداً صلوات الله عليه وسلم وحاربه ، ولم تزل الثناء متباغضتين وإن جمعتهما المنافاة ، ثم إن رسول الله صلوات الله عليه وسلم زوج علياً بابنته ، وزوج عثمان بابته الأخرى وكان اختصاص رسول الله صلوات الله عليه وسلم لفاطمة أكثر من اختصاصه للبيت الأخرى ، وللثانية التي تزوجها عثمان بعد وفاة الأولى. واحتياجه أيضاً لعليٍّ وزيادة قربه منه وامتياجه به واستخلاصه إيه لنفسه ، أكثر وأعظم من اختصاصه لعثمان ، فنفس عثمان ذلك عليه فتباعد ما بين قلبيهما ...».

إلى أن قال : «ثم أتفق أن علياً عليه السلام قتل جماعة كثيرة منبني عبد شمس في حروب رسول الله صلوات الله عليه وسلم ، فتأكـد الشـنـآن ، واذا أـسـتوـحـشـ الإـنـسـانـ منـ صـاحـبـهـ أـسـتوـحـشـ صـاحـبـهـ منهـ .

ثم مات رسول الله صلوات الله عليه وسلم ، فصبا إلى عليٍّ جماعة يسيرة لم يكن عثمان منهم ، ولا حضر في دار فاطمة مع من حضر من المخلفين عن البيعة ، وكانت في نفس عليٍّ عليه السلام أمور من الخلافة لم يمكنه إظهارها في أيام أبي بكر وعمر لقوتها عمر وشدة ، وانبساط يده ولسانه.

(١) وصفه ابن أبي الحديد بأنه حاجب الحجاب وقال : وكان ظريفاً أديباً وقد أشتغل بالرياضيات من الفلسفة ولم يكن يتغصب لمذهب بعينه.

فلما قتل عمر وجعل الأمر شورى بين الستة ، وعدل بما عبد الرحمن عن علي إلى عثمان ، لم يملأ علي نفسه فأظهر ما كان كامناً ، وأبدى ما كان مستوراً ، ولم ينزل الأمر يتزايد بينهما حتى شرف وتفاقم.

ومع ذلك فلم يكن علي عليه السلام ليذكر من أمره إلا منكراً ، ولا ينهاه إلا عمما تقتضي الشريعة نفيه عنه.

وكان عثمان مستضعفًا في نفسه ، رخواً ، قليل الحزم ، واهي العقدة ، وسلّم عنانه إلى مروان يصرّفه كيف شاء ، فالخلافة له في المعنى ولعثمان في الإسم ، فلما انتقض على عثمان أمره استصرخ عليه ولاده ، وألقى زمام أمره إليه ، فدافع عنه حيث لا ينفع الدفاع ، وذبّ عنه حين لا يغني الذبّ ، فقد كان الأمر فساداً لا يرجى صلاحه»^(١).

ومع هذه العداوة المتّصلة في جذورها كيف يبرئ معاوية وبنو أمية الإمام وبني هاشم ، مع أنهم وأعوانهم كانوا يشهدون ببراءته وبراءتهم ، ولكنها الأحقاد الأموية فاقرأ ما قاله عبد الله بن عمر لمن سأله هل شرك علي في دم عثمان ؟ فقال : «لا والله ما أعلمت ذلك في سر ولا علانية ، ولكن كأنه كان رأساً يفرز إليه فألحق به ما لم يكن»^(٢).

واقرأ لابن عمر كلمته الأخرى في حق ابن عباس وبراءته من دم عثمان قال : «ما زال ابن عباس ينهى عن قتل عثمان ويعظّم شأنه حتى جعلت ألسونه على أن لا أكون قلت مثل ما قال»^(٣).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٤٠١ ط مصر الأولى.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٩٣.

(٣) نفس المصدر ١ ق ٤ / ٥٩٥.

وقال ابن سيرين : «لقد قتل عثمان يوم قتل وما أحد يتهم علياً في قتله»^(١).
ولكن معاوية قال لابن عباس في كتاب كتبه إليه بعد صلح الإمام
الحسن عليهما السلام . جاء فيه : «لعمري لو قلت لك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضا ،
وأن يكون رأياً صواباً ، فإنك من الساعين عليه ، والخاذلين له ، والرافضين دمه ، وما
جرى بيدي وبينك صلح فيمنعك مني ولا يدك أمان».

فأجابه بحوار طويل جاء فيه : «وأَمَّا قُولُكَ إِنِّي مِنَ السَّاعِينَ عَلَى عُثْمَانَ
وَالخَادِلِينَ وَالسَّافِكِينَ لَهُ وَمَا جَرَى بِيَنِي وَبِنِيكَ صَلْحٌ فَيَمْنَعُكَ مِنِي ، فَأَقْسَمْ بِاللَّهِ
لَأَنْتَ الْمُتَرِبَّصُ بِقَتْلِهِ وَالْمُحْبَّبُ لَهُ لَهَاكَهُ ، وَالْحَابِسُ النَّاسَ قَبْلَكَ عَنْهُ عَلَى بَصِيرَةِ مِنْ
أُمْرِهِ ، وَلَقَدْ أَتَاكَ كِتَابَهُ وَصَرِيخَهُ يَسْتَغِيثُ بِكَ وَيَسْتَصْرُخُ ، فَمَا حَفَلْتَ بِهِ حَتَّى
بَعْثَتْ إِلَيْهِ مَعْذِرًا بِأَمْرِ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَرَكُوهُ حَتَّى يُقْتَلُ ، فَقُتِلَ كَمَا كَنْتَ
أَرْدَتْ ، ثُمَّ عَلِمْتَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فَطَفَقْتَ تَعْنِي عُثْمَانَ
وَتَلَزِّمْنَا دَمَهُ ، وَتَقُولُ قَتْلُ مُظْلومًا ، فَإِنْ يَكُونُ قَتْلُ مُظْلومًا فَأَنْتَ أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ ، ثُمَّ لَمْ
تَنْزِلْ مَصْوَبًا وَمَصْعَدًا وَجَاثِيًّا وَرَابِضًا تَسْتَغْوِي الْجَهَالَ ، وَتَنَازِعْنَا حَقْنَا بِالسَّفَهَاءِ
حَتَّى أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ ، وَانْأَدَرْتَ لِعْلَهُ فَتْنَةً لَكُمْ وَمَنْتَاعًا إِلَى حِينٍ»^(٢).

نعم أَنَّ بَنِي هَاشِمَ كَانُوا مِنَ الْكَارِهِينَ لِوَلَايَةِ عُثْمَانَ أَوْلًا لَأَنَّهُمْ يَرَوُنَ أَنَّ
الْحَقَّ لَهُمْ ، وَكَانُوا مِنَ السَّاخِطِينَ عَلَى سِيرَتِهِ ثَانِيًّا حِينَ أَسْخَطَ الْمُسْلِمِينَ عَمَلَهُ ،
وَلَمْ يَكُونُوا وَحْدَهُمْ قَدْ سَخَطُوا سِيرَتِهِ ، بَلْ جَمِيعُ الصَّحَابَةِ فِي الْمَدِينَةِ وَخَارِجَهَا
كَانُوا كَذَلِكَ.

فقد روى شعبة بن الحجاج عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
قال : «قلت له : كيف لم يمنع أصحاب رسول الله ﷺ عن عثمان ؟

(١) نفس المصدر ١ ق ٤ / ٥٩٤.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤ / ٥٨.

فقال : إنما قتله أصحاب رسول الله ﷺ .

وروى عن أبي سعيد الخدري أنّه سُئلَ عن مقتل عثمان هل شهدَه أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: «نعم شهدَه ثمانمائة»^(٢).

فهذا القولان وإن لم يعُيّنا بالاسم مَن هم أولئك الصحابة الذين شهدوا مقتل عثمان ولم يمنعوا عنه ، بل إن منهم من قتله ، لكن لم يكن عليٌ ولا ابن عباس ولا بقية بني هاشم مع أولئك الصحابة القاتلين لعثمان وإذ لم يكونوا معهم ، فما بال بني أمية عصبا قتلـه بهم ؟ أهـم لم يكونوا مع القاتلين ولا مع المرضـين عليه ، بل كانوا من المدافعين عنه ، وقد ردوا عنه كثيراً حتى أعجزـهم هو حين لم يأخذ بنصائحـهم وكان يتّهمـهم لما في نفسهـ من جذور العداوة المتـصلة بين بيـتي عبد مناف - بـني هـاشـم وـبني أمـية ..

والآن إلى ما رواه البلاذري والطبرى وابن الأثير وابن كثير والنويiri نقلاً عن الواقدي من نصائح الإمام أمير المؤمنين لعثمان ، نقلها بلفظ الطبرى قال . بعد ذكر نسمة الناس وتداعي الأمصار بالنكير على سيرة عثمان . : «فاجتمع الناس وكلّموا عليّ بن أبي طالب ، فدخل على عثمان فقال : الناس ورائي وقد كلاموني فيك والله ما أدرى ما أقول لك ، وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنّك لتعلم ما علمنا ما سبقناك إلى شيء فتخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فتبليغكه ، وما خصصنا بأمر دونك ، وقد رأيت وسمعت وصحت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ونلت صهره .

وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك ، وإنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحمةً ،

(١) نفس المصدر ١ / ٢٣١

(٢) نفس المصدر.

ولقد نلتَ من صَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَنالُهُ . وَلَا سَبَقَكَ إِلَى شَيْءٍ ، فَإِنَّكَ وَاللَّهُ مَا تُبصِّرُ مِنْ عَمَى ، وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهَلٍ ، وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحٌ بَيْنَ ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لِقَائِمَةً ، تَعْلَمُ يَا عُثْمَانَ أَنَّ أَفْضَلَ عَبَادَ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ ، هُدِيٌّ وَهَدِيٌّ ، فَأَقَامَ سَنَةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بَدْعَةً مَتَوَكِّةً ، فَوَاللَّهِ إِنَّ كَلَّا لَبَيْنَ وَإِنَّ السَّنَنَ لِقَائِمَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْبَدْعَ لِقَائِمَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سَنَةً مَعْلُومَةً ، وَأَحْيَا بَدْعَةً مَتَوَكِّةً . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (يُؤْتَى يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِإِلَمَامِ الْجَاهِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ ، فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ ، فَيَدُورُ فِي جَهَنَّمَ كَمَا تَدُورُ الرِّحَا ، ثُمَّ يَرْتَضِمُ فِي غَمْرَةِ جَهَنَّمِ) .

وَإِنِّي أَحَذَّرُكَ اللَّهُ ، وَأَحَذَّرُكَ سَطْوَتَهُ وَنَقْمَاتَهُ ، فَإِنَّ عَذَابَهُ شَدِيدٌ أَلِيمٌ . وَأَحَذَّرُكَ أَنْ تَكُونَ إِمَامًا هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولُ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ ، فَيُفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلُ وَالْقَتَالُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَتُلْبَسُ أَمْوَالُهَا عَلَيْهَا ، وَيُتَرَكُهُمْ شَيْعًا ، فَلَا يَصْرُونَ الْحَقَّ لِعُلُوِّ الْبَاطِلِ ، يَمْجُونَ فِيهَا مَوْجًا ، وَيَرْجُونَ فِيهَا مَرْجًا . فَلَا تَكُونُ لِمَرْوَانَ سِيَّقَةً يَسْوَقُكَ حِيثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السَّنَنِ وَتَقْضِيَ الْعَمَرِ .

فَقَالَ عُثْمَانٌ : قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ ، لِيَقُولُنَّ الَّذِي قَلَّتْ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَنْتَ مَكَانِي مَا عَنْفَتَكَ وَلَا أَسْلَمْتَكَ ، وَلَا عَبَتَ عَلَيْكَ ، وَلَا جَئَتْ مُنْكَرًا أَنْ وَصَلَتْ رَحْمًا ، وَسَدَّدَتْ خَلْلَةً ، وَآوَيْتَ ضَائِعًا ، وَوَلَيْتَ شَبِيهًَا بْنَ كَانَ عَمْرَ يُوْلَى .

أَنْشَدَكَ اللَّهُ يَا عَلِيًّا هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْمُغَيْرَةَ بْنَ شَعْبَةَ لَيْسَ هَنَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَتَعْلَمُ أَنَّ عَمْرَ وَلَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَلَمْ تَلْوُمِنِي أَنَّ وَلَيْتَ ابْنَ عَامِرَ فِي رَحْمِهِ وَفَرَابَتَهُ ؟

قال عليّ : سأخبرك ، إنّ عمر بن الخطاب كان كُلّ من ولّ فإنّما يطأ على صمّا خه ، إن بلغه عنده حرف جلبه ثمّ بلغ به أقصى الغاية وأنت لا تفعل ، ضعفت ورققت على أقربائك.

قال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً . فقال عليّ : لعمري إن رحهم مني لقريبة ، ولكن الفضل في غيرهم.

قال عثمان : هل تعلم إنّ عمر ولّ معاوية خلافته كلّها ؟ فقد ولته.

فقال عليّ : أنسدك الله هل تعلم إنّ معاوية كان أخوف من عمر من يرافقه عمر منه ؟ قال : نعم.

قال عليّ : فإنّ معاوية يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها ، فيقول للناس : هذا أمر عثمان فيبلغك فلا تغيير على معاوية . ثمّ خرج عليّ من عنده.

وخرج عثمان على أثره ، فجلس على المنبر فقال : أمّا بعد ، فإنّ لكل شيء آفة ، ولكلّ أمر عاهة ، وإنّ آفة هذه الأمة ، وعاهة هذه النعمة عيّابون طعّانون ، يُرونكم ما تحبون ، ويُسرون ما تكرهون ، يقولون لكم وتقولون ، أمثال النعام يتبعون أول ناعق ، أحبت مواردها إليها بعيد ، لا يشربون إلا نَعْصاً ، ولا يردون إلا عَكراً ، لا يقوم لهم رائد ، وقد أعيتهم الأمور ، وتعذرّت عليهم المكاسب.

ألا فقد والله عبّتم علىّ بما أفترتم لابن الخطاب بمثله ، ولكنه وطأكم برجله ، وضرركم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم ، وأوطأت لكم كنفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فأجترأتم علىّ . أما والله لأنّا أعزّ نفراً ، وأقرب ناصراً ، وأكثر عدداً ، وأقمن إن قلت هلمّ أتي إلى ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولها ، وكشّرت لكم عن ناي وأخرجتم مني حُلقاً لم أكن أحسّنه ، ومنطقاً لم أنطق به ، فكفّوا عليكم ألسنتكم

وَطَعْنَكُمْ وَعِيْبَكُمْ عَلَىٰ وَلَاتَّكُمْ ، فَإِنِّي قَدْ كَفَفْتُ عَنْكُمْ مَّا نَحْنُ لَوْ كَانَ هُوَ الَّذِي يَكْلِمُكُمْ لِرِضَيْتُمْ مِّنْهُ بَدْوَنَ مَنْطَقَيْ هَذَا .

أَلَا فَمَا تَفْقِدُونَ مِنْ حَقِّكُمْ ؟ وَاللَّهُ مَا قَصَرْتُ فِي بَلوغِ مَا كَانَ يَلْغُ مَنْ كَانَ قَبْلِي ، وَمَنْ لَمْ تَكُونُوا تَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ . فَضَلْلُ فَضْلٌ مِّنْ مَالٍ ، فَمَا لِي لَا أَصْنَعُ فِي الْفَضْلِ مَا أُرِيدُ ! فَلَمْ كُنْتِ إِمَامًاً ؟ !

فَقَامَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمَ فَقَالَ : إِنْ شَئْتُمْ حَكْمَنَا وَاللَّهُ بَيْنَنَا وَبِيْنَكُمْ السَّيفُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَرَشَنَا لَكُمْ أَعْرَاضَنَا فَنَبَتْ بِكُمْ مَعَارِسُكُمْ تَبْنَوْنَ فِي دَمَنَ الشَّرِيْقِ
فَقَالَ عُثْمَانَ : أَسْكَتْ لَا سَكَتْ ، دَعَنِي وَأَصْحَابِي ، مَا مَنْطَقُكَ فِي هَذَا ؟ أَلَمْ أَنْقَدْمَ إِلَيْكَ أَلَا تُنْطِقْ ! فَسَكَتْ مَرْوَانَ وَنَزَلَ عُثْمَانَ»^(١) .

وَخَتَمًاً فَإِنَّ لَابْنِ عَبَّاسٍ مَوْاقِفَ مَعَ الشَّانِئِينَ مِنْ قَرِيشٍ سَنَائِيَ عَلَى ذَكْرِهَا فِي صَفَحَةِ احْتِجاجَاتِهِ ، كَمَا أَنَّ لَهُ أَحَادِيثَ مَرْفُوعَةٍ يَرْوِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ حَرْصًاً عَلَى هَدَايَتِهِمْ أَنْ يَخْدِعُهُمُ الْإِعْلَامُ الْكَاذِبُ مِنْ حَكَامَ قَرِيشٍ .

فَمِنَ الْأَحَادِيثِ مَا رَوَاهُ مَرْفُوعًا عَنْهُ ﷺ قَالَ : (يَا بْنَى عَبْدِ الْمَطَلَبِ إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ لَكُمْ أَنْ يَعْلَمَ جَاهِلَكُمْ وَأَنْ يَتَبَّتَّ قَائِمَكُمْ ، وَأَنْ يَهْدِي ضَالَّكُمْ ، وَأَنْ يَجْعَلَكُمْ نَجِدَاءَ جُودَاءِ رَحْمَاءِ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنْ رَجُلًا صَفَّ قَدْمِيهِ بَيْنَ الرَّكْنِ وَالْمَقَامِ مَصْلِيًّا ، وَلَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ يَعْضُدُكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ لِدُخُولِ النَّارِ) ^(٢) .

(١) تَارِيخُ الطَّبرِيِّ ٤ / ٣٣٧ - ٣٣٩ طِ دَارُ الْمَعَارِفِ . وَأَنْظَرَ أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ ١ ق٤ / ٥٤٩ تَحْتَ اَحْسَانِ عَبَّاسٍ ، تَارِيخُ الْكَامِلِ ٣ / ٦٤ - ٦٦ طِ بِولَاقُ ، وَالْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ ٧ / ١٦٨ طِ السَّعَادَةُ ، وَخَاتَمَ الْإِرْبَ ١٩ / ٤٧٠ .

(٢) أَمَالِيُّ الْمَفِيدِ / ١٣٤ طِ الْجَيْدِرِيَّةِ سَنَةُ ١٣٦٧ .

ومن بعض المواقف مع الشائين ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج نقاً عن الزبير بن بكار بسنده عن عثمان بن عبد الرحمن قال : «قال عبد الله بن عباس : والله لقد علمت قريش إن أول من أخذ الإيلاف وأجاز لها العيرات لهاشم. والله ما شدّت قريش رحالاً ولا حبلاً بسفر ، ولا أناخت بعيراً لحضر إلا بهاشم. والله إن أول من سقى بمكة ماءً عذباً ، وجعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطلب»^(١).

معرفة نتائج السخط :

فلنقرأ منها أولاً ما كتبه طه حسين في الفتنة الكبرى قال : «ويقاد المؤرخون يجمعون على أن الأعوام الستة الأولى من خلافة عثمان مرت سلام ، فلما أستقبل عثمان الشطر الثاني من خلافته ظهرت المصاعب وقامت المشكلات. وينتقل إلى أن المسلمين رضوا بخلافة عثمان ست سنين ، ثم أحتملوها أربع سنين ، فلما جاز عثمان بخلافته الأعوام العشرة ، جعل المسلمين يضيقون به ويستطيلون خلافته ، يظهرون ذلك في شيء من الرفق أول الأمر ، ثم في شيء من الحدة بعد ذلك ، ثم في عنف جعل يتزايد شيئاً فشيئاً حتى أنهى إلى غايته المنكرة وهي قتل الإمام.

وليس معنى ذلك أن عثمان لم يلق معارضة أثناء هذه الأعوام العشرة ، فقد ظهرت المعارضة منذ اليوم الأول لخلافته بالقياس إلى قضية عبيد الله بن عمر ، وإنما معناه أن المعارضة لم تبلغ طور الخطورة إلا في العامين الأخيرين من حياة عثمان ... ويقول الرواة : أن عبد الرحمن بن عوف كان أول من اجترأ على عثمان ، فألغى بعض أمره وأطمع الناس فيه. وذلك أن بعض السعاة أقبلوا بإبل الصدقة ،

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ٤٥٨ .

فوهبها عثمان لبعض أهل الحَكْم ، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن دعا بعض أصحاب النبي وأرسلهم فأستردوا له هذه الإبل وقسّموا في الناس. وعثمان في الدار لم يُذكر ذلك ولم يغّيره ، بل لم يكلّم فيه عبد الرحمن وأصحابه.

فكان اجتراء عبد الرحمن وأصحابه خطراً في نفسه لأنّه تغيير لأمر السلطان. وكان سكوت عثمان على هذا الإجتراء أشد منه خطراً ، لأنّه اعتراف بالخطأ ونقص من هيبة السلطان»^(١).

وقال أيضًا : «ثم جعلت المعارضة تشتد في الأ MCSar وتصل أصداوها إلى المدينة ، حتى اضطر عثمان إلى أصنطاع النفي الإداري ، وجعلت المعارضة تشتد في المدينة وتصل أصداوها إلى الأ MCSar فتزيد المعارضين في الأقاليم شدة وأجتراء. حتى أضطر عثمان إلى أن يصطنع الشدة مع معارضيه أنفسهم ، فيعود وينذر ، ولا يملأ نفسه أحياناً من البطش ببعض المعارضين وقد روى المؤرخون : أن الناس كثروا على عثمان ونالوا منه أشنع ما نيل من أحد سنة أربع وثلاثين. وكان أصحاب النبي يرون ويسمعون ثم لا ينهون ولا يذبون إلا جماعة ضئيلة : زيد بن ثابت وأبوأسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت.

بل كان من أصحاب النبي الذين أقاموا بالمدينة يكتبون إلى أصحاب النبي الذين تفرقوا في الشعور يستقدمونهم إلى المدينة لتقديم ما أوج من أمر الخلافة ، يقولون لهم : إنكم خرجتم تطلبون الجهاد ، وإنما jihad وراءكم ، فارجعوا إلى المدينة لإقامـة الدين وصيانته ، فقد عرضـه السلطان لـشـر عظيم ، واجتمع الناس فـذاكرـوا الأحداث والخطـوب ، ولاـموا عـثمان فـأكـثـروا لـومـه ثم كـلفـوا عـليـاً أن يـدخل عـلى عـثمان فـيـكـلمـه.

(١) الفتنة الكبرى ١ / ٢٠٠.

قال المؤرخون : فدخل على عثمان فقال له : الناس ورأي وقد كلموني فيك ...»^(١).

ثم ذكر ما مرّ بنا ذكره في آخر مظاهر الحب والبغض .
وقال أيضاً : «تلقي أهل الأ MCSAR وعداً من إمامهم فأطمانوا إليه ، ثم تبينوا أن الخليفة لم يصدق وعده فأقبلوا ثائرين يريدون أن يفرغوا من هذا الأمر ، وألا يعودوا حتى يفرغوا ...

إنما كانوا يريدون أن يحاصروا الإمام ويعاجلوه حتى يصلوا إلى خلعه أو إلى قتله ، وقد بلغوا ما أرادوا فدخلوا المدينة وحاصروا الإمام ...

يريد الثائرون أن يخلع نفسه ، ويأتي هو أن ينزع قميصاً قد كساه الله عزوجل إيه ولكن الأمور تتعدد فجأة فقد عرف الثائرون أن عثمان قد أرسل إلى العمال في الأ MCSAR يأمرهم بأن يرسلوا إليه الجنديين لينصروه ...

وما يكاد الثائرون يعرفون هذا النبأ حتى يتغير الحصار وتتغير معه سيرتهم مع عثمان ...»^(٢).

وقال أيضاً : «ثم ثار الناس فتحاصروا وحصروا عثمان حتى صرّع ، وأحتمل مغشياً عليه ، فأدخل داره فلم يخرج منها إلا مقتولا ... اه»^(٣).

هذه كانت نتائج السخط العارم الذي اجتاح حكومة عثمان حتى أودى بحياته ، فأعقب الأمة شرّاً مستطيراً ، وكان الصحابة الذي عاشوا تلك الأيام من الساخطين إلا نفر يسير لم يتتجاوزوا عدد الأصابع وهم لم يغنو عنه شيئاً.

(١) نفس المصدر ١ / ٢٠٢ .

(٢) نفس المصدر ١ / ٢١٠ .

(٣) نفس المصدر ١ / ٢١٢ .

ومرّ بنا حضور حبر الأمة عبد الله بن عباس في أكثر من موقف مع عثمان ، حيث أطل علينا باسمه عاتباً ومستعبراً ، ورسولاً وعاذلاً ، ولم نجد لعثمان عنده يدًا تذكر له فتشكر ، وكان نصيبه . كسائر بني هاشم . الحرمان حتى مَا أفاء الله على رسوله مَا لم في حقه . وبقيت له مشاركات يمكن أن نتعرف فيها المزيد من أخباره ، مع عثمان في محنته بإختباره ، سيأتي الحديث عنها.

كما مرت بنا مواقف الصحابة مع عثمان خصوصاً أولئك الذين أغدق عليهم العطاء فكان الجزء منهم له شر جزاء . وهي التي سميتها بمواقف سنمارية ، ولم تقصّر عنها مواقف بني أمية الذين قتل عثمان من أجلهم ، فقد كانوا معه يوم قتله ولم يدافعوا عنه فلما قتل لجأوا إلى أم حبيبة وتركوه جثة هامدة بين زوجتيه نائلة وأم البنين ، فجعلت أم حبيبة آل العاص وال Herb وآل أبي العاص وآل أسيد في كندوج . مخزن الغلال . وجعلت سائرهم في مكان آخر^(١).

قال المسعودي : «إذا كان بنو أمية لم يغروا عنه شيئاً فما الذي يرجى من غيرهم إذا كان مثل عمرو بن العاص وهو من الساخطين فكان يقول : أخط عثمان قوماً وآثراً فأنكر ذلك أهل السخط فغلبوا أهل الأثرة فقتل ، ولما بلغه مقتل عثمان وهو بفلسطين فقال : أنا أبو عبد الله إني إذا حكت قرحة أدميتها ونكمتها»^(٢).

وهذا حذيفة بن اليمان قال لما بلغه قتل عثمان : «إن عثمان استأثر فأساء الأثرة ، وحزعنا فأسانا الجزء ، رأوا منه أشياء أنكروها ، وليرون أنكر منها فلام ينكرونها»^(٣).

(١) نظر معاوية يوماً إلى عمرو بن سعيد يختال في مشيته فقال : أبي وأمي أم حبيبة ما كان أعلمها بهذا الحي حين جعلتك في كندوج ، أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٧١.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٥٥ ، وأنظر أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٧٩.

(٣) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٧٩.

ولم تقف نتائج السخط عند القتل والشماتة ، بل بلغت أسوأ ما ارتكبوا منه.

فقد روى البلاذري عن أبي مخنف : «إِنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَتَرَكَ فِي دَارِهِ قَتِيلًاً ، فَجَاءَ جَبِيرٌ بْنُ مَطْعَمٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَمُسْوِرَ بْنَ مُخْرَمَةَ الزَّهْرِيِّ وَأَبْوَ الْجَهَمِ بْنَ حَذِيفَةَ الْعَدُوِيِّ لِيَصْلُوَا عَلَيْهِ وَيُجْنِبُوهُ ، فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا لَا نَدْعُكُمْ تَصْلُونَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ أَبْوُ الْجَهَمِ : إِلَّا تَدْعُونَا نَصْلِي عَلَيْهِ فَقَدْ صَلَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، فَقَالَ الْحِجَاجُ بْنُ غَزِيَّةَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَأَدْخِلْنِي اللَّهُ مَدْخَلَهُ قَالَ نَعَمْ حَشْرِيَ اللَّهُ مَعَهُ ، قَالَ أَبْنَ غَزِيَّةَ : إِنَّ اللَّهَ حَشَرَكَ مَعَهُ وَمَعَ الشَّيْطَانِ وَاللَّهُ إِنْ تَرْكِي الْحَاقِكَ بِهِ لَخْطًا وَعَجْزًا ، فَسَكَتَ أَبْوُ الْجَهَمِ»^(١).

وفي حديث المدائني عن الوقاصي عن الزهري قال : «إِمْتَنَعُوا مِنْ دُفْنِ عُثْمَانَ فَوَقَتْ أُمَّ حَبِيبَةَ بِبَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَتْ : لَتَخْلُنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ دُفْنِ هَذَا الرَّجُلِ أَوْ لَا كَشْفَنَّ سَتْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَلُوَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُفْنِهِ»^(٢).

وروى ابن أثيم في الفتوح قال : «ثُمَّ أَمْرَ عَلَيَّ بِدُفْنِ عُثْمَانَ فَحَمَلَ ، وَقَدْ كَانَ مَطْرُوحًا عَلَى مَزِيلَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ حَتَّى ذَهَبَتِ الْكَلَابُ بِفَرْدٍ رَجُلِيهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ وَأُمُّهُ : لَا نَدْفَنُهُ إِلَّا فِي مَقَابِرِ الْيَهُودِ. قَالَ حَكِيمٌ بْنُ حَزَامَ : كَذَبْتَ أَيْهَا الْمُتَكَلِّمُ لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبْدًا مَا بَقِيَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ قَصْبِيِّ.

قال : فَحَمَلَ عُثْمَانَ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى بَابِ صَغِيرٍ قَدْ جَازَتْ رِجَالٌ مِنَ الْبَابِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لِيَتَقْعِقِعَ وَأَوْتَى بِهِ إِلَى حَفْرَتِهِ»^(٣).

(١) نفس المصدر / ٥٧٥.

(٢) نفس المصدر / ٥٧٧.

(٣) الفتوح ٢ / ٢٤٧.

وقال أبو مخنف في حديثه : «ثم أنّ القوم أغفلوا أمّر عثمان وشغلو
عنه ، فعاد هؤلاء النفر فصلوا عليه ... وحمل على باب صغير من جريد قد
خرجت منه رجلاه»^(١). وفي ذلك قال أحمد شوقي بك في دول العرب
وعظماء الإسلام^(٢) :

مَرْتَ بِهِ ثَلَاثَةً لَمْ يَدْفُنْ وَيَشْفَقُ النَّعْشَ وَيَأْبَى حَامِلَهُ وَنَوْزَعَتْ دَارُ الْبَقَاءِ قَادِمَا عَلَى عَلَوْ شَائِنَهُ وَالسَّنَنَ وَأَمْسَكَانَ نُورَهَا خَلِيفَةُ	مَنْ كَفَتِيَ لَبَالَّسَ فَامْكَفَنِ تَعْرُضُهُ نَوَادِيَ أَرَامِلَهُ قَدْ حَيَلَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَابْنَ آدَمَ مُثَلَّلَ بِالْمَهْ سَاجِرَ المُثَثَّبِيَّ تَبَّوَ الْعَيْنَوْنَ الْيَوْمَ عَنْهُ جِيفَةُ
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

مواقف محنة واختبار لابن عباس :

لقد قرأنا الكثير . فيما مرّ . من نصائح للإمام ولل Abbas ولا بنه عبد الله
نصحوا بها عثمان في الإقلاع عن سياسته التي أثارت عليه سخط المسلمين ،
لكنهم لم يجدوا عنده أذناً صاغية ، بل كان يتهمهم في نصحهم ، وبعد أن
أعجزهم صاروا يقلّلون من تحمل المسؤولية أزاءه ما وسعهم ذلك . وقد مرت بنا
في مواقف عثمان منبني هاشم في الفقريتين (٣ ، ٤) آخر محاولات العباس في
نصر عثمان ، ولم يجد منه قبولاً تماماً ودائماً دعارةًه أن لا يعيشه لأ أيام الفتنة ،
فما دارت عليه الجمعة حتى مات .

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٧٥.

(٢) دول العرب وعظماء الإسلام / ٤٨.

ولعل آخر ما ورد عنه في ذلك وصيته لعثمان تلك الوصية التي تبارى لها
جماعة فنظموها شعراً لتفاستها وما تضمنته من نصائح قيمة^(١).

وله وصية ماثلة ومترادفة مع سابقتها أوصى بها الإمام أمير المؤمنين
عليّ بن أبي طالب عليهما السلام :

قال الجاحظ : «إن العباس بن عبد المطلب أوصى عليّ بن أبي طالب عليهما السلام في علته التي مات فيها ، فقال : أي بُني إِيْ مشفٍ على الظعن عن الدنيا إلى الله الذي فاقتي إلى عفوه وتحاوزه أكثر من حاجتي إلى ما أنسنك فيه ، وأشار عليك به ، ولكن العرق يبوض^(٢) والرحم عروض ، وإذا قضيت حق العمومة فلا أبالي بعد ، إن هذا الرجل . يعني عثمان . قد جاءني مراراً بحديشك وناظري ملائياً ومخاشناً في أمرك ، ولم أجده عليك إلا مثل ما أجد منك عليه ، ولا رأيت منه إلا مثل ما أجد منك له ...»

إلى أن قال : لا تشار هذا الرجل ولا تماره ، ولا يلغنه عنك ما يخنقه
عليك ، فإنه إن كاشفك أصاب أنصاراً ، وإن كاشفته لم تر إلا ضرراً ، ولم
تستلجم إلا عثراً ، واعرف من هو بالشام له ، ومن هنـا حوله من يطـيع أمره
ويمثل قوله ...

(١) ذكر السحاوي في ذيل التبر المسبوك / ٣٧٢ ط مصر ان العباس أوصى عثمان نقلـاً عن ابن سعد ، ثم ذكر أربعة من نظمـوا تلك النصائح باختصار . منهم شيخـه أبو نعيم العقـي بقولـه :

واسـبـ على الـخـمـسـ الـتـيـ أـوـصـىـ بـهـ الـأـصـفـحـ وـدـارـ أـكـتـمـ تـجـبـبـ وـاصـبـرـ

وقـولـ ابنـ حـسانـ الـموـصـلـيـ الشـافـعـيـ :

أـصـفـحـ تـجـبـبـ وـدـارـ أـصـبـرـنـ تـجـدـ شـرـفـاـ
بـهـنـ عـمـانـ عـبـاسـ فـدـعـ جـدـلاـ

(٢) يبوضـ الرـجـلـ حـسـنـ وـجـهـ بـعـدـ كـلـفـ ، وـبـالـكـانـ أـقـامـ بـهـ وـلـزـمـهـ.

فعليك الآن بالعزوف عن شيء عرضاك له رسول الله ﷺ فلم يتم ، وتصديت له مرة بعد مرة فلم يستقم ، ومن ساور الدهر غالب ، ومن حرص على من نوع تعب ، فعلى ذلك أوصيتك عبد الله بطاعتك ، وبعثته على متابعتك ، وأوجرته محبتك ، ووجدت عنده من ذلك ظيّ به لك ، لا توثر قوسك إلاّ بعد الثقة بها ، وإذا أعجبتك ، فانظر إلى سيرتها ثم لا تفوق إلاّ بعد العلم ، ولا تغرق في النزع إلاّ لنصيب الرميّة ، وأنظر لا تطرف يمينك عينك ، ولا تحن شمالك شينك ، ودعني بآيات من آخر سورة الكهف وقم إذا بدا لك^(١).

والآن إلى مزيد من مواقف حبر الأمة مع عثمان ، وما قام به من خدمات مصلحة الإسلام في أيامه سوى ما تقدم :

أولاً : مواقف جهادية بحد السنان واللسان

ولما كان ابن عباس يشعر بواجبه الديني كمسلم تام الإسلام ، وكهاشمي من سدنة الشريعة وحمة الإسلام ، فهو يرى من واجبه إسداء النصح لعامة المسلمين ، ولولاة أمرهم خاصة ، وقد مرت بما شواهد على ذلك أيام عمر ، حين كان يستشيره فيشير عليه ، وينصح له فيقبل منه نصيحته ، أمّا في أيام عثمان وقد تغيّر الحال معه ، إذ لم يكن أثيراً عنده كما كان عند عمر ، فلا هو مستشار لديه فيشير عليه. بل كان عثمان كما مر. يتهم بني هاشم . ومنهم ابن عباس طبعاً. بالحقيقة فيه ، والتحريض عليه ، وقد مررت بعض الشواهد على ذلك ، فراجع مواقف عثمان مع بني هاشم.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ٢٨٢ - ٢٨٣.

ولكن كل ذلك لم يصدّ ابن عباس عن القيام بواجبه ما وسعه ، فكانت له مواقف مذكورة وخدمات مشكورة ، منها مشاركة جهادية مع المجاهدين ، ووساطة إصلاحية شأن المصلحين ، وإماماً في الولاية للمصلين ، وإماماً للحج في الموسم للمسلمين ، وغير ذلك مما قام به في أيام عثمان ومصلحته .

لقد ذكر بعض المؤرخين في أخبار الفتوح : أنّه شارك في غزوة افريقية ، وشارك في غزوة طبرستان ، وشارك في غزو القسطنطينية ، وهذه كلها كانت فيما ذكرها في السنيّة الست الأولى من خلافة عثمان ، أمّا الست الأخرى وهي سنيّة إعلان السخط والنقمّة ، فلم يشارك في أمر خراج الحجاز ، بل كان في مواقفه الإصلاحية داخل الحرمين الشريفين . مكة والمدينة . : فلننظر أولاً إلى ما ذكره من مشاركته في بعض الغزوات ، هل يصح ذلك ؟

لا ريب أنّه في عهد عمر اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية ، فضّلت أطناها في الشرق والغرب ، وقوّضت دعائيم الامبراطوريتين الفارسية والرومانية ، حين دامت خيول المسلمين بجوارها أرضاً لم تطأها من قبل ، فجاء المسلمين خلال الديار ، وغنموا فيها خيراً كثيراً ، مما جعل القبائل العربية يتّهافتون على الانضمام إلى الجندية في أيّ من الجناحين ، ضمن جرائد فيها أسماؤهم تحت إشراف عرفائهم ورؤسائهم عشائرهم . وبالتالي يعيّن عمر لهم الجهة التي يجاهدون ، والقائد الذي ينضمون تحت لوائه . فهو الذي نظم ديوان الجنود ورتب الأموال لتزويدهم بالسلاح والخيل والميرة .

أمّا عن قريش وخاصة وجدهم ، فليس لهم أن يشاركون إلا بعد أن يأذن لهم عمر فقد أخذ بأكمامهم وضيق الخناق عليهم وهو القائل : « وقد استأذن قوم

من قريش منه في الخروج للجهاد فقال : قد تقدم لكم مع رسول الله ، ثم قال : إني آخذ بحلاقيم قريش على أفواه هذه الحرة ، لا تخرجوا فتسأّلوا الناس يميناً وشمالاً ، فقال له عبد الرحمن بن عوف . وكان هذا أحد الثلاثة الغالبين عليه^(١) . نعم يا أمير المؤمنين ولم تعننا من jihad؟ فقال : لأن أسكك عنك فلا أجيك خيراً لك من أن أجيك ، ثم أندفع يحدّث عن أبي بكر حتى قال : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها فمن عاد ملثها فاقتلوه^(٢) .

قال ابن قتيبة : «وكان عمر رجلاً شديداً ، قد ضيق على قريش أنفاسها ، لم يُيل أحداً معه من الدنيا شيئاً^(٣) . وفي عهد عمر لم يأذن لبني هاشم بالخروج مع المجاهدين ، فلم يذكر التاريخ أحداً منهم كان قائداً أو أميراً أو عريفاً ، بل وحتى جندياً كسائر المقاتلين . وقد مررت بنا في مواقف ثابتة في عهده ما يوضح ذلك.

نعم ذكر المؤرخون الفضل بن العباس كان مع المجاهدين فقال بعضهم : «استشهد يوم اليموك»^(٤) ، وقال آخر : «استشهد يوم أجنادين»^(٥) ، وقال ثالث : «استشهد يوم مرج الصفراء»^(٦) ، وقال آخر : «مات بطاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب»^(٧) ، فإن صحت الأقوال الثلاثة الأولى فهي في أيام أبي بكر . وهو قد مات سنة ثلاثة عشرة . وليس في عهد عمر ، وإنما فيكون هو الوحيد الذي

(١) وهم عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن عوف ويرافق مولاه.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٥ ط الغري.

(٣) الإمامة والسياسة ١ / ٢٧ ط مصطفى محمد.

(٤) البدء والتاريخ ٥ / ١٨٥ .

(٥) طبقات خليفة بن خياط / ٧٦٦ تـ سهيل زكار ط الشام ، وتاريخ خليفة بن خياط ١ / ٨٧ .
٨٨ تـ حـ أـ كـ رـ ضـيـاءـ العـمـريـ .

(٦) طبقات خليفة بن خياط / ٧٦٦ تـ سهيل زكار .

(٧) نسب قريش لمصعب الزبيري / ٢٥ .

ذكره مع المجاهدين في أيام عمر ، وهذا هو قول ابن سعد والزبير بن بكار وأبي حاتم وابن البرقي حكايا الذبي في تاريخ الإسلام^(١) وقال : وهو الصحيح . ومهما كان نصيб ذلك من الصحة ، فإني لم أقف على أسماء آخرين غيره ، ولو كان عمر قد أذن لأناس منبني هاشم بالخروج لأذن لعبد الله بن عباس الذي كان أكثرهم اختصاصاً به وتقريراً له منهم ، وقد مر ذكر ما يوضح الأسباب في مواقف ثابتة في عهد عمر .

أمّا في عهد عثمان فقد تغيرت الموازين في نواحي الحياة ومنها الجهاد والمجاهدين ، فبعد أن كان الجهاد في العهد النبوي وإلى فترة من بعده معتمداً على الرغبة في نشر الإسلام تحدو المقاتلين عاطفة دينية صادقة ، وقل رغبة في الشهادة في سبيل الله . لكن تبدلت تلك النوايا لدى الكثير من المقاتلين بدءاً من القادة وحتى سائر الناس وغلبة الأطماع في المغانم تحدو الكثريين . وفيما يخص حديثنا عن ابن عباس وحضوره بعض الغزوات بقيادة المنبوذين في سلوكهم ، مع أنه لم يسبق له أن خاض حرباً قبل ذلك ، فلا بد من وقفة تحقيق في صحة ما ذكر .

١ . غزوة أفريقية :

إن المصادر التي ذكرت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان وأشارت إلى حضور عبد الله بن عباس أو أحد أخوته فيها علينا أن نوازن بينها ومؤلفيها زماناً وضبطاً . وتقسيمها إلى ثلاثة مراتب حسب تسلسلها الزمني في وفيات أصحابها :

(١) تاريخ الإسلام / ٢٥ ط القدسـي .

المرتبة الأولى : وتشمل :

- ١ . جمّهُرَة النسب لابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، قال : «ومعبد قتل بأفريقيَّة زَمْن عثمان»^(١) ، وهو أقدم نص ومصدر وصلت نسخته إلينا يمكن الرجوع إليه في المقام.
- ٢ . كتاب الطبقات الكبير لِحَمْدَ بْن سَعْدَ الْمَتَوْفِيَّ سنة ٢٣١ هـ ، قال : «ومعبد بن العباس قُتِلَ بأفريقيَّة شهيداً...»^(٢).
- ٣ . نسب قريش لمصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٦ هـ ، فقد ذكر الفضل بن العباس : «... ومات بطاعون عمواس زَمْن عمر بن الخطاب» ، وذكر أيضاً بعده عبد الله بن عباس . ولم يذكر شيئاً عن مشاركته في أي غزوة . ، وذكر أيضاً قشم ابن العباس : «... استشهد بسمرقند ، وكان قد خرج مع سعيد بن عثمان زَمْن معاوية» .
وذكر معبد بن العباس : «ومعبد بن العباس مات بأفريقيَّة شهيداً»^(٣).
- ٤ . تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠ هـ قال : «فغزا ابن أبي سرح أَفْرِيقِيَّةً ومعه العبادلة عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن زبير فلقي جرجير ...»^(٤).
وقال في كتابه الطبقات : «واستشهد قشم بسمرقند ومعبد بأفريقيَّة»^(٥).

(١) جمّهُرَة النسب ١ / ١٣٧ تُحْ فراج ط الكويت.

(٢) طبقات ابن سعد ٤ ق ١ / ٢ .

(٣) نسب قريش / ٢٧ . ٢٥ تُحْ بروفنسال.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ١ / ١٣٤ ، وقارن تاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ٧٩ ط القدس بمصر.

(٥) طبقات خليفة / ٥٨١ ، وذكره أيضاً في / ٧٤٧ مَرَّةً أخرى . ولقد ورد في كتاب نسب معبد والسيِّن الكبير ، المنسوب لأبي المُنذِر هشام بن محمد الكلبي تُحْ الدكتور ناجي حسن ط عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية بيروت سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م : وأفريقيش بن قيس بن

٥ . الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار الزييري المتوفى سنة ٢٥٦ وقد كتبه بأسم الموفق العباسي ، ومهما ظننا فيه الزلفى فيما يورده من أخبار تتعلق بآباء المؤسس وأجداده ، لكن أخباره تبقى مقبولة إلى حدّ ما مادامت من دون تفخيم الأجداد ، وقد وجدت فيه خبراً مسندًا عن ابن عباس يتحدث فيه عن غزوة أفريقية ، وما جرى بينه وبين جرجير هناك. وسنأتي على ذكره بتمامه.

٦ . فتوح البلدان للبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ فقد ذكر في فتح إفريقية فقال : «وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه متوقفاً عن غزوها . يعني إفريقية . ثم إنّه عزم على ذلك بعد أن استشار فيه بعض الصحابة فنهوه لكنه كتب إلى عبد الله في سنة ٢٧ ويقال : في سنة ٢٨ ، ويقال : في سنة ٢٩ يأمره بغزوها وأمده بجيش عظيم فيه : معبد بن العباس بن عبد المطلب ، ومروان بن الحكم ... والحارث بن الحكم أخوه ، وعبد الله بن الزبير ... والمسور بن مخرمة ... وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعاصم بن عمر ، وعيّد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وبسر بن أرطاة ... وأبو ذؤيب ... الهمذاني ... وخرج في هذه الغزوة من حول المدينة من العرب خلق كثير»^(١).

ثم قال نقاً عن الواقدي : «وإفريقية أستشهاد معبد بن العباس رضي الله عنه في غزوة ابن أبي سرح في خلافة عثمان . ويقال : بل مات في أيام القتال ، واستشهاده أثبت»^(٢).

صيفي ، وهو الذي أفتتح إفريقية ، وسميت به ، وقتل ملكها جرجير ويومئذ سميت البربر ، قال لهم : ما أكثر بربركم.

(١) فتوح البلدان / ٢٣٤ ط الأولى بالقاهرة المغربية سنة ١٣١٩ هـ.

(٢) نفس المصدر / ٢٣٦ .

والآن لدى المقارنة بين ما جاء في المصادر المذكورة ، لا نجد اسم عبد الله بن عباس إلا في واحد منها ، وهو كتاب الأخبار الموفقيات أئمّا الخمسة الباقية لم تذكره في إفريقيـة ، وهذا ما يشير الشك في روايـة الموفقيات ، خصوصاً إذا نظرنا حديث البلاذري الذي استعرض أئمّاء جماعة من حضروا غزـة إفريقيـة وعدّ في أولـهم : عبد بن العباس ، ولو كان أخوه عبد الله بن عباس معهم لذكرـ في مقدمـتهم ، فمثـله لا يجهـل مقـامـه ولا ينسـى أسمـه.

المرتبـة الثانية : وهي تضم :

١ . تاريخ الطبرـي المتوفـي سنة ١٣١٠ هـ قال : « لما نزع عمرو بن العاص عن مصر غضـب عمـرو غضـباً شـديداً وـحدـ على عـثمان ، فوجـه عبد الله بن سـعد وأـمرـه أنـ يـضـيـ إلى إـفـريـقـيـة ، وـنـدـ عـثمانـ النـاسـ إلى إـفـريـقـيـة ، فـخـرـجـ إـلـيـهاـ عـشـرةـ الآـفـ مـنـ قـرـيشـ وـأـنـصـارـ وـالـمـهـاجـرـينـ » ^(١).

وهـذاـ النـصـ خـلـوـ مـنـ ذـكـرـ أيـ اـسـمـ ، وـلـكـنـ نـعـتمـدـهـ . عـلـىـ إـجـالـهـ . لـتـوـثـيقـ ما وـرـدـ مـفـصـلاًـ فيـ فـتوـحـ اـبـنـ أـعـشـمـ الـآـتـيـ وـهـوـ مـعـاصـرـ الطـبـرـيـ .

٢ . كتاب الفتوح لابن أـعـشـمـ الـكـوـفيـ المتـوفـيـ نـخـوـ سـنـةـ ٣١٤ـ هـ قالـ فيـ ذـكـرـ فـتحـ إـفـريـقـيـةـ عـلـىـ يـدـيـ عـبدـ اللهـ بـنـ سـعـدـ بـنـ أـبـيـ سـرـحـ . إـشـارـةـ عـثـمـانـ لـلـصـحـابـةـ فـيـ ذـلـكـ . : « فـدـعـالـهـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ كـرـمـ اللهـ وـجـهـهـ وـطـلـحـةـ وـالـزـبـيرـ بـنـ العـوـامـ وـسـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ وـسـعـيدـ بـنـ زـيـدـ وـغـيـرـهـ مـنـ أـصـحـابـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ . فـلـمـاـ عـلـمـ عـثـمـانـ أـنـهـمـ قـدـ أـجـتـمـعـواـ فـيـ الـمـسـجـدـ خـرـجـ إـلـيـهـمـ بـعـدـ طـلـوعـ الشـمـسـ ، فـشـاـورـهـمـ فـيـ أـمـرـ إـفـريـقـيـةـ حـتـىـ أـرـتفـعـ النـهـارـ ، فـكـأـنـهـمـ كـرـهـواـ ذـلـكـ ، وـأـكـثـرـ مـنـ كـرـهـ

(١) تاريخ الطبرـيـ ٤ / ٢٥٦ طـ دـارـ المـعـارـفـ .

ذلك سعيد بن زيد عمرو بن نفيل ، فقال له عثمان : ما الذي كرهت من أمر أفريقية ؟ فقال سعيد : كرهت ذلك لما سمعت من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقول : لا أقربها أحداً من المسلمين ما حملت عيني الماء ، ولا أرى لك مخالفة عمر ، فذرهم ولا تغزهم ، فإنك لن تخافهم على الإسلام ، وإنهم راضون منك أن تقرّهم في أماكنهم. قال : ثم قام سعيد بن زيد فخرج.

وألفت عثمان إلى مولى له يقال له نائل فقال له : يا نائل إذهب فادع لي زيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة.

قال : فخرج نائل فدعاهما ، فاستشارهما عثمان بن عفان في بعثة الجيوش إلى أفريقية فأشارا عليه بذلك فقال عثمان بن عفان : الله أكبر قد أبكيتني لي رأيي. ثم ندب الناس إلى ذلك فأجابوه سرعاً ، فأول من أجابه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعبد الله وعاصم ابنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وبسر بن أرتؤا ، والمسور بن مخرمة وجماعة من أولاد الصحابة.

قال : ثم أجمعت الناس إلى عثمان بن عفان بعد ذلك ، فعرض لهم بالمدينة عددهم فكانوا أربعة الآف وثمانمائة من أخلاق القبائل فتجهزوا ما أمكنهم من الجهاز.

قال : وأعادهم عثمان بألف بعير بالتها ، وفتح بيوت السلاح فأعطيتهم وقوافلهم ، وأمر على الناس مروان بن الحكم فجعله على الجندي ، وجعل أخيه الحارث بن الحكم على الرجالة ...

قال : فسّار المسلمين من المدينة حتى قدموا أرض مصر ... فسّار بهم عبد الله بن سعد في ثلاثة وعشرين ألفاً يريدون إفريقية.

قال : وطاف بإفريقية ملك عظيم يقال له جرجين من قبل ملك الروم ، وفي يده من طرابلس المغرب إلى طنجة ... قال : وسّار المسلمين حتى توسلوا بلاد إفريقية ودنوا من أرضها فنزلوا هناك ، وبعث عبد الله بن سعد إلى جرجين ملك إفريقية يدعوه إلى الإسلام ... وصالحه على ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ... ورجع ... بال المسلمين إلى أرض مصر وكتب إلى عثمان يخبره بفتح إفريقية ، ووجه إليه بالخمس من أموال إفريقية فقسمه عثمان في أهل المدينة ...»^(١).

هذا ما ذكره ابن أعثم على تفصيله لم يرد فيه أي ذكر لهاشمي سوى اسم الإمام علي عليهما السلام في المستشارين الذين كرموا تلك الغزارة وفي هذا ما يحملنا على التريث في قبول النص على ما فيه. فأين صار معبد الذي تقاد المصادر بجمع على وجوده في الجيش واستشهاده هناك ؟ ثم أي خمس قسمه عثمان في أهل المدينة ، وهو قد أعطاه لمروان بن الحكم ؟ وكان ذلك أحد أسباب النكمة عليه.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد : وما نقم الناس على عثمان ... وأفتتح إفريقية وأخذ خمسه فوهبه لمروان فقال عبد الرحمن بن حنبل الجمحي :

ف	أَحْلَفُ بِاللَّهِ رَبِّ الْأَنَা
مَا كَتَبَ اللَّهُ شَيْئاً سَدِى	وَلَكِنْ حُلْقَةً لَنَا فَتَنَة
لَكَيْ ثُبَّلَى بَكَ أوْ ثُبَّلَى	فَإِنَّ الْأَمِينَينَ قَدْ يَبْيَّنَا
مَنَاراً لَحَقِّ عَلِيهِ الْهَدِى	فَمَا أَخَذَنَا دَرْهَمًا أَغْيَلَنَا
وَمَا تَرَكَنَا دَرْهَمًا فِي هَوَى	

(١) الفتوح ٢ / ١٣٢ - ١٣٧ ط أفسط دار الندوة الجديدة بيروت.

وأعطيت مروان خمس العباءات شاؤك من شأنه^(١)
 ٣ . أبو سعيد بن يونس المتوفى سنة ٣٤٧ هـ له (تاريخ مصر) اختصره
 الذهبي وعلق منه أحاديث كما في تذكرة الحفاظ^(٢) وحكى عنه في سير أعلام
 النبلاء في ترجمة ابن عباس فقال : «وقال أبو سعيد بن يونس : غزا ابن عباس
 أفريقية مع ابن أبي سرح ، وروى عنه من أهل مصر خمسة عشر نفساً»^(٣) .
 ٤ . محمد بن أحمد بن تميم (أبو العرب) المتوفى سنة ٣٣٣ هـ له كتاب
 (طبقات أهل أفريقية) وعنده حكمي الأسيدي الدباغ في معالم الإيمان . كما
 سيأتي . : أن ابن عباس كان فيمن دخل أفريقية من الصحابة .

المرتبة الثالثة :

وهي المصادر المتأخرة زماناً مما سبق ، وهي اجتار لما كتب فيما سبقها ،
 وهي بحاجة إلى تحصيص يقّوم أودها ويقوى عددها ، وإن تكثّر عددها فالغالب
 على أخبارها بالإرسال ، والمسند فيها قليل . لذلك أذكر منها لإطلاع القارئ عليها
 وله رأيه فيها :

١ . كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر ابن عبد البر المتوفى
 سنة ٤٦٣ هـ في ترجمة عبد بن العباس قال : «قتل بأفريقية شهيداً سنة ٣٥ هـ^(٤) في
 زمن عثمان وكان غزاها مع ابن أبي سرح ...»^(٥) .

(١) العقد الفريد / ٢ ط تح أحمد أمين ورفقيه.

(٢) تذكرة الحفاظ / ٨٩٨ ط أفسٰت حيدر آباد.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٤٢ .

(٤) قال ابن نعري بردي في النجوم الزاهرة ١ / ٨٠ : ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح المذكور أفريقية ثانية في سنة ٣٣ حين نقض أهلها العهد ... وأشتشهد معه في هذه المرة بأفريقية جماعة منهم : عبد بن العباس بن عبد المطلب وغيره .

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٢٧٥ ط حيدر آباد .

- ٢ . كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ قال في ترجمة عبد بن العباس : «قتل بأفريقية شهيداً سنة ٣٥ هـ زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان غزاهما مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح . أخرجه أبو عمر» .
- وقال في ترجمة عبد الله بن سعد بن أبي سرح وذكر فتح أفريقية : «وشهد معه هذا الفتح عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص ...»^(١) .
- ٣ . وقال في تاريخه الكامل حوادث سنة ٢٦ هـ وهو يذكر فتح أفريقية : «فجهر . عثمان . إليه . ابن أبي سرح . العساكر من المدينة وفيهم جماعة من أعيان الصحابة منهم عبد الله بن عباس وغيره ...»^(٢) .
- ٤ . كتاب الحلقة السيراء لابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨ هـ قال في ذكر الصحابة الذين دخلوا أفريقيا : «عبد الله بن عباس أبو العباس . غزا أفريقيا مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان سنة ٢٧ هـ وشهد فتحها ، ذكر ذلك أبو سعيد بن يونس في تاريخه»^(٣) .
- ٥ . كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الأسيدي الدباغ المتوفى سنة ٦٩٦ هـ قال : «غزا ابن عباس رضي الله عنه أفريقيا مع عبد الله بن أبي سرح ، وهو الذي تولى قسم الفيء بها بين المسلمين ، قاله أبو سعيد ابن يونس ومحمد ابن أحمد بن تقييم»^(٤) . (وأشار الحقيق في الهاشم : طبقات علماء أفريقيا ج ١٧ مقتضياً على تسميتها فيما دخل أفريقيا من الصحابة) .

(١) أسد الغابة ط أفسط ايران.

(٢) الكامل في التاريخ ٣ / ٣٦ ط بولاق.

(٣) الحلقة السيراء ١ / ٢٠ تحد . حسين مؤنس ط الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦٣ م.

(٤) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ١ / ١١١ تحد . إبراهيم شبوح ط الخانجي بصر سنة ١٩٦٨ .

وهناك نقول في نهاية الأرب للنبويري المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، والإصابة لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٣ هـ ، وغيرهما أضربنا عنهم صحفاً إذ لا جديد فيهما سوى إثباتاً أكدت حضور ابن عباس في فتح أفريقيا ، هذه جملة مما وقفت عليه من النصوص التي أشارت إلى فتح أفريقيا ، وفي جملة منها تصريح بحضور ابن عباس في ذلك الفتح ، ولدى المقارنة بين الجميع نخلص إلى القول بصحة حضوره ، اعتماداً على ما رواه الزبير بن بكار في كتاب الأخبار الموقفيات وهو من المرتبة الأولى ، مضافاً إلى ما ذكره أبو سعيد بن يونس في تاريخه ، ومحمد بن أحمد بن قيم (أبو العرب) في طبقات أهل أفريقيا وما من المرتبة الثانية ، ومؤيداً بما جاء في الحلة السيراء لابن الأبار وبقية المرتبة الثالثة وما يتبعها فهي قد نقلت مما مرّ عن أبي سعيد بن يونس ومحمد بن أحمد بن قيم ، ولم تعقب عليه بشيء مما دلّ على إمضائهم ذلك.

فعلينا الآن أن نعود إلى الأخبار الموقفيات :

لنقرأ ما رواه الزبير بن بكار قال : « حدثني عمر بن أبي بكر المؤمني ، حدثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر عن أبيه أبي عبيدة قال قال عبد الله بن عباس : خرجت مع عبد الله بن أبي سرح في غزوة أفريقيا فلما دنا من جرجير . ملك المغرب . وهو رجل من الروم نصرياني ، وكان يذكر بعقل ، قلت لعبد الله بن سعد : لو بعثت إليه من يكلمه ، فبعثني وبعث عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر بن ربيعة .

قال عبد الله بن عباس : - وأنا أحسن القوم^(١). فلما جئنا وضعت لنا وسائل ،
وإذا الصُّلب حولها ، فجاء القوم وليس هناك جُرجير ، فجلسوا دون الصُّلب ، وأبوا
أن يجلسوا وهي حولهم ، فجئت وجلست على تلك الوسائل والصلب حولي .
وخرجير ينظر إلينا من مظر لا نراه ، فمكثنا ساعة ، ثم أذن لنا جماعة ، فجعلوا
يزاحموني على المدخل ، فتأخرت عنهم ، حتى كنت وراءهم ، فلما دخلوا عليه
ودخلنا ، ولي جمال ليس لهم ، نظر إلى فرماني بطرفه ، فلم يربح يطرح بنظره إلى
حين جلست دونهم ، وهو أقرب إليه . فرأوا نظره فررا بهم بذلك في أمره ، فانتحى

(١) لقد كانت ولادة ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين كما مر ذلك فهو يومئذ ابن ثلاثة سنة أمّا ولادة عبد الله بن الزبير فهي بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة وقيل سنة أحدي كما في سير أعلام النبلاء للذهبي ٤ / ٤٦٠ ط دار الفكر ، فهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة .

وأَمَّا ولادة مروان بن الحكم فهُي بِكَة وَهُو أَصْغَر مِنْ ابْن الْزَّيْر بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فِيمَا رَوَاهُ
الْذَّهِي فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبِلَاءِ فِي تَرْجِيْتِهِ ٥ / ٣. وَقَالَ ابْن حَجْرُ فِي الإِصَابَةِ : يَقُولُ : وَلَدَ
بَعْدِ الْهِجْرَةِ بِسَنْتَيْنِ ، وَقِيلَ بِأَرْبَعَ وَقَالَ ابْن شَاهِينَ ماتَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِ سَنَنٍ
فِيهِ كُوْنُ مُولَدَهُ بَعْدِ الْهِجْرَةِ بِسَنْتَيْنِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَجْرٍ فِي الإِصَابَةِ ضَمِّنَ تَرَاجِمَ مَنْ لَهُ
رَؤْبَةٌ ، لَكِنَ النَّوْيِي نَفَى أَنْ تَكُونَ لَهُ رَؤْبَةٌ قَالَ فِي تَهذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَالْغَلَاتِ ١ / ٨٧ طَمَّنِيْرَةٌ
بِمَصْرِ فِي تَرْجِيْتِهِ : لَمْ يَسْمَعْ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا رَآهُ ، لَأَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفَ طَفْلًا لَا يَعْقُلُ
حَيْنَ نَفَى النَّبِيُّ ﷺ أَبَاهُ الْحَكَمَ ، فَكَانَ مَعَ أَيْمَهُ بِالطَّائِفِ حَتَّى أَسْتَخَلَفَ عَمَّانَ ﷺ فَرَدَهُمَا.
وَقَدْ حَكَى عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ : وَلَدَ يَوْمَ أَحَدٍ. وَقِيلَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ ... وَبِنَاءً عَلَى قَوْلِ مَالِكٍ
تَكُونُ ولادتَهُ فِي السَّنَةِ الْثَالِثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ لَأَنَّ يَوْمَ أَحَدَ كَانَ بَعْدَ وَقْتَ بَدرِ سَنَةٍ وَهِيَ كَانَتْ
فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ ولادتَهُ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ فَهُوَ فِي السَّنَةِ
السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ فَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ أَحَدٍ وَعَشْرِيْنَ سَنَةً.

وَأَمَّا وِلادَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ فَهِيَ عَامُ الْحَدِيبِيَّةِ كَمَا في سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ فِي تَرْجِمَتِهِ، وَقِيلَ ولَدَ سَنَةً سَتٍ وَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ سَنَينَ وَقَالَ أَبُو نَعِيمٍ : كَانَ ابْنَ حَمْسَ سَنَنِينَ كَمَا في أَسْدِ الْغَابَةِ فِي تَرْجِمَتِهِ ، فَهُوَ يَوْمَئِذٍ فِي سَنَّ مَرْوَانَ تَقْرِيْبًا أَوْ يَزِيدُ قَلِيلًا.

فكل هؤلاء الثلاثة دون حبر الأمة سنًا كما هم دونه شأنًا.

ابن الزبير فبدأ بالكلام ، والترجمان وجُرجير يفهم من ذلك كثيراً ، وهو على ذلك ينظر إلى ويرمقني .

فلما فرغ ابن الزبير تكلم مروان بن الحكم . ثم أقبل عليّ عبد الله بن عامر فقال : أتكلم ؟ فقلت : تكلّم ما بدا لك . فتكلم .

ثم أقبل عليّ الترجمان فقال : ما تقول أنت يا عربي ؟

قلت : ما أقول إلا ما قالوا ، فليجب صاحبك ما بدا له ، وقد دعوه .

قال : أخبروني عن هذا الرجل الذي أراه أحسنكم وأجملكم ، وأراكم تقدّمونه (تقدّمونه) أملاكم هو ؟

قالوا : لا والله بل هو منا ومن أنفسنا .

قال : فضعيف هو فلا تنقون بعقله ؟ فلم أرسله ملككم ؟

قالوا : لا والله بل هو عاقل .

قال : فما أنتم بحلماء ، هو أحدكم ، ولهم عقل مثل عقولكم ، وهو أجملكم وأستكم ، وملككم الذي أرسلكم أضعف منكم وهو يعرف هذا منكم .

فسكتوا ، فقلت للترجمان : قل لصاحبك : أجبنا بما تريده فنحن أعلم بأمرنا وبما نصنع بيننا .

قال : يقول الملك : حلمك هذا يزيدني بصيرة في حُقُّ أصحابك .

فرطن الملك ، فأقبل علينا الترجمان فقال الملك يقول : ما يعنني من جوابكم إلا أنا لا نضع جوابنا إلا في موضعه ، أخبروني أيّكم أقرب بالملك الأكبر ؟

قالوا : هذا مروان .

قال : ثم من ؟

قالوا : هذا ، لابن الزبير.

قال : فأيكم أقرب بنبيكم ؟

قالوا : هذا.

قال : يقول الملك : هو أقربكم بنبيكم وأسنكم وأجملكم وجلستم فوقه ، وتقدمتم قبله !! لا تلبثون إلا قليلاً حتى يتفرق أمركم ، لا أرجعكم بشيء حتى يتقدّم إليّ وتكلمون بعده.

فقال القوم : تقدم يا أبا العباس وتكلّم حتى ننظر ما يُرجم علينا ويقول لنا.

فقلت للترجمان : أجب صاحبك إني لا أقوم من مجلسي ، ولا أعيه بكلامي ، ولا أبتديء أصحابي.

فقال : فلا أكلمكم كلمة ، قد قلت : لا أفعل ، فهل أنت يا رجل معتزلي حتى ألقاكم ، فإني لا أحب أصحابك.

قال : قلت : ما يحلّ لي أن اعتزلك.

قال : أتقبل كرامتي من بينهم ؟

قال : قلت : لا ، إلا أن تكرّمهم مثلّي.

قال : هل أحد أقرب بنبيك منك ؟

قلت : نعم ، ففرح بذلك وقال : من ؟

قلت : أبي ، قال : وحى هو أبوك ؟ قلت : نعم ، قال : ما هو من نبيكم ؟

قلت : عمه ، ففسّر له الترجمان كيف العم ومن ابنه.

قال : فما شأن الملك في غيره ؟

قلت : كان هذا الملك واللذان قبله خرجوا مع النبي ﷺ حين خرج من أرضه ، ولم يخرج أبي.

ونحن نرى لذلك فضل وتقديم من كان كذلك.

قال : بئسما صنعتم ، ولا يصح أمركم أبداً ، حتى يخرج إلى أهل بيته النبيّ ، قوموا ولا أرجعكم بكلمة مّا تريدون ، إلا أن تخبرني ما شأنك جلست بين الصُّلُب من بين أصحابك وأنت عدوّ لها وأجتنبها أصحابك ؟

قلت : لم يسيئوا بما صنعوا ، ولم آسيء أيضاً ، أمّا هم فتآدوا بها ، وأمّا أنا فعلمت مجلسي لا يضرّ ديني ، ولست منها ، وليس مني .

قال : ما ينبغي إلا أن تكون حبر العرب . قال . الراوي . فُسْمَيْ عبد الله من ذلك اليوم الخبر»^(١).

فهذا الخبر الذي رواه الزبير قد نميل إلى تصديقه ، لأنّ الزبير بن بكار مهما قلنا بتتلّفه في تأليفه الأخبار الموقيات للموفق العباسي ، فلا نرى فيما رواه من حضور عبد الله بن عباس في الجيش بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وما جرى له مع جُرجير ، أي زلفى تحملنا على التشكيك فيه وما ذكر فيه من حوار دلّ على مكانة ابن عباس المرموقة يومئذ وقد لفت نظر جُرجير ، لم يضاف عليه ما يتزلف به إلى الموفق العباسي لأنّه من أحفاده . وكلّ ما ورد في الخبر غير مستبعد وقوعه ، خصوصاً إنّاقرأنا آنفاً بعض النصوص التي ذكرت ان عثمان ندب الناس ، وجهز جيشاً حشر فيه رجالاً من المهاجرين والأنصار ، فلا بعد في أنّه أمره أو طلب . على أحسن تقدير . من ابن عباس أن يكون مع الجيش ضمن الصحابة المجاهدين ولعله ولأه قسمة الفيء . إن صحة ما رواه محمد بن أحمد بن تميم (أبو العرب) فقد كان عمر قبله أرسل السائب بن الأقرع لذلك ، فقد ذكر تاريخ الطبرى : «ان عمر بن الخطاب بعث السائب بن الأقرع . مولى

(١) الأخبار الموقيات / ١٦ تحد سامر مكي العاني مط العاني بغداد.

ثقيف وكان رجلاً كاتباً حاسباً . فقال : الحق بهذا الجيش فكن فيهم فإن فتح الله عليهم فاقسام على المسلمين فيهم وخذ خمس الله وخمس رسوله ...»^(١) .

فلعل عثمان هو الذي أمره بالذهاب لهذا الغرض . ثم من يسعه يومئذ التخلف عن أمر عثمان وهو بعد في أول حكومته وعنفوان سلطته ومن يسعه التخلف عن جهاد الكفار ، والجهاد بباب من أبواب الجنة ، فمن ذا الذي يرغب عن الدخول في ذلك الباب ؟

ولعل ما يقربنا إلى التصديق بحضوره ذكر بعض المؤرخين . كما مرّ . وجود بعض أسرته كأخيه معبد وان ذكر ابن خلدون . وقد أبعد . ان الحسن والحسين وابن جعفر أيضاً كانوا في ذلك الجيش .

قال ابن خلدون في تاريخه : «فجهز . عثمان . العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير وساروا مع عبد الله بن أبي سرح سنة ست وعشرين»^(٢) .

وإلي في شك من روایة ابن خلدون لحشره أسماء الحسن والحسين وابن جعفر في قائمة المجاهدين ، ولم أجدهم عند غيره^(٣) على ان الفتح المذكور كان سنة ٢٧ هـ كما مرّ عن الطبرى في تاريخه وفيها ، أو ٢٨ هـ أو ٢٩ هـ كما مر عن البلاذري في فتوح البلدان . فمن وهم في تحديد التاريخ لا يستبعد عليه الوهم في حشر الأسماء .

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ١١٦ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢ / ١٠٠٣ ط دار الكتاب اللبناني .

(٣) سوى السلاطى في كتابه الاستقصا لأخبار الغرب الأقصى ١ / ٣٩ . وهذا الرجل متاخر عصرًا عن ابن خلدون بعده قرون ، وقد أعتمد تاريخه من مصادره .

بقي علينا التنبية على ما هو أهتم مما توهّه ابن خلدون ، وذلك ما مرت بنا من قول أبي زيد الأسيدي الدباغ في معالم الإيمان : غزا ابن عباس رضي الله عنه إفريقية مع عبد الله ... وهو الذي تولى قسم الفيء بها بين المسلمين . قاله أبو سعيد ابن يونس و محمد بن أحمد بن تميم .

أقول : إن صح ما حكاه من تولي ابن عباس قسمة الفيء ، فلا بد أن تكون قسمته صحيحة وعادلة ، وإذا كانت كذلك ، فلماذا نقم المسلمين على ابن أبي سرح وامتدت النومة حتى طالت عثمان بسبب قسمة تلك الغنائم ؟ ولو صح ما حكاه كان اللوم على ابن عباس أولى ، وكان لعثمان وابن أبي سرح حجة في دفع المعرّة عنهمَا .

قال الطبرى في تاريخه في حديث الواقدى : «وكان الذى صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثشمائة قنطار ذهب ، فأمر بها عثمان لآل الحكم ، قلت . والقائل هو الطبرى . أو مروان ، لا أدرى ... اه»^(١) .

فأين الفيء الذى تولى قسمته ابن عباس بين المسلمين ، وأحسب أن الذى حكاه أبو زيد الأسيدي الدباغ غير مستساغ لأنّه دفاع . على استحياء . عن عثمان وآل الحكم ومروان ، فقد ذكر الطبرى في تاريخه فقال : «وقسم عبد الله ما أفاء الله عليهم على الجند ، وأخذ خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وثيمة النصري ... ووقف وفداً فشكوا عبد الله فيما أخذ ، فقال لهم : أنا نقتله . وكذلك كان يصنع وقد أمرت له بذلك ، وذاك إليكم الآن ، فإن رضيتم فقد جاز ، وإن سخطتم فهو ردّ ، قالوا : فإننا نسخطه .

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢٥٦ ط دار المعرف .

قال : فهو رد ، وكتب إلى عبد الله برد ذلك واستصلاحهم قالوا : فاعزله عنا ، فاتأ لا نريد أن يتأنّر علينا وقد وقع ما وقع ، فكتب إليه أن استخلف على أفريقية رجلاً من ترضى ويرضون واقسم الخمس الذي نفلتك في سبيل الله ، فإنهم قد سخطوا النفل ففعل»^(١).

٢ . غزاة جرجان وطبرستان :

قال الطبرى فى تاريخه : «غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان و معه حذيفة بن اليمان وناس من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير ...».

ثم ذكر أن عبد الله بن عامر والي عثمان على البصرة سبق إليها فعدل إلى جرجان وطبرستان فقال : «بسنته عن حنش بن مالك التغلبى فأتى جرجان وطبرستان و معه عبد الله بن العباس و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير ، فحدثنى علوج كان يخدمهم قال : كنت آتىهم بالسفرة ، فإذا أكلوا امرؤني فنفستها وعلقتها ، فإذا أمسوا أعطوني باقية ...».

ثم ذكر مصالحة سعيد أهل البلاد المفتوحة ، ثم قال : «ثم قفل سعيد إلى الكوفة»^(٢).

ولم يعد ابن الأثير عمما ذكره الطبرى فى تاريخه الكامل^(٣). كما لم يشذ عنهما ابن خلدون فى تاريخه^(٤) فقد ذكر أسماء الصحابة الذين كانوا مع سعيد

(١) نفس المصدر ٤ / ٢٥٤ .

(٢) نفس المصدر ٤ / ٢٦٩ .

(٣) الكامل في التاريخ ٣ / ٤٥ ط بولاق .

(٤) تاريخ ابن خلدون ٢ / ١٠١٨ ط دار الكتب اللبناني .

كما مار ، وكذلك النويري في نهاية الأربع^(١). وهذا حذف أولئك المؤرخين زيني
دخلان في الفتوحات الإسلامية^(٢).

هذا كلّ ما وقفت عليه في سطور التاريخ حول مشاركة ابن عباس في غزوة
جرجان وطبرستان. فهل يسعنا أن لا نصدق بذلك لندرة ما ورد عنه في تلك
الغزوة التي قطع سيلها المفاوز والدافد ، ثم لم يحفظ له وعنده من مقام أو مقال
 سوى حديث السفرة الذي رواه الطبراني وهو لا يغنى ولا يشبع الزاد الذي كان
فيها ؟

أكاد أبقى متحيراً في قبول ذلك الخبر إذ بين المدينة المنورة وبين الأقطار
المذكورة خراسان أو جرجان وطبرستان مسافات طويلة ، والرحلة ليست رحلة
نهرة حتى لو كانت فلابد أنها استغرقت شهوراً ، فكيف لا يحفظ عنه العلّج
 سوى حديث الصحب والسفرة ؟ ثم تزداد الحيرة ، حين أجد سعيد بن العاص .
أمير الجيش . لا يعرف حكماً شرعاً هو يكون محل ابتلاء أمثاله من قادة
الجيوش غالباً عند المنازلة واستتداد القتال . وذلك حكم صلاة الخوف فهو لا
يعرف كيفيتها فيسأل من المسلمين عنها من شهدتها مع رسول الله ﷺ فقال
حذيفة : أنا ، فأمرهم حذيفة فلبسوا السلاح ، ثم قال : إن هاجكم هيج فقد حل لكم

(١) نهاية الأربع / ١٩ / ٤١٨ .

(٢) الفتوحات الإسلامية / ١ / ١٧٥ ط مصطفى محمد.

وقد أغرب في القول الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام السياسي
والديني والثقافي والاجتماعي ١ / ٢٧٧ ط الثالثة بمصر سنة ١٩٥٣ حين قال : ففي عهد
عثمان فتحت بلاد طبرستان على يد سعيد بن العاص ، وقد قيل : إن جيش المسلمين كان
يضم الحسن والحسين ابني عليٍّ وعبد الله بن العباس وعمرو بن العاص والزبير بن
العوام ... فذكره لابن العاص وللزبير لم أقف عليه عند غيره وأظنه سها أراد أن يذكر
ابنيهما فذكرهما .

القتال فصلٍ بإحدى الطائفتين ركعة والأخرى مواجهة العدو ثم انصرف هؤلاء فقاموا مقام أولئك وجاء أولئك فصلٍ بهم ركعة أخرى ثم سلم عليهم^(١).

ولا نجد لأي من العبادلة الذين كانوا يومئذ معه ما يتصل بذلك ، بينما نجد لابن عباس روايات في صلاة الخوف^(٢) ، وأنّه صلّى مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف^(٣).

فأنا . كما قلت مراراً . أذكر ما وجدته مرويًّا على ذمة الرواة . فما وسعني التصديق به ذكرته مؤمناً بصحته . وما لم يسعني ذلك ذكرُه وناقشه ، وهذا منه .
وما ينبغي أن نصدق كلّ ما يُروى أو نكذب كلّ ما يُروى ، وإنما الرواة أنفسهم ناسٌ يجوز عليهم الخطأ والصواب ، ويجوز عليهم الصدق والكذب .

ثانياً : مواقف قرآنية

لقد كان حبر الأمة قد جمع المُحْكَم^(٤) على عهد رسول الله ﷺ وحفظه^(٥) كما حدث بذلك عن نفسه . ويعني بالمحكم المفصل وهو قصار السور لكثره الفصول التي بين السور بـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) . قال : «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُفْصَّلُ هُوَ الْحُكْمُ ، تَوَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْنَ عَشَرَ سَنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ» وأتم تعلمه

(١) أنظر كنز العمال / ٨ ط حيدر آباد الثانية نقلاً عن عبد الرزاق في المصنف ، وابن أبي شيبة في المصنف ، وعبد بن حميد في مسنده ، وأبي داود في سنته ، والنمسائي في سنته ، وابن جرير في تحذيب الآثار ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والحاكم في المستدرك ، والبخاري في صحيحه ، ومسلم في صحيحه.

(٢) نفس المصدر / ٨ . ٢٦٩ - ٢٦٨ .

(٣) نفس المصدر / ٢٦٩ .

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤ / ٤٤١ ط دار الفكر ، ومصنف ابن أبي شيبة ١٠ / ٥٠١ ، وكتنز العمال ٢ / ٣٧٣ ط حيدر آباد والثانية ط باكستان.

(٥) مسنند أحمد ط محققة برقم / ٢٢٨٣ .

تنزيلاً وتأويلاً على ابن عمه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام حتى قال : «ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي طالب»^(١).

كما أخذ أيضاً عن أبي بن كعب ، وقد مرّ بنا في عهد عمر ما تلاه وسمعه عمر فسأله عن ذلك فقال سمعته من أبي وذهب إلى أبي وحاقبه.

فلما كان في عهد عثمان وقد أصبح من عليه القراء والمفسرين ، فكان لا يجد في نفسه حرجاً أن يقول لعثمان فيما أحدثه في مسائل القرآن ، سواء في كتابته وطبعه نسخة ، أو تحريقه مصاحف الآخرين ، أو جمع المسلمين على قراءة واحدة.

وربما كان يجد في نفسه على عثمان حيث تجاهله فلم يذكره ولم يشاوره فيمن ذكر وشاور ، وكان خليقاً بعثمان أن يجمع القراء الذين في المدينة فيشاورهم في الأمر ، كما كان خليقاً بعثمان أن يستشير الإمام وابن عباس وما من يعرف مكانة مائة عند المسلمين ، لكنه لم يفعل وأحضر أنساً وهم ممن لم يلغو شأوه ، لذلك لا يخلو كلامه معه من نقدٍ هاديء وهادف ، كما لم يخل من تعبير عما يكتنفه الضمير من شعور بالمرارة.

فلنقرأ حديثه حول جمع القرآن :

١ . جمع القرآن :

أخرج أحمد وأبو داود والترمذى والنمسائي وابن حيان والحاكم وابن المنذر وابن أبي داود وابن الأنباري معاً في المصاحف والتحاس في ناسخه وأبو نعيم في المعرفة وابن مردويه وغيرهم عن ابن عباس قال : «قلت لعثمان بن

(١) منهال العرفان للزرقاني ١ / ٤٥٦.

عفان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني^(١) وإلى براءة وهي من المؤين^(٢) فقررتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ، ما حملكم على ذلك ؟

فقال عثمان : إن رسول الله ﷺ كان ممّا يأتي عليه الرمان تنزل عليه السور ذوات العدد ، وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أول ما أنزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال»^(٣).

قال الطبرى : «فهذا الخبر ينبيء عن عثمان بن عفان أنّه لم يكن تبيّن له أنّ الأنفال وبراءة من السبع الطوال ويصرّح عن ابن عباس أنّه لم يكن يرى ذلك منها»^(٤).

وهذا الخبر من جملة النصوص التي استدل بها السيوطي في كتابه الأتقان بعد أن نقل عن الحارث المخاسبي أن القرآن كان مجموعاً على عهد النبي ﷺ

(١) سميت بالثانية : فإنما ماثي المؤين فثلاثها ، وكان المؤون لها أوائل وكان الثاني لها توالي ، وقد قيل إن الثاني سميت الثانية ، لتشبيه الله جل ذكره فيها بالأشوال والخبر والغير ، وهو قول ابن عباس (تفسير الطبرى ١ / ١٠٣ ط محققة).

(٢) ما كان من سور القرآن عدد آية أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً (تفسير الطبرى ١ / ١٠٣ ط محققة).

(٣) الأتقان للسيوطى ١ / ٦٢ النوع ١٨ ط حجازي بالقاهرة سنة ١٣٦٨ هـ ، وكتز العمال ٢ / ٣٦٧ ط حيدر آباد الثانية.

(٤) تفسير الطبرى ١ / ١٠٢ ط محققة.

وقال : «المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك ، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد ، على اختيار وقع بينه وبين من شهد له من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات ، فأمّا قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن ...»

ثم قال السيوطي : (فصل) : الإجماع والنصوص المترافقـة على أن ترتيب الآيات توقيفـي لا شبـهـةـ في ذلـكـ ... أمـا الإجماع فـنـقـلـهـ غيرـ واحدـ مـنـهـ الزـركـشـيـ فيـ البرـهـانـ وأـبـوـ جـعـفرـ بـنـ الـزـيـرـ فيـ منـاسـبـهـ وـعـارـتـهـ : تـرـتـيـبـ الآـيـاتـ فيـ سـوـرـهـاـ وـاقـعـ بـتـوـقـيفـهـ قـالـ اللـهـ وـسـلـيـلـهـ وـأـمـرـهـ مـنـ غـيرـ خـلـافـ فيـ هـذـاـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ ...ـ اـهـ . وـسـيـأـيـيـ منـ نـصـوـصـ الـعـلـمـاءـ ماـ يـدـلـ عـلـيـهـ . ثم قال : وأـمـاـ النـصـوـصـ فـمـنـهـاـ وـمـنـهـاـ مـاـ أـخـرـجـهـ ...»^(١) . وـذـكـرـ الـحـدـيـثـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ كـمـاـ مـرـ .

ويبدو فيما أظنـ أنـ الـخـبرـ لمـ يـسـلـمـ مـنـ عـبـثـ الرـوـاـةـ ، فـقـدـ وـرـدـ فيـ آخـرـ جـوابـ عـثـمـانـ ، وـلـمـ يـذـكـرـ فـيـ لـابـنـ عـبـاسـ رـأـيـهـ فـيـ الجـوابـ مـقـتـنـعـاـ أوـ مـفـتـداـ ، وـهـذـاـ هـوـ مـبـعـثـ الرـبـيـةـ وـالـشـكـ أـوـلـاـ ، وـثـانـيـاـ إـنـ تـرـتـيـبـ السـوـرـ إـنـماـ ثـبـتـ بـالـتـوـاتـرـ ، وـثـالـثـاـ فـإـنـ اـبـنـ عـبـاسـ سـأـلـ إـلـيـمـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ فـقـالـ سـأـلـتـهـ لـمـ تـكـتـبـ فـيـ بـرـاءـةـ بـسـمـ اللهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ ؟ـ قـالـ : لـأـنـهـ أـمـانـ ، وـبـرـاءـةـ نـزـلتـ بـالـسـيـفـ^(٢) .

نعمـ لـاـ شـكـ أـنـهـ كـانـ لـابـنـ عـبـاسـ مـصـحـفـهـ الـخـاصـ بـهـ ، وـفـيـهـ بـعـضـ الـقـرـاءـاتـ الـّـيـ تـخـالـفـ قـرـاءـةـ عـثـمـانـ كـمـاـ فـيـ آيـةـ الـمـتـعـةـ بـالـنـسـاءـ حـيـثـ كـانـ يـقـرـأـ **﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاتُوهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾**^(٣) وـهـذـهـ تـوـافـقـ قـرـاءـةـ اـبـنـ مـسـعـودـ أـيـضاـ كـمـاـ يـرـوـيـ .

(١) الاتقان للسيوطى ١ / ٦٢ ط حجازي.

(٢) نفس المصدر ١ / ٦٧ .

(٣) النساء / ٢٤ .

وسيأتي مزيد بيان عن ذلك في الحلقة الثالثة إن شاء الله تعالى. ومن تعجل عليه مراجعة كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني^(١).

٢ . تحرير المصاحف :

إن حرق عثمان للمصاحف التي كانت عند الناس أمر أثار السخط والنقم علىه حتى عُدَّ ذلك من جملة أسباب الثورة عليه حتى أودت بحياته. وقد كان حذيفة بن اليمان صاحب السر قد ذكر ذلك في نبوءة مستقبلية كما أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف بسنده عن أبي البختري^(٢) قال : «قال حذيفة : أرأيتم لو حدثتم أن أئمكم تخرج في ففة تقاتلوكم أكتنم مصدقتي ؟

قال : قلنا سبحان الله يا أبا عبد الله ولم تفعل ؟

قال : أرأيتم لو قلت لكم تأخذون مصاحفكم فتحرقونها وتلقونها في الحشوش ، أكتنم مصدقتي ؟

قالوا : سبحان الله ولم نفعل ؟

قال : أرأيتم لو حدثتم أنكم تكسرون قبلتكم أكتنم مصدقتي ؟
قالوا : سبحان الله ولم نفعل ؟

قال : أرأيتم لو قلت لكم أنه يكون منكم قردة وخنازير أكتنم مصدقتي ؟

قال رجل : يكون فيما قردة وخنازير ؟

قال : وما يؤمنك لا أَمْ لَكَ»^(٣) .

(١) المصاحف / ٧٣.

(٢) هو سعيد بن فيزور الطائي مولاهم الكوفي ذكره ابن حبان في الثقات وقال العجلبي تابعة ثقة فيه تشيع ، ونقل ابن خلفون توثيقه عن ابن غمير ، وقال أبو أحمد الحاكم في الكني : ليس بالقوي عندهم كذا قال وهو سهو كما قاله ابن حجر في تحذيب التهذيب ٤ / ٧٣ .

(٣) المصاحف / ١٧ ط أفتست الرحمانية سنة ١٩٣٦ هـ ٣٥٥ تـحـ اثـرـ جـفـريـ .

فهذا الخبر على ما فيه من نقد لاذع لفعلة التحريق وأفعال أخرى ، فيه تحذير من فعل ذلك.

وليس من العجيب أن يقول ذلك حذيفة فقد كان رسول الله ﷺ أطلعه على أسماء المنافقين ، وكان يقال له صاحب السرّ.

ولكن العجيب أن يكون حذيفة هو الذي حدا بعثمان على جمّع الناس على قراءة واحدة وحذّره مغبة الاختلاف في القراءات . ثم يكون عثمان هو الذي أحرق المصاحف ، فصدق الخبر.

وأعجب من ذلك ما رواه بن أبي داود في كتاب المصاحف : « قال ابن شهاب : ثم أخبرني أنس بن مالك الأنباري إنّه إجتمع لغزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق . قال : فتذكروا القرآن فاختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتن ، قال : فركب حذيفة بن اليمان لما رأى من اختلافهم في القرآن إلى عثمان فقال : إنّ الناس قد اختلفوا في القرآن حتى والله لأخشى أن يصيّبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف . قال : ففزع لذلك عثمان فزعاً شديداً ، فأرسل إلى حفصة فاستخرج الصحيفة التي كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها فنسخ منها مصاحف ، فبعث بها إلى الآفاق .

فلما كان مروان أمير المدينة أرسل إلى حفصة يسألها عن الصحف ليحرقها وخشي أن يخالف بعض الكتاب بعضاً فمنعه إياها .

قال ابن شهاب فحدّثني سالم بن عبد الله قال : لما توفيَت حفصة أرسل إلى عبد الله بعثمة ليرسلنَّ بها ، فساعة رجعوا من جنازة حفصة أرسل بها عبد الله بن

عمر إلى مروان ففشاها وحرقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك اختلاف لما نسخ عثمان (رضي الله عنه)»^(١).

فهذا الخبر دل على أن عثمان استحضر صحيفة أبي بكر ... فنسخ منها مصحف. ثم بعد ذلك طلبها مروان من حفصة فمنعه إياها ، لماذا طلبها لحرقها؟ وحق لها لو منعته ما دامت مصحف الآفاق مأخوذة عنها. فلا معنى لإحراقها ثم لما ماتت أرسل مروان إلى ابن عمر بعزمته (؟ ورثما معها ضميمة) فبادر ابن عمر ساعة رجعوا من دفنه فأرسل بها ففشاها مروان وأحرقها ...

وهذا لا يعنينا تحقيقه والد الواقع الذي كانت وراء الأخذ والمنع. ولكن الذي يعنينا هو أمر عثمان بإحراق المصاحف الأخرى ، وقد كان بإمكانه تفادي النكمة ، إما بدفعها ، أو بإماتها بالماء ، إن لم يشأ الاحتفاظ بها كنصول فيها لغات وهجات يرجع إليها عند الحاجة.

لكنه لم يصنع شيئاً من ذلك ، فأثار النكمة عليه ، وقد ندم . فيما ييدو . ولات حين مندم فقد ذكر البلاذري في أنساب الأشراف قال : «وروى أبو مخنف : إن المصريين وردوا المدينة فأحاطوا وغيرهم بدار عثمان في المرة الأولى فأشرف عليهم عثمان فقال : أيها الناس ما الذي نعمتم عليّ فإني معتبكم ونازل عند محبتيكم . فقالوا ... أحرقت كتاب الله .

قال : اختلف الناس في القراءة فقال هذا : قرآن خير من قرآنك . وقال هذا : قرآن خير من قرآنك . وكان حذيفة أول من أنكر ذلك وأنهـاهـ إـلـيـ فـجـمعـتـ الناسـ عـلـىـ القرـاءـةـ الـتـيـ كـتـبـتـ بـيـنـ يـدـيـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ قـالـواـ : فـلـمـ حـرـقـتـ

(١) نفس المصدر / ٢١

المصاحف؟ أما كان فيها ما يوافق هذه القراءة التي جمعت الناس عليها؟ أفالاً تركت المصحف بحالها؟

قال: أردت أن لا يبقى إلا ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ ... وأنا أستغفر

الله...»^(١)

قال طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى: «وَمَا تَحْرَجَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَحْرِيقِ مَا حَرَقَ عُثْمَانَ مِنَ الصُّحْفِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا اعْتِذَارَهُ بِجَسْمِ الْفَتْنَةِ وَقَطَعَ الْخَلَافَ، وَلَوْ قَدْ كَانَتْ الْحَضَارَةُ تَقْدِمُتْ بِالْمُسْلِمِينَ شَيْئًا لَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَحْتَفِظَ عُثْمَانَ بِهَذِهِ الصُّحْفِ الَّتِي حَرَقَهَا عَلَى أَهْنَانِ صَوْصَ مَحْفُوظَةً لَا تَتَاحُ لِلْعَامَةِ، بَلْ تَكَادُ تَتَاحُ لِلخَاصَّةِ، وَأَنَّمَا هِيَ صُحْفٌ تَحْفَظُ ظَنَّاً بِهَا عَلَى الضَّيَاعِ ...

وَإِذَا لمْ يَكُنْ عَلَى عُثْمَانَ جَنَاحٌ فِيمَا فَعَلَ لَا مِنْ جَهَةِ الدِّينِ وَلَا مِنْ جَهَةِ السِّيَاسَةِ، فَقَدْ يَكُونُ لَنَا أَنْ نَأْسِي لِتَحْرِيقِ تِلْكَ الصُّحْفِ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَضَاعَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا مِنْ دِيْنِهِمْ فَقَدْ أَضَاعَ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالْبَاحِثِينَ كَثِيرًا مِنَ الْعِلْمِ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ وَلِهُجَاجَهَا ...»^(٢).

وهكذا كانت مسألة حرق المصاحف ذات انتقاد من المسلمين قديماً وحديثاً.

قال المغفور له سيدنا الأستاذ الحويي فقيه: «ولكن الأمر الذي أنتقد عليه هو إحراقه لبقية المصاحف، وأمره أهالي الأمصار بإحرار ما عندهم من المصحف، وقد اعترض على عثمان في ذلك جماعة من المسلمين، حتى سُمِّوه بحرائق المصحف»^(٣).

(١) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٥١ تـ احسان عباس.

(٢) الفتنة الكبرى / ١٨٣ ط دار المعارف.

(٣) البيان للسيد الحويي / ٢٧٧ ط الثانية سنة ١٣٨٥.

أقول : ولا شك أنّ ثمة مصاحف لبعض الصحابة بقيت عند أصحابها لم يستطع عثمان ولا ولاته من السيطرة عليها فهي لم تحرق ، وأحسب ان اختلاف القراءات إنما نشأ من تلك المصاحف التي بقيت حتى تداول الرواية ما فيها ، إنما عن أصحابها مباشرة أو بالواسطة عنهم كما هو واضح في كتب القراءات. ومن أولئك كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري وأبي بن كعب وأم سلمة وعائشة وحفصة. وفي مصاحفهن خاصة تفاوت في الصلاة الوسطى^(١) وربما آخرون غيرهم كلّ أولئك كانت عندهم مصاحف خاصة بهم ، لماذا لم تصبها نار التحريق ؟ فهل كانت العملية على نحو الانتقاء ؟ وهذا غير مقبول. أم أنّ عثمان لم يقدر عليها ؟ وهذا أيضاً غير مقبول ولا أقل في مصحف حفصة الذي كان عنده برهة أيام الجمع ثمّ أعاده إليها كما يروون وفي مصحفها بعض ما يخالف ما في أيدي المسلمين اليوم.

٣ . توحيد القراءة :

كانت القراءة موحدة على عهد الرسول الكريم ﷺ ولكن طرأ نحو من التغيير في الأداء عند بعض المسلمين تبعاً إلى لهجاتهم القبلية ، وذلك على عهده ، فنهى ﷺ عن القراءة بغير ما أنزل عليه وعلّمهم به ، فعن الطبراني بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : «تمارينا في سورة من القرآن فقلنا : خمس وثلاثون أو ست وثلاثون قال : فأنطلقنا إلى رسول الله ﷺ . فوجدنا علىّا بناجيه . قال فقلنا : إنما اختلفنا في القراءة قال : فاحمّ وجه رسول الله ﷺ وقال : (إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم) .

(١) انظر المصنف لعبد الرزاق ١ / ٥٧٨ - ٥٧٩ .

قال : ثم أسر إلى علي شيئاً ، فقال لنا علي : إن رسول الله يأمركم أن تقرأوا كما علمتم»^(١).

وسيأتي بأوسع من هذا ، وهو لا يدل إلا على وحدة التنزيل ، وعدم جواز الاختلاف في القراءة وهذا يعني (أن القرآن واحد ، نزل من عند الواحد ، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواية) ، ورد ذلك عن أبي جعفر الباقر عليهما السلام^(٢).

وقد سأله الفضيل بن يسار أبا عبد الله عليهما السلام فقال : «إن الناس يقولون : أن القرآن نزل على سبعة أحرف : فقال أبو عبد الله عليهما السلام : كذبوا أعداء الله ، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد»^(٣).

نعم لا شك أن عثمان قد جمع الناس على قراءة واحدة وجعلها هي قراءة الإمام وكتب بها المصاحف الإمام التي أرسل عنه نسخاً إلى البلدان ، وأمر بإحراق المصاحف الأخرى التي تختلف ذلك المصحف الإمام ، ونحي عن القراءة بغير ما أمر ، وقد مررت كلمة الحارث المحاسبي في معنى جمع عثمان للقرآن ، واته له ليس كذلك ، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد ...

أقول : وهذا العمل من عثمان لم ينتقده عليه أحد من المسلمين ، وذلك لأن الاختلاف في القراءة سيؤدي حتماً إلى الاختلاف بين المسلمين كما مرّ من حكاية عثمان قول : هذا قرآن خير من قرآنك ، وقول : هذا قرآن خير من قرآنك

(١) تفسير الطبرى ١ / ١٢ ط مصر مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٣ هـ و ١ / ٢٣ ط دار المعارف.

(٢) أصول الكافي في كتاب فضل القرآن . باب التوادر ، الرواية / ١٢ .

(٣) نفس المصدر ، الرواية / ١٣ .

وبالتالي إلى التنازع وربما إلى تكفير بعضهم بعضاً. وهذا ما حذر منه النبي ﷺ بقوله : (ألا لاترجعوا بعدِي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) ^(١).

وقد قال ﷺ . كما في حديث ابن مسعود : «قال أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من آل حم. يعني الأحقاف. قال : وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سُميت الثلاثين».

قال : فرحت إلى المسجد ، فإذا رجل يقرأها على غير ما أقرأني فقلت : من أقرأك ؟ فقال : رسول الله ﷺ قال : فقلت لآخر : إقرأها ، فقرأها على غير قراءتي وقراءة صاحبي ، فانطلقت بهما إلى النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن هذين يخالفاني في القراءة ، قال : فغضب وتمعر وجهه وقال : (إِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْخِتَالَفَ ...) .

قال : وقال زر : وعنده رجل قال الرجل : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما أقريء ، (إِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْخِتَالَفَ) ، قال : وقال عبد الله : فلا أدرى أشيئاً أسرّه إليه رسول الله ﷺ أو علم ما في نفس رسول الله ﷺ ، قال : والرجل هو علي بن أبي طالب» ^(٢) .

فهذا هو الخبر السابق أولاً غير أنه أوسع تفصيلاً، يبقى علينا أن نعرف الوجه في تعدد القراءات أو قل بتعبير أوضح وجه الاختلاف بين مصحف ابن عباس ومصحف (الإمام) الذي جمع عثمان الناس على القراءة بما فيه. وهذا ما سنبحثه في الحلقة الثالثة إن شاء الله تعالى ، وقد مرّ بما في أيام عمر حديث دار

(١) جمع الفوائد ٤٤٦ / ٢ نقلًا عن أبي داود والنسائي عن ابن عمر مرفوعاً.

(٢) مسند أحمد ٦ / ٣٥ برقم ٣٩٨١ ط محققة ، وقارن الطبرى ١ / ٢٣ ط محققة ومستدرک الحاكم ٢ / ٢٢٣ .

بينه وبين ابن عباس حول سبب الاختلاف في الأمة وكتابها واحد ، ونبيها واحد ، وقبيلتها واحدة ، فراجع تجد ذلك بسبب تعدد الآراء في القراءة .

ثالثاً : مواقف شرعية في الأحكام

١ - تنبية ابن عباس لعثمان على الحكم الشرعي فيمن وضعت حملها لستة أشهر .

ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليهما بعض أقضيته في الأحكام فقال : «وقال في المجنونة التي أمر برجها ، وفي التي وضعت لستة أشهر فأراد عمر رجها ، فقال له علي : إن الله تعالى يقول : ﴿وَحَمَلْهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(١) الحديث . وقال له : إن الله رفع القلم عن المجنون الحديث ، فكان عمر يقول : لولا علي هلك عمر» .

ثم قال ابن عبد البر : «وقد روی مثل هذه القصة لعثمان مع ابن عباس ، وعن علي أخذها ابن عباس ، والله أعلم»^(٢) .

أقول : روی السيوطي في الدر المنشور عن عبد الرزاق وعبد بن حميد عن أبي عبيدة مولى عبد الرحمن بن عوف قال : «رفعت امرأة إلى عثمان عليه السلام ولدت لستة أشهر فقال عثمان : إنها قد رفعت إلى امرأة ألا جاءت بشر . فقال ابن عباس : إذا أكملت الرضاعة كان الحمل ستة أشهر وقرأ ﴿وَحَمَلْهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٣) فدرا عثمان عنها»^(٤) .

(١) الأحقاف / ١٥ .

(٢) الاستيعاب / ٤٦١ ط حيدر آباد .

(٣) الأحقاف / ١٥ .

(٤) الدر المنشور / ٤٠ .

٢ . استنكار ابن عباس على عثمان في عدم ميراث الأم مع الأخرين :

أخرج الطبرى في تفسيره^(١) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين واللفظ له بسنته : «عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس آنه دخل على عثمان بن عفان رض فقال : إن الأخرين لا يرثان الأم عن الثلث (؟) قال الله عزوجل : ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْرَوْةٌ فَلَا مِمْمَأْهُ السُّدُسُ﴾^(٢) فالأخوان بلسان قومك ليسا بأخوة (؟) فقال عثمان بن عفان : لا أستطيع أن أرد ما كان قبلى ومضى في الأمصار وتوارث به الناس . وفي لفظ الطبرى : هل أستطيع نقض أمرٍ كان قبلى وتوارثه الناس ...^(٣) .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٤) ، وتبعه الذهبي في تلخيصه وقال : صح .

أقول : لقد وهم الطبرى وغيره من الفقهاء وأئمة الحديث في نسبة مسألة عدم حجب الأخرين الى ابن عباس ، حيث ظنوا أن الاستفهام كان حقيقياً ، بينما كان استفهاماً إنكارياً كما هو ظاهر من لغة ابن عباس ومن جواب عثمان . وهذا ما فهمه جماعة من الفقهاء ، كما سيأتي في فقه ابن عباس في (الحلقة الثالثة) إن شاء الله تعالى مزيد بيان .

٣ . خلافات فقهية بينهما :

لقد كان بين ابن عباس وبين عثمان خلافٌ في بعض الأحكام الشرعية قولهً وعملاً :

(١) تفسير الطبرى ٤ / ١٨٨ .

(٢) آل عمران / ١١ .

(٣) قارن السنن الكبير للبيهقي ٦ / ٢٢٧ .

(٤) مستدرك الحاكم ٤ / ٣٣٥ .

أ . فعثمان توضأ فغسل كفيه ثلاثة ... وغسل وجهه ثلاثة وذراعيه ثلاثة
ثلاثة ... وغسل قدميه ثلاثة^(١) .

بينما ابن عباس توضأ فغسل كلّ عضو منه غسلة واحدة ، ثم ذكر أنَّ
النبي ﷺ كان يفعله^(٢) .

ب . وعثمان توضأ فمسح بأذنيه ظاهرهما وباطنهما وقال : «رأيت النبي ﷺ
يفعله»^(٣) .

بينما ابن عباس كان يقول : «الأذنان ليستا من الوجه وليسوا من الرأس ، ولو
كانتا من الرأس لكان ينبغي أن يخلق ما عليهما من الشعر ، ولو كانتا من الوجه
لكان ينبغي أن يغسل ظهورهما وبطونهما مع الوجه»^(٤) .

ج . وعثمان قال في ميراث جد وأم وأخت : «للأم الثالث ، وللأخوات الثالث ،
وللجد الثالث»^(٥) .

بينما قال ابن عباس : «للأم الثالث ، وما بقي فللجد وليس للأخت شيء»^(٦) .

د . وعثمان كان ينهى عن متعة الحج تبعاً لعمره وكان مصرًا على نهيء عنها
قولاً وعملاً ، وقد مر بعض ما يتعلق بذلك في مخالفات عثمان لأحكام الشريعة
ونزيده على ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده عن مروان قال : «كنا نسير مع
عثمان رضي الله عنه فاذا رجل يلقي بهما جيئاً فقال عثمان رضي الله عنه : مَنْ هَذَا؟ فقلوا : علىي. فقال :

(١) المصنف ١ / ٤١.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر ١ / ١٣.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر ١٠ / ٢٦٩.

(٦) نفس المصدر ١٠ / ٢٧٠.

ألم تعلم أباً قد نحيث عن هذا؟ قال : بلى ، ولكن لم أكن لأدع قول رسول الله ﷺ لقولك»^(١).

وفي حديث ابن المسيب قال : «خرج عثمان حاجاً حتى إذا كان ببعض الطريق قيل لعليّ : إنّ عثمان قد نهى أصحابه عن التمتع بالعمرّة إلى الحج ، فقال عليّ لأصحابه : إذا راح فروحوا ، فأهلّ علىّ وأصحابه بعمرّة ، فلم يكلّهم عثمان ، فقال له عليّ : ألم أخبر أئّنك نحيث عن التمتع بالعمرّة؟ فقال : بلى ، قال : فلم تسمع رسول الله ﷺ تمنع ؟ قال : بلى»^(٢).

وفي حديث شعبة عن قتادة عن عبد الله بن شقيق وفيه : «قال عثمان : أجل ولكننا كنّا خائفين قال شعبة فقلت لقتادة : ما كان خوفهم؟ قال : لا أدرى»^(٣).

أقول : ليس قتادة وحده لا يدرى كلا ولا المنجم يدرى أيّ خوفٍ كان يوم أمر بما رسول الله ﷺ في حجة الوداع ومعه مائة ألف أو يزيدون؟ وقد مرت بعض الأحاديث في أسباب السخط فراجع.

أمّا موقف ابن عباس في هذه المسألة فكان هو موقف عليّ عليه السلام ، فقد أهلّ كما أهلّ بقية أصحاب عليّ عليه السلام ، وهذا هو الموقف الثابت له ، حتى كان يقول لمن يعارضه في ذلك بأبي بكر وعمر : «يُوشك أن يُنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : ما قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر وعمر»^(٤).

وقد روى عنه سعيد بن جبير : «أنّه قال : تمنع رسول الله ﷺ ، فقال عروة : نحي أبو بكر وعمر عن المتعة.

(١) مسند أحمد ٣ / ١٠٢ برقم ٧٣٣ تتح أحمد محمد شاكر.

(٢) نفس المصدر ١ / ٢٠٠ و ٢١٠ .

(٣) نفس المصدر ١ / ٢١٣ .

(٤) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ١ / ٢١٥ .

فقال ابن عباس : أَرَاهُمْ سَيِّهِلُكُونَ ، أَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُونَ أَبُوكَ بَكْرٌ وَعُمْرٌ»^(١).

وقال لعروة : «يَا عَرِيَّةَ سَلْ أَمْكَ ، أَلَيْسَ قَدْ جَاءَ أَبُوكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَحَلَّ ؟ وَأَمَّا الْمُتْعَةُ فَسُلْ أَمْكَ إِذْ نَزَّلَتْ عَنْ بَرْدِي عَوْسَجَةً ، فَإِنَّ أَوَّلَ مُتْعَةً سُطِّعَ بِجَمْرِهَا لَجْمَرُ سُطِّعَ بَيْنَ أَمْكَ وَأَيْكَ»^(٢).

ولاشتهار فتياه تلك قال له رجل من بلجهيم : «مَا هَذِهِ الْفَتِيَا الَّتِي تَفَشِّغُتْ . انتشرت . في الناس : إِنَّ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ فَقَدْ حَلَّ ؟

فقال : سَنَّةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ وَإِنْ رَغَمْتُمْ»^(٣).

وستأتي في الحلقة الثالثة في (فقهه) بعض موارد الخلاف بينه وبين عثمان.

رابعاً : مواقف إصلاحية

١ . إِلْزَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِعُثْمَانَ بِالْحِجَّةِ :

لقد كان لابن عباس مع عثمان مواقف إصلاحية إلى جانب مواقفه التقديمة ، وكان عثمان يستجيب له أحياناً إذا لزمته الحجة ، فقد روى مصعب الزبيري في نسب قريش قال : وَقَالَ أَبُو الزَّنَادَ : كَانَتْ بَيْنَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتَ شَاعِرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ بَعْضِ النَّاسِ مُنَازِعَةً عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، فَقُضِيَ عُثْمَانُ عَلَى حَسَّانَ ، فَجَاءَ حَسَّانٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَشَكَّا ذَلِكَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْحَقُّ حَقٌّكَ وَلَكَنْ أَخْطَأَتْ حِجْتَكَ ، انْطَلَقْ مَعِي ، فَخَرَجَ بِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ ، فَاحْتَجَ لَهُ

(١) مسنون أحمد ١ / ٣٣٧ ط محققة.

(٢) نفس المصدر ٤ / ٣٥٢ و ٥ / ١١٩ .

(٣) نفس المصدر ٤ / ١٧٦ و ١٨٤ ، و ٥ / ٦٦ .

ابن عباس حتی تبیّن عثمان الحقّ ، فقضى به حسان بن ثابت فخرج آخذًا يید ابن عباس حتی دخلا المسجد ، فجعل حسان بن ثابت ينشد الحلق ويقول :

<p>رأيَتْ لَهُ فِي كُلِّ جَمِيعَةِ فَضْلِ بِعْنَاطِمَاتِ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلًا لَذِي إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا وَهْزَلًا^(١)</p>	<p>إِذَا مَا ابْنَ عَبَّاسَ بَدَأَ لَكَ وَجْهُهُ إِذَا قَالَ لَمْ يَسْتَرِكَ مَقْلَالًا لَقَائِلَ كَفِي وَشْفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدْعُ</p>
--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

٤ . استكشاف للرأي وصراحة نقدية هادئة :

روى ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة في حديث طويل جاء فيه : «أمسك عثمان ابن عباس فقال له عثمان : يا بن عمي ويا بن خالي فإنه لم يبلغني عنك في أمري شيء أحببه ولا أكرهه على لي ، وقد علمت أنك رأيت بعض ما رأى الناس ، فمنعك عقلك وحلسك من أن تُظهر ما أظهروا ، وقد أحبت أن تعلمني رأيك فيما بياني وبينك فاعتذر. قال ابن عباس : فقلت : يا أمير المؤمنين إنك قد أبتليتني بعد العافية ، وأدخلتني في الضيق بعد السعة ، والله إن رأيي لك

(۱) نسب قریش / ۲۶

(٢) المعجم الكبير للطبراني / ٤٢ - ٤٣ ط الموصل ، وقارن مجمع الزوائد / ٩ - ٢٨٤ ، والاستيعاب والاصابة في ترجمة ابن عباس .

أن يُجلّ سُنّك ، ويُعرَف قدرُك وسابقتك ، ووالله لسودتْ أَنْك لم تفعل ما فعلتْ ممَّا ترك الخليفتان قبلك ، فإن كان شيئاً تركاه لما رأيا أَنَّه ليس لهما علمتْ أَنَّه ليس لك كما لم يكن لهما ، وإن كان ذلك لهما فتركاه خيفة أن يُقال منها مثل الّذِي يُنلُّ منك تركته لما تركاه له ، ولم يكونوا أحق بِإِكرام أنفسهما منك باكرام نفسك.

قال : فما منعك أن تشير عليَّ بهذا قبل أن افعل ما فعلتْ ؟

قال : وما علمي أَنْك تفعل ذلك قبل أن تفعل ؟

قال : فهو لي صمتاً حتى ترى رأيي»^(١).

٣ . كبراء معاوية في عتابه وأعتداد ابن عباس في جوابه :

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال : «وقدم معاوية بن أبي سفيان على أثر ذلك من الشام فأتى مجلساً فيه عليَّ بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم : يا معاشر الصحابة أوصيكم بشيخي هذا خيراً ، فوالله لئن قتل بين أظهركم لأملائها عليكم خيلاً ورجالاً ، ثم أقبل على عمّار بن ياسر ، فقال : يا عمّار إن بالشام مائة ألف فارس كلّ يأخذ العطاء مع مثلهم من أبناءهم وعبد انهم لا يعرفون علياً ولا قرابته ، ولا عمّاراً ولا سابقه ، ولا الزبير ولا صاحبته ، ولا طلحه ولا هجرته ، ولا يهابون ابن عوف ولا ماله ولا يتقدون سعداً ولا دعوه فإياك يا عمّار أن تقع غداً في فتنة تنجلify فقال هذا قاتل عثمان وهذا قاتل عليٍّ.

(١) الإمامة والسياسة ١ / ٢٩ مط الأمة سنة ١٩٢٨ م.

ثم أقبل على ابن عباس فقال : يا ابن عباس إنا كنا وإياكم في زمان لا نرجوا فيه ثواباً ولا نخاف عقاباً ، وكنا أكثر منكم فوالله ما ظلمناكم ولا قهرواكم ولا أخرناكم عن مقام تقدمناه ، حتى بعث الله رسوله منكم فسبق إليه صاحبكم فوالله ما زال يكره شركنا ويتغافل به عنا حتىولي الأمر علينا وعليكم ، ثم صار الأمر إلينا وإليكم ، فأخذ صاحبنا على صاحبكم لسنّه ، ثم غير فَطَقَ وُنْطَقَ على لسانه ، فقد أوقدت ناراً لا تطفأ بالماء.

قال ابن عباس : كنا كما ذكرت حتى بعث الله رسوله منا ومنكم ثم ولـيـ الأمر علينا وعليكم ، ثم صار الأمر إلينا وإليكم ، فأخذ صاحبكم على صاحبنا لسنـهـ ولـاـ هوــ أـفـضـلــ مـنــ سـنـهــ ،ــ فــوــالــلــهــ مــاـ قــلــنــاـ إــلــاـ مــاـ قــالــ غــيرــنــاـ ،ــ وــلــاـ نــطــقــنــاـ إــلــاـ بــمــاـ نــطــقــ بــهــ ســوــانــاـ ،ــ فــتــرــكــتــ النــاســ جــانــبــاـ وــصــيــرــقــوــنــاـ بــيــنــ إــنــ أــقــمــنــاـ مــتــهــمــيــنــ ،ــ أــوــ نــزــعــنــاـ مــعــتــبــيــنــ ،ــ وــصــاحــبــاـ مــنــ قــدــعــلــتــمــ وــالــلــهــ لــاـ يــهــجــهــجــ مــهــجــهــجــ إــلــاـ رــكــبــهــ ،ــ وــلــاـ بــرــدــ حــوــضــاـ إــلــاـ أــفــرــطــهــ ،ــ وــقــدــ أــصــبــحــتــ أــحــبــ مــنــكــ مــاـ أــحــبــتــ وــأــكــرــهــتــ مــاـ كــرــهــتــ ،ــ وــلــعــلــيــ لــاـ لــقــاـكــ إــلــاـ فــيــ خــيــرــ»^(١).

٤ . حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا :

كان عقيل بن أبي طالب قد تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة . برغبة منها فيه . فقالت له : «تصير لي وأنفق عليك ، فكان إذا دخل عليها قالت : أين عتبة بن ربيعة ؟ وشيبة بن ربيعة ؟ . وكانا من المقتولين بدر . فيسكت عنها ، حتى إذا دخل عليها يوماً وهو برم قال : أين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ! قال : عن يسارك في النار إذا دخلت ، فشدّت عليها ثيابها فجاءت عثمان فذكرت ذلك له ،

(١) نفس المصدر ٢٧ / ١ ، وأنظر مسند أحمد ٥٧ / ١ وهو أول حديث فيه من مسند عثمان ، فراجع ، ومرة أخرى / ٦٩.

فضحك فأرسل إلى ابن عباس ومعاوية . وكان يومئذ بالمدينة . فقال ابن عباس : لأفرق بينهما ، وقال معاوية : ما كنت لأفرق بين شيخين من بنى عبد مناف فأئمأا فوجداهما قد أغلقا عليهما أبوابهما وأصلحا أمرهما فرجعا^(١) .

٥ . إمامية الصلاة أيام الحصار :

ذكر المؤرخون أن الحصار كان متیناً : فالحصار الأول قالوا . باختلاف . استمر أربعين يوماً . وذكروا أن عثمان لم يستطع الخروج إلى الصلاة بالناس ، كما ذكروا أسماء جماعة من الصحابة تولوا أمر الصلاة بالناس :

أ . ذكر ابن جرير طلحة بن عبيد الله^(٢) .

ب . وذكر ابن كثير فقال : «كان يصلی بالناس في هذه الأيام الغافقي بن حرب»^(٣) .

ج . وذكر البخاري وغيره عن عبد الله بن سلام ، قال : «لما حصر عثمان ولـى أبا هريرة الصلاة»^(٤) .

وفي الحصار الثاني ، وهو أقصر زماناً من الحصار الأول لكنه أشد تضييقاً :

د . فقد روى ابن جرير قال : « جاء المؤذن سعد القرظ إلى عثمان فاذنه بالصلاوة ، فقال : لا أنزل أصلي ، اذهب إلى من يصلی ، فجاء إلى علي فأمر سهل بن حنيف ، فصلّى اليوم الذي حصر فيه عثمان الحصار الآخر ، وهو ليلة رؤي هلال

(١) المصنف لعبد الرزاق ٦ / ٥١٢ ، وقارن تفسير الطبری ٥ / ٤٥ باختصار.

(٢) تاريخ ابن كثير ٧ / ١٧٧.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

ذى الحجة فصلٌ بِهِمْ ، حتى إذا كان يوم العيد صلٰى عَلٰيِّ بِهِمْ العيد ثم صلٰى بِهِمْ حتى قتل»^(١).

هـ . وروى الطبرى أيضاً عن ابن عمر قال : «لما حصر عثمان صلٰى بالناس أبو أىوب أياماً ، ثم صلٰى بِهِمْ عَلٰيِّ الجمعة والعيد حتى قتل»^(٢).

وـ . وروى ابن الدباع الشيبانى في تيسير الوصول نقلاً عن عبد الله بن سلام قال : «وكان ابن عباس يصلي أحياناً»^(٣).

وأَمَّا مَا ذُكِرَ فِيهِ وزن فِي كِتَابِ (الدولَةُ الْعَرَبِيَّةُ وسُقُوطُهَا) ^(٤) وَكَذَلِكَ فِي ترجمَتِهِ الْأَخْرَى بِاسْمِ (تارِيخُ الدُّولَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ ظَهُورِ الإِسْلَامِ إِلَى نَهايَةِ الدُّولَةِ الْعَرَبِيَّةِ) ^(٥) : «إِنَّ الْإِمَامَ أَمَّ النَّاسِ فِي صَلَاتِهِمْ عِنْدَمَا كَانَ عُثْمَانَ مُحَاصِراً . كَمَا فِي التَّرْجِمَةِ الْأُولَى . وَكَانَ فِي أَنْتَاءِ حَصَارِ الدَّارِ هُوَ الَّذِي يَصْلِي بِالنَّاسِ . كَمَا فِي التَّرْجِمَةِ الثَّانِيَةِ .» ، فَإِنَّ مَا ذُكِرَ فِيهِ هَذَا الْمُسْتَشْرِقُ الْأَلْمَانِيُّ إِنَّمَا يَعْنِي تِلْكَ الأَيَّامِ الَّتِي أَشَدَّ فِيهَا الْحَصَارُ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِيدِ فِي ١٠ ذِي الْحِجَّةِ وَهَذِهِ يَوْمُ ١٨ يَوْمُ قُتْلِ عُثْمَانَ .

زـ . وورد في الخبر مِنْ صلٰى بالناس في حصار عثمان : «صلٰى بالناس عبيد الله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف»^(٦).

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٤٢٣.

(٢) نفس المصدر ٤ / ٤٣٣.

(٣) تيسير الوصول ٢ / ٦٣.

(٤) الدول العربية وسقوطها / ٤٦ ترجمة الدكتور يوسف العش.

(٥) تاريخ الدول العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدول العربية / ٥١ ترجمة محمد عبد المادي أبو ريدة.

(٦) الخبر حمد بن حبيب الهاشمي / ٣٥٧ ط حيدر آباد.

خامساً : إمارة الموسم

حُوصرَ عثمان في داره من جراء تلك الأزمات التي أحاقت بال المسلمين بسبب سياساته ، وإثر تصاعد السخط والنكير عليه ، صار لا يستطيع الخروج إلى المسجد النبوي الشريف. فضلاً عن إقامة شعائر الحج كما كان يفعله من قبل. وهذا هو الموسم أقبل ، فماذا عليه أن يفعل؟ فرأى أن يولّي أمراً الموسم عبد الله ابن عباس فله من مكانته وعلمه ما يؤهله لإقامة المناسب في شعائرها بيسيرٍ وأمان ، ولنترك الحديث للطبرى. قال : ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن يحج بالناس في هذه السنة ٣٥. ذكر محمد بن عمر الواقدي أن أسامة بن زيد حدثه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما حُصرَ عثمان الحصر الآخر . قال عكرمة : فقلت لابن عباس : أو كانا حَصَرَين؟ فقال ابن عباس : نعم ، الحصر الأول ، حصر أثنتي عشرة . وقدم المصريون فلقيهم عليّ بذى خشب ، فرددتهم عنده . وقد كان والله علىّ له صاحب صدق ، حتى أُوغرَ نفسَ عليّ عليه ، جعل مروان وسعيد وذووهما يحملونه على عليّ فيتحمل ويقولون : لو شاء ما كَلَمْكَ أحد ، وذلك أن عليّاً كان يكلّمه وينصحه ، ويغليظ عليه في المنطق في مروان وذويه.

فيقولون لعثمان هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلفه وابن عمّه وابن عمته؟
فما ظنك بما غاب عنك منه؟ فلم يزالوا على حتى أجمع إلا يقوم دونه.
فدخلت عليه الذي خرجت فيه إلى مكة ، فذكرت له أن عثمان دعاني إلى الخروج .
فقال لي : ما يريد عثمان أن ينصحه أحد ، اتخذ بطانة أهل غشٍ ، ليس منهم أحد إلا قد تسبب بطائفة من الأرض يأكل خراجها ويستنزل أهلها .

فقلت له : أن له رِحْمَاً وَحْقاً ، فَإِن رأيْتَ أَن تَقُومْ دُونَه فَعَلْتَ ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذِرْ إِلَّا بِذَلِكَ.

قال ابن عباس : فَالله يعلم أَيِّ رَأَيْتَ فِيهِ الْإِنْكَسَارِ وَالرَّقَةِ لِعُثْمَانَ ، ثُمَّ أَيِّ لَأْرَاهُ يُؤْتَى إِلَيْهِ عَظِيمٌ.

ثُمَّ قال عكرمة : وسمعت ابن عباس يقول : قال لي عثمان : يا بن عباس ، اذهب إلى خالد بن العاص بمكة فقل له : يقرأ عليك أمير المؤمنين السلام ، ويقول لك : إِنِّي مُحَصَّرٌ مِنْذَ كَذَا وَكَذَا يوْمًا لَا أَشْرَبُ إِلَّا مِنَ الْأَجَاجِ مِنْ دَارِي ، وَقَدْ مُنْعِثُ بَئْرًا اشترتها مِنْ صَلْبِ مَالِي رُومَة ، إِنَّمَا يَشْرَبُ النَّاسُ لَا أَشْرَبُ مِنْهَا شَيْئًا ، وَلَا آكُلُ إِلَّا مَمَّا فِي بَيْتِي ، مُنْعِثُ أَنْ آكُلَ مَمَّا فِي السَّوقِ شَيْئًا وَأَنَا مُحَصَّرٌ كَمَا تَرَى ، فَأَمْرَهُ وَقُلْ لَه : فَلِيَحْجُّ بِالنَّاسِ ، وَلَيُسْبِّحْ بِفَاعِلِ ، فَإِنَّ أَبِي فَأَحْجَجَ أَنْتَ بِالنَّاسِ .
هذه روایة الطبری^(۱).

وأقدم منه البلاذري في روايته عن عمرو بن دينار قال : «كَلَمْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَبْنَ عَبَّاسٍ فِي أَنْ يَحْجُّ بِهِمْ وَعُثْمَانَ مُحَصَّرٍ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي ذَلِكَ قَالَ : حَجَّ بِهِمْ»^(۲).

وأقدم منهما معاً ابن سعد فقد روى في الطبقة الخامسة من طبقاته رواية عمرو بن دينار الآنفة الذكر. ثُمَّ اتبعها برواية ابن عباس نفسه قال : «دَعَانِي عُثْمَانَ فَاسْتَعْمَلْتُ عَلَى الْحَجَّ فَخَرَجْتُ إِلَى مَكَةَ فَأَقْمَتُ لِلنَّاسِ الْحَجَّ ...»^(۳).

ولما نَعْلَمَ مِنَ الْجَمِيعِ بَيْنَ الْجَمِيعِ ، كَمَا لَا بُعْدَ فِيمَا قَالَهُ الْمُسْتَشْرِقُ الْأَلَانِي وَهَاوْزِنُ فِي كِتَابِهِ الدُّولَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَسُقُوطِهَا قَالَ : «أَمْ . عَلَيْ . النَّاسُ فِي صَلَاتِهِمْ

(۱) انظر تاريخ الطبری ٤ / ٥٠ ط دار المعرف.

(۲) أنساب الأشراف ١ ق ٤ / ٥٨٨.

(۳) طبقات ابن سعد ١ / ١٧٣ تَحْ السُّلَمِي.

عندما كان عثمان محاصراً، وعيّن أميراً للحج من عنده^(١). وهذا يمكن قبوله إذا تذكّرنا ما مرّ من دخول ابن عباس على الإمام في أول حديثنا عن إمارة الموسم، فيكون هو الذي عينه أو فلننقل أمضى تعينه^(٢).

ومهما يكن فقد حمد الناس ذلك، حتى أن عائشة قالت: «من جعل على الموسم العام؟ قالوا: ابن عباس، قالت: هو أعلم الناس بالحج»^(٣).

وروى الذهبي بسنده عن عمرو بن دينار: «إن أهل المدينة كلّموا ابن عباس أن يحج بهم، فدخل على عثمان فأمره»^(٤).

ومهما يكن نصيب ذلك من الصحة فهو لم يزد على تأمير عثمان له إلا بذكر السبب، حيث كان بطلب من أهل المدينة، وكان هذا آخر اللقاء بين الرجلين كما سيأتي بيانه.

سادساً : مع عائشة في الصلصل

روى الطبراني في تاريخه بسنده عن عكرمة قال: «فخرج ابن عباس فمرّ بعائشة في الصلصل^(٥) فقالت يا بن عباس أنشدك الله. فإنك قد أعطيت لساناً

(١) الدول العربية وسقوطها / ٤٦ ترجمة الدكتور يوسف العش.

(٢) وهذا أولى بالقبول من قوله كما في الترجمة الثانية لكتابه ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ربيه، ومراجعة الدكتور حسين مؤنس للترجمة، فقد جاء في صفحة ٥١ قوله: (وكان . عليـ . في اثناء حصار الدار هو الذي يصلـي بالناس ، كما انه هو الذي حـجـ بهـم ، وهذا من هـفـوـاتـ التـرـجـمـةـ إذـ لمـ يـحـجـ الـامـامـ بـالـنـاسـ فيـ تـلـكـ السـنـةـ ، ولاـ فيـ غـيرـهـاـ سـوـىـ فيـ السـنـةـ التـاسـعـةـ الـّتـيـ بـعـثـهـ النـبـيـ ﷺـ لـتـبـلـيـغـ سـوـرـةـ بـرـاءـةـ فـقـدـ أـقـامـ لـلـنـاسـ حـجـهـمـ وـبـلـغـهـمـ ماـ أـمـرـ بـتـبـلـيـغـهـ).

(٣) طبقات ابن سعد في ترجمة ابن عباس في الطبقة الخامسة تصحـ السـلـمـيـ ، والـمـعـرـفـةـ والتـارـيـخـ لـلـفـسـوـيـ ١ / ٤٩٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٥٠.

(٥) الصلصل : موضع على ٧ أميال من المدينة.

إزعيلاً^(١). أن تخذل عن هذا الرجل وأن تشك في الناس ، فقد بانت لهم بصائرهم ، وأنهجت^(٢) ورفعت لهم المنار ، وتحلّبوا من البلدان لأمر قد حُمِّ ، وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اخزى على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح ، فإن يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر.

قال ابن عباس. قلت : يا أمّه لو حدث بالرجل حدث مافرع الناس إلّا إلى صاحبنا.

فقالت : إيهَا عنك إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك^(٣).

وفي رواية ابن أعثم في الفتوح قالت له : «يا بن عباس إنّك قد أوتيت عقلاً وبياناً ، فإياك أن ترد الناس عن قتل هذا الطاغي عثمان فإيّي أعلم أنه سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر»^(٤).

وفي رواية الشيخ المفيد : «قالت له : يا بن عباس إنّك قد أوتيت عقلاً وبياناً وإياك أن ترّد الناس عن قتل الطاغية»^(٥).

وفي رواية ابن أبي الحديد نقاً عن الطبرى نجد تفاوتاً في الخبر ، فقد قال : «وروى الطبرى أيضاً قال قال ابن عباس رض : لما حجّت بالناس نيابة عن عثمان وهو محصور مررت بعائشة بالصلصل ، فقالت : يا بن عباس أنشدك الله فإنّك قد أعطيت فهماً ولساناً وعقلاً أن لا تخذل الناس عن طلحة فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان وأنهجت ، ورفعت لهم المنابر ، وجلبوا من البلدان لأمر عظيم قد حُمِّ ،

(١) الازعيل : الذلق.

(٢) أنهج الطريق : وضُح وبان.

(٣) تاريخ الطبرى ٤ / ٤٠٧ ط محقق.

(٤) الفتوح ٢ / ٢٢٦.

(٥) النصرة في حرب البصرة / ٦١ ط الثانية بالحيدريّة سنة ١٣٦٨.

وإن طلحة قد أتى رجلاً على بيته الأموال وأخذ مفاتيح الخزائن وأظنه يسير
إن شاء الله بسيرة ابن عمه أبي بكر.

فقال : يا أمّه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا.

فقالت : إيهأً عنك يا بن عباس إيني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتكم^(١).

سابعاً : إقامة المناسب

ذكرت مصادر الأحكام السلطانية وظائف أمير الموسم فكان منها :

- ١ . حضوره بمكة قبل اليوم السابع ، فإنّ ولادة الأمير تبدأ بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم .
- ٢ . إماماة الحاج في الصلاة .
- ٣ . إشعار الناس بوقت إحرامهم ، والخروج إلى مشاعرهم ليكونوا له متبوعين وبأفعاله مقتدين .
- ٤ . تعليمهم المناسب على ما استقرّ عليه الشرع لأنّه متبع فيها .
- ٥ . إتباعه في إقامة الأركان في المشاعر . والتأمين على أدعيته فيها ، ليكونوا متبوعين له قولًا وعملاً .
- ٦ . تقدير المواقف بمقامه فيها وسيره عنها ، فيفيضون بإفاضته .
- ٧ . حكمه بين الحاج فيما اختلفوا فيه .
- ٨ . إقامة الحدّ والتعزير على ملن وجب عليه ذلك .
- ٩ . وعليه أن يكون نفره النفر الآخر ولا يت Urgel في اليومين .
- ١٠ . وعليه أن لا يخرج من مكة إلّا بعد اليوم الثالث عشر وهو آخر يوم من ولايته ، وكلّ هذه الوظائف كان حبر الأمة القدير على تنفيذها مع علم وعدالة .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٥٠٦ .

ولما دخل مكة في جو ملتهب بالشاعر الساخطة على عثمان ، وهـا هو أمير الحاج من قبله فعليه أن يتتجنب كلّ ما يشتت الكلمة ويوري نار الفتنة ، لذلك لم يتعرض لأمر عثمان من قريب أو بعيد ، وكأنـه لم يكن خليفـه في أمر الناسـك ، بل بلغ من إعراضـه عن أمرـه ، أنـ عثمان بعث معـه كتابـاً إلى الحجـاج يدعـوهـم إلى نصرـته ليـلـوهـ في مـكـةـ قبلـ التـروـيـةـ يـوـمـ ، فـتـلاـهـ دونـ التعـليـقـ عـلـيـهـ بـقـلـيلـ أوـ كـثـيرـ . وـكـانـ كتابـاً طـويـلاً^(١) تـسـتـدـعـيـ فيهـ بـعـضـ الفـصـولـ إـثـارـةـ الفـضـولـ ، وـالـتـسـاؤـلـ حـولـ أـفـعـالـ عـثـمـانـ وـوـلـاـةـ عـثـمـانـ ، وـهـوـ حـدـيـثـ السـاعـةـ يـوـمـئـذـ بـيـنـ الـحجـاجـ . لـكـنهـ لمـ يـدـعـ مـجاـلـاً لـلـخـوـضـ فـيـ ذـلـكـ ، حـفـظـاً لـلـنـظـامـ وـحـفـاظـاً عـلـىـ إـقـامـةـ النـاسـكـ دونـ بـلـبةـ.

وزاد من إعراضه أن عثمان بعث كتاباً مع نافع بن طريف إلى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغفلاً ، فلما وافى به نافع يوم عرفة ، وابن عباس يخطب ، فقام نافع إليه ليقرأ الكتاب ، فلم يقرأه وقطع خطبته وترك نافع يقرأ كتاب عثمان ولما أتم قراءته ، عاد ابن عباس فأتم خطبته ولم يعرض لشيءٍ من شأنه^(٢).

وهكذا أقام للناس مناسك حجّهم ، ومضت أيام الحج المعلومات ، وألسنة الثناء تطري حبر الأمة وتجده ، اذ سحر الناس بيانه خطيباً ، وعلمأً للأحكام مصبياً ، كما هو شأنه في كل عام حتى بلغ من افتتان الناس بكلامه ، قوله بعضهم : يا سبحان الله ماذا يخرج من رأس هذا الرجل ، لو سمعت هذا الترک لأسلمت.

وقال الآخر . وقد سمعه يفسّر سورة النور وهو على المنبر . لو فسح لي المجال لقبّلت رأسه حلّ و منطقه . وروى أبو عثمان الجاحظ قول الناس :

(١) تاريخ الطبرى / ١٤٠ - ١٤٢ ط الحسينية.

«خطبنا عبد الله بن عباس خطبة بمكة أيام حصار عثمان لو شهدتها الترك والدليل لأسلموا»^(١).

أمّا الآخر من المعجبين الذين لم يخفوا إعجابهم حين سمعه خطبه فكان يقول : ما رأيت ولا سمعت كلام مثله ، لو سمعته فارس والروم لأسلمت.

وما كادت تنقضي أيام الموسم حتى أقلّ العرجة وأسرع العودة ، ليتطلّع إلى أخبار المدينة وما خلقه بها من اضطراب في الأمر والأمن ينذر بالخطر الحدّق بالأمة. وما إن ودع البيت الحرام حتى خرج عائداً إلى المدينة مسرعاً فبلغها بعد مقتل عثمان بخمس ليالٍ. كما سيأتي ذلك عنه . ولما كان مقتله لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة . على أصح الأقوال . وعرفنا ان المسافة بين الحرمين . مكة والمدينة . فيما قدرها علماء الجغرافية والبلدان . كابن رستة في الأعلاق النفيسة^(٢) والاصطخري في المسالك والممالك^(٣) وياقوت في معجم البلدان^(٤) وغيرهم . قالوا : ان بين مكة والمدينة نحو من عشر مراحل في طريق الجادة ، وعرفنا ان المرحلة ما يقطعها المسافر في يومه . كما يقولون . وتقدر بثمانية فراسخ كما في البلدان لليعقوبي .

وعرفنا . كما أمرّ . أن أمير الحاج لا يخرج إلا بعد الثالث عشر من ذي الحجة فإذا أضفنا مدة المسافة وهي عشرة أيام لعشرين مراحل فينبغي أن يكون وصوله ليس في آخر الشهر بيوم أو يومين . كما حدّث نفسه ، حيث قال :

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ / ٤٧٢.

(٢) الأعلاق النفيسة / ١٨٠ ط ليدن.

(٣) المسالك والممالك / ٢٧ ط ليدن.

(٤) معجم البلدان ٧ / ٣٠٠ ط مصر.

قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال . وذلك آخر الشهر . وإذا
عثمان قد قتل وإذا الناس يتواذبون على رقبة عليّ بن أبي طالب ...
وسيأتي بقية كلامه في الحديث عن خلافة الإمام .
إذا عرفنا ذلك كلّه عرفنا أئمّة رمّاكان يطوي المراحل فلا يقيم بمكان ولا
يلوي على شيء فدخل المدينة في الثالث والعشرين أو تاليه بعد مقتل عثمان
بحمس ليال .

وبهذا انتهت آخر صفحة من الفترة التي عاشها حبر الامة في أيام عثمان ،
فرأى منه كما رأى الناس ، وقال فيه كما كان يقول الناس ، ولكن ذلك لم يكن له
معذراً عندبني أمية فيما يستقبل في أيام حياته معهم كما سنرى الإتهامات زوراً
وبهتاناً ونقرأ الوعيد ظلماً وعدواناً .

وحسبنا في المقام أن نستبق الأحداث فنروي للقاريء ما رواه البلاذري
في أنساب الأشراف : «ان عمرو بن العاص قال لعبد الله بن عباس : يا بني هاشم
أما والله لقد تقلدتم من دم عثمان كفّرم الإمام العوارك^(١) وأطمعتم فساق
أهل العراق في عبيه ، وأجزرتموه مراق أهل مصر وأوتيتم قتلاته ، وإنما نظر
الناس الى قريش ، ونظرت قريش إلى بني عبد مناف ، ونظر بنو عبد مناف الى
بني هاشم .

فقال ابن عباس لمعاوية : ما تكلّم عمرو إلا عن رأيك ، وإن أحقر الناس
أن لا يتكلم في قتل عثمان لأنتما ، أما أنت يا معاوية فزّنت له ما صنع ، حتى
إذا حُصر طلب نصرك فأبطأتَ عنه وتشاقلْتَ وأحبيتَ قتلته ، وتربيصت لتنال
ما نلت .

(١) الفرم والفرام والفرامة خرقة الحيض . والعوارك جمع عارك وهي المرأة الحائض .

وأَمَّا أَنْتَ يَا عُمَرُ فَأَضَرْمَتِ الْمَدِينَةَ عَلَيْهِ نَارًا ، ثُمَّ هَرَبْتَ إِلَى فِلَسْطِينَ ،
فَأَقْبَلْتَ تَحْرِضَ عَلَيْهِ الْوَارِدِ وَالصَّادِرِ ، فَلَمَّا بَلَغْكَ قَتْلَهُ دُعْتَكَ عَدَاوَةً عَلَيْكَ إِلَى أَنْ
لَحْقَتْ بِمَعَاوِيَةَ ، فَبَعْتَ دِينَكَ مِنْهُ بِمَصْرَ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : حَسْبُكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، عَرَضْنِي لَكَ وَنَفْسَهُ فَلَا جُزِيَ خَيْرًا^(١) .

وَلَنَخْتَمُ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، وَنَجْعَلَهُ نَهايَةَ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْحَلْقَةِ الْأُولَى
مِنْ (مُوسَوِّعَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَاسٍ حِبْرِ الْأُمَّةِ) وَقَدْ تَناولْنَا فِيهَا حَيَاتَهُ قَرَبَةَ نَصْفِ
قَرْنٍ مِنْ عُمُرِهِ ، بَدْءًا مِنْ ولَادَتِهِ وَمُرُورًا بِمَراحلِ حَيَاتِهِ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ
الْكَرِيمِ طَاهِرٌ مُّكَفَّرٌ وَأَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَأَيَّامِ عُمَرٍ وَأَيَّامِ عُثْمَانَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ .

(نَجْزٌ تَبَيِّضُهُ بَعْدَ تَغْيِيرٍ وَتَطْوِيرٍ مِنَ النَّسْخَةِ الْأُولَى ضَحْيَ يَوْمِ الثَّامِنِ
وَالْعُشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَةِ الْحَرَامِ سَنَةُ ١٤٢١ هـ بِحِوارِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْأَكْفَالُ ،
أَسْأَلُ اللَّهَ بِحَقِّهِ أَنْ يَعِينَنِي عَلَى الإِتَّمَامِ وَالْإِكْمَالِ بِالْتَّمَامِ)

(١) أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ ١١ / ٤ / ٩٤ تَحْتَ إِحْسَانِ عَبَاسٍ ، وَذَكَرَ هَذَا الذَّهَبِيُّ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ ٢ / ٢٣٨
طَالِبُ الْقَدِيسِيُّ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤ / ٢٥٢ / ٢٥٣ طَارِفُ الْفَكَرِ إِلَّا قَوْلُ مَعَاوِيَةَ : فَلَا جُزِيَ خَيْرًا ،
نَحْنُ نَقُولُ لِلْقَارِئِ فَظْنَ خَيْرًا .



books.rafed.net

فهرس الجزء الثاني

٧ تقدیم

الفصل الأول

فترة بين عهدين

١١ فترة بين عهدين

٢٨ مواقف العباس في تلك الفترة

الفصل الثاني

حبر الأمة في عهد أبي بكر

٤٥ حبر الأمة في عهد أبي بكر

٦٣ استخلاف أبي بكر لعمر

الفصل الثالث

حبر الأمة في عهد عمر

٦٩ ثلاث مسائل بين يدي البحث

٧٠ المسألة الأولى

٧٣ المسألة الثانية

٧٧ المسألة الثالثة

٨٠ الحبر مع عمر

٨٠ نصوص ذات دلالة

٨٢ الحبر في مجلس شورى عمر

٨٧	شواهد الصرامة من الطرفين
٩٢	تعقيب بلا تشريب
١٠١	الخبر مع عمر في أسفاره
١٠٨	لم تغّير العلاقة الوطيدة في ثوابت الطرفين شيئاً
١١٢	حضور الخبر مقتل عمر وآخر أيامه
١١٧	ثوابت أهل البيت ومنهم ابن عباس
١٢١	فيما لله وللشوري

الفصل الرابع

حبر الأمة في عهد عثمان

١٣٧	حبر الأمة في أيام عثمان
١٣٩	معرفة الوشائج
١٤٦	فيما لله وللشوري
١٤٧	خدعة الشوري
١٤٩	بدايات غير متفائلة
١٥٣	عثمان أحب إلى قريش من عمر
١٥٨	السخط والساخطون أسباب ونتائج
١٥٩	مخالفاته للشريعة في الأحكام
١٧١	مخالفاته للشريعة في الأموال والمحاباة بالولايات
١٧٤	مخالفته للسيرة العمرية
١٧٨	محاباة عثمانية للقرابة

١٨٧	معرفة الساخطين
١٨٧	تبادل السخط بين الصحابة وبين عثمان
١٨٩	١ . عبد الله بن مسعود <small>رضي الله عنه</small>
١٩٢	٢ . أبو ذر الغفارى (رضوان الله تعالى عليه)
١٩٩	نهاية مرّوعة ومفزعة
٢٠٥	٣ . عمّار بن ياسر
٢٠٨	٤ . عائشة أم المؤمنين
٢١٧	أولاً . أبناء عمر بن الخطاب (عبيد الله . عبد الله . حفصة)
٢٢١	ثانياً . الزبير بن العوام
٢٢٤	ثالثاً . طلحة بن عبيد الله
٢٢٧	رابعاً . عبد الرحمن بن عوف
٢٣٣	خامساً . سعد بن أبي وقاص
٢٣٥	سادساً . عمرو بن العاص
٢٤١	سابعاً . أبو موسى الأشعري
٢٤٢	ثامناً . أبو هريرة الدوسي
٢٤٤	تاسعاً . زيد بن ثابت الأنباري
٢٤٧	سخاء عثمان إلّا مع بني هاشم
٢٥٠	مواقف عثمان مع بني هاشم
٢٧٨	ظواهر الحب والبغض بين قريش وبين بني هاشم

٢٩٧ معرفة نتائج السخط
٣٠٢ مواقف مخنة واختبار لابن عباس :
٣٠٤ أولاً : مواقف جهادية بحد السنان واللسان
٣٠٧ ١ . غزوة أفريقية :
٣٢٢ ٢ . غزوة جرجان وطبرستان :
٣٢٤ ثانياً : مواقف قرآنية
٣٢٥ ١ . جمع القرآن :
٣٢٨ ٢ . تحرير المصاحف :
٣٣٢ ٣ . توحيد القراءة :
٣٣٥ ثالثاً : مواقف شرعية في الأحكام
٣٣٩ رابعاً : مواقف إصلاحية
٣٣٩ ١ . إلزام ابن عباس لعثمان بالحججة
٣٤٠ ٢ . استكشاف للرأي وصراحة نقدية هادئة
٣٤١ ٣ . كبريات معاوية في عتابه وأعتداد ابن عباس في جوابه
٣٤٢ ٤ . حَكَمَاً من أهله وحَكَمَاً من أهلها
٣٤٣ ٥ . إماماة الصلاة أيام الحصار
٣٤٥ خامساً : إمارة الموسم
٣٤٧ سادساً : مع عائشة في الصلصل
٣٤٩ سابعاً : إقامة المناسب
٣٥٥ فهرس الجزء الثاني